مكتبة نوميديا 132
Telegram@ Numidia_Library

الحاج العربي الورياشي

الكشف والبيان

عن سيرة بطل الريف الأول

استشهد في 15 ماي
سنة 1912

بقبيلة
بني سيدال

سيدي محمد أمزيان

وأخبار مقاومته هو وإخوانه الريفيين لأبي حمارة، ثم الاسبان

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الجنرال بيكريو

قتل بضواحي سلوان يوم 30 شتمبر 1909 بقبيلة بني بويفرور

انظر صفحة 135

الحاج العربي الورياشي

الكشف والبيان

عن سيرة بطل الريف الأول

سيدي محمد أمزيان

وأخبار مقاومته هو وإخوانه الريفيين لأبي حمارة، ثم الإسبان

الطبعة الاولى

1976

المطبعة المهدية تطوان (المغرب)

نبذة من حياة المؤلف

قال الشريف الفقيه العلامة السيد الحاج المصطفى بن الشريف الفقيه السيد الحاج عبد القادر الفجيجي فى ترجمته (اي المؤلف) هو ابو الحسن سيدي الحاج العربي بن الحاج محمد بن الحاج محمد بن علال بن عبد الله ابن احمد بن عبد الله بن محمد فتحا بن عبد الرحيم بن علي بن يوسف ابن ورياش بن عيسى بن يخلف بن عثمان بن ابراهيم بن ورياش بن عيسى بن عبد الرحمان بن علي بن اسحاق ابن احمد ابن محمد بن ادريس ابن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجد مقيدا بخط والده ان صاحب الترجمة ولد في رمضان عام ثمانية عشر وثلاثمائة والف، بمنزل احواضا من فرقة اجزولة بقبيلة بني بويفرور احدى قبائل قلعية .

ونشأ فى حجر والده فعلمه الكتابة وقراءة القرءان ، ثم قرأه على جماعة من شيوخه بأرض الريف ، وبعد ما حفظه ابتدأ طلب العلم على شيخ

الجماعة بجبل قلعية ابى الحسن سيدي الحاج علال بن احمد السيدالي التاوتي ختم عليه مقدمة ابن اجروم مرارا ، وقرأ عليه التحفة بشرح التاودي وتصوف ابن عاشر .

ثم في سنة خمس واربعين وثلاثمائة والف التحق بفاس لطلب العلم ، فقرأ المختصر على شيوخه ، منهم العلامة المسن البركة الصالح مولاي عبد السلام العلوي رحمه الله بشرح الدردير ، وسيدي عبد العزيز بن سيدي احمد بن الخياط بشرح الخرشي ، وسيدي الحسن مزور بشرح الزرقاني مع حواشيه وغيرهم ، وقرأ التحفة بشرح التاودي على سيدي عبد العزيز ابن الخياط وسيدي الحسن الزرهوني ، وسيدي الحسين العراقي وغيرهم ، والزقاقية بشرح التاودي على سيدي عباس بناني ، وسيدي الحسين العراقي ، وسيدي ابى الشتاء الصنهاجي .

وقرأ أصول الدين بتوحيد ابن عاشر بشرح الشيخ الطيب بن كيران وغيره على سيدي عباس بناني ، وسيدي الحسين العراقي ، وسيدي عبد العزيز بن الخياط ، وسيدي ادريس المراكشي وغيرهم .

وقرأ ارجوزة الاستعارة على سيدي الحسين العراقي ، وسيدي مولاي الشريف وغيرهما .

وقرأ مصطلح الحديث على المحدث الكبير العلامة الشهير سيدي محمد ابن الحاج نجل محشي الالفية ، كما قرأ عليه ايضا جملة من صحيح البخاري بضريح مولاي ادريس بين العشاءين .

وقرأ الشمائل الترمذية على سيدي الحسن مزور ، وسيدي عباس بناني وحضر دروسا في تفسير القرآن بشرح الجلالين مع حاشية الجمل على الشيخ ابي زيد سيدي عبد الرحمان بن القرشي .

وقرأ مقدمة الاصول لامام الحرمين على شيوخه ، وكان في الغالب لا يزيد على ثلاث دروس في اليوم، مع مزيد الاعتناء بتفهمها، مع كثرة مطالعته التي تستغرق دائما ثلث الليل ، فاكثر يبحث عن دقائق المسائل، واستمر حاله على ذلك في العاصمة العلمية ـ فاس ـ المحروسة نحو أربعة اعوام ، ثم رجع الى دار والده ومسقط رأسه .

وفي شوال سنة تسع واربعين وثلاثمائة والف تولى العدالة ملحقا بالمحكمة الشرعية بقبيلة بني بويفرور ، وتدرب على المسطرة ، وتعاطى التوثيق نحو ثمانية اشهر .

وفي جمادى الثانية سنة خمسين وثلاثمائة والف عينته الحكومة قاضيا على قبيلة بني بويحيى ، فقام بالمهمة اتم قيام ، صابرا على جفاء اهالي القبيلة وما زال يحول بينهم وبين العوائد المذمومة التي كانت متبعة عندهم، والتي كانت مخلة بشرفهم حتى استقاموا وعدلوا عنها، وتولى قضاء قبيلة امطالسة مؤقتا مع قضاء قبيلة بني بويحيى نحو سنة ونصف، كما تولى قضاء قبيلة بني بويفرور مؤقتا ايضا ، وكان ذلك كله لا يشغله عن كثرة المطالعة لعدد من الكتب المؤلفة في انواع من العلوم ، كالفقه والحديث والتفسير ، والسيرة النبوية والتاريخ والاصول ، واللغة .

وفي خزينة كتبه مؤلفات ذوات العدد في جملة من فنون العلم كالنحو واللغة ، والفقه ، والحديث ، والتفسير ، وكتب السير ، وكتب التاريخ وكتب الانساب ، وكتب التصوف شيء كثير .

وله كتب متعددة في جميع المذاهب جلبها من فاس والحرمين والرباط وتطوان ، وطنجة في نحو خمسة وثلاثين عاما ، وهو ولوع بمطالعة تلك

الكتب ، ودائما يستخرج منها فتاوي واجوبة عن مسائل مختلفة هي الاهمية بمكان ، يميل الى مذهب السلف ، اذا كتب فى مسائل الفقه ياتي بادلته من السنة ، ولا يكتفى بالفقه المجرد عن الدليل ، يقدم كلام الله ورسوله ما وجد اليه سبيلا على كلام كل احد ، مهما كان عظيما .

وجمع التقاييد التي كتبها في مختلف المواضيع التي اطلعنا عليها كلها مؤيدة بالادلة من السنة المطهرة ، وهي متعددة ، فذكر منها بعضها .

1) ـ منها الادلة الواضحة ، من الكتاب والسنة ، لمن يقول بوجوب قراءة الفاتحة على المأموم في الصلاة السرية .

2) ـ ومنها تقييد في جواز امامة المسافر في صلاة الجمعة .

3) ـ ومنها تقييد في قضاء الفوائت ، بين فيه إن من صلى حاضرة وفي ذمته أربع فوائت لا تصح له صلاة هذه الحاضرة بادلة من السنة .

4) ـ ومنها جواب عن سؤال للمصطفى الحنفي بين فيه ان نزول القرآن كان جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة ، ثم صار جبريل ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم منجما على حسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة ، وبيان كيفية تلقى الوحي ، وبيان ما يسمى من القرآن بالمكي والمدني وغير ذلك .

5) ـ ومنها جواب عن صلاة المنفرد خلف الصف .

6) ـ ومنها كتاب جمع فيه جملا من كلام ايمة التصوف ، رد فيه على من يمنع الذكر في حالة الجمع، وكذلك قراءة القرءان لا زال لم يكمل.

7) ـ ومنها تقييد جمع فيه فروع الورياشيين ، ورفع عمود نسبهم سماه الاحياء والانعاش ، بذكر أسماء من استوطن قلعية وشفشاون قديما وحديثا من ابناء سيدي ورياش .

8) ـ ومنها تقييد في بيان صحة نسب فرقتي اعسارة واهل الدريرية من أولاد سيدي رح بن عيسى من بني وكيل ، فرقة من الادارسة من أبناء سيدي قاسم بن ادريس ، سماه كشف الخفا ودفع الاسا ، عما كان مجهولا من سلسلة نسب فروع أولاد سيدي رح بن عيسى .

9) ـ ومنها تاريخ بجمع أخبار ابي حمارة من حين خروجه الى وفاته، وأخبار حروبه ، كما تعرض فيه لخروج الاسبان من مدينة مليلية سنة تسعة وتسعمائة والف ، واحتلالهم لقبيلة قلعية وكبدانة ، واولاد ستوت ومحاربة الشريف سيدي محمد امزيان هو واخوانه الريفيين لابي حمارة ثم الاسبان الى ان استشهد الشريف سيدي محمد امزيان في سنة 1912 ، سماه الكشف والبيان ، عن سيرة الشريف الغازي بطل الريف الاول سيدي محمد امزيان، وأخبار مقاومته هو واخوانه الريفيون لابي حمارة ثم الاسبان .

10) ـ ومنها تقييد جمع فيه أحكام بعض صلاة السفر ، وبعض الكلام على سنية القبض في الصلاة ، سماه اشاعة الخبر ، بذكر أحكام بعض صلاة السفر ، وثبوت استحباب القبض وسنيته في صلاة الفرض ، والنقل عمن تقدم من اهل العلم وتأخر .

وله فتاوي وأجوبة أخرى اذا جمعت تصير في حجم مجلد متوسط وجلها موجود في أيدي بعض الطلبة .

كما انه أديب طبعا لا تكلفا ، يحب الخير لكل أحد ، قاله صاحبه ومرافقه في قراءة العلم بفاس ، ورفيقه في مزاولة مهنة القضاء بقبيلة بني بوزرهى سابقا، والمطلع على جل أحواله خليفة قاضي بني بويفرور المصطفى ابن عبد القادر بن محمد الفججي لطف الله به امين .

وقال في حقه أيضا نقيب الاشراف الادارسة نزيل درب المسيد بشارع زقاق الماء بفاس الشريف العلامة سيدي محمد بن مولاي الطيب البدراوي الودغيري ما حاصله : الشريف الاصيل الفقيه العلامة المؤرخ النسابة الاديب النبيل مولاي الحاج العربي بن محمد بن محمد بن علال الورياشي، ثم الودغيري الحسني ، وفي ءاخر هذه التحلية وما الحق بها امضاؤه بخط يده وهو : محمد بن الطيب البدراوي وبعده طابعه الذي يحتوي داخله على اسمه .

انتهى

الحمد لله وحده　　　　وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

مقدمة

وقبل مدة ليست بقليلة كنا نلاحظ من الاخ الشريف السيد الحاج العربي الورياشي الله يسهر على انجاز مشروع شريف ، وضخم كثيف ، بجمع شتات تاريخ مضمحل عن بعض رجالات اقصى الشمال المغربي، وكما كنا نطلع على بعض الاوراق، واحيانا يسرد علينا الاوراق الاخرى ، والتي كانت لا زال يحررها وينقحها شأن كل مؤلف، وبالخصوص من يقوم بتآليف التاريخ لانه غير ممكن ان يستوعب او يستحضر جميع المعلومات التي يريد ضمها الى كتابه ، وبالاحرى اذا كانت المعلومات يتحصل عليها الكاتب بواسطة من شاهد الوقائع ، او عاصر الشخص المراد التحدث عنه ، ولذلك كان لزاما على الكاتب ان لا يتسرع الى الكتابة حتى لا يحشو في كتابه ما لا فائدة فيه ، ولو أداه البحث والتنقيب الى تحمل وعاء السفر والتنقلات ، وهذا هو السبب الذي يجعل كثيرا من المؤلفين يتحرون دون ان يتسرعوا الى الكتابة ، وهي نفس الطريقة التي تمسك بها اخونا السيد الحاج العربي في ابراز هذا التاريخ الى الوجود الذي بذل فيه مجهودا جبارا رغم ما يتحمله من المسؤوليات القضائية والعائلية ، ومع ذلك اشتد حزمه وقوى عزمه ، فلم تذهب مجهوداته سدى .

وقد استمر اتصاله بجميع من عاصر الشريف المجاهد الاكبر السيد محمد امزيان رحمه الله ومن شاهد وقائعه قريبا كان ذلك المشاهد او بعيدا لينقل عنه المعلومات التي يطلبها المقام ، ويستعين في بعض الاحيان بمؤلفات المؤرخين الاسبان. رغم كونه لا يحسن اللغة الأسبانية ولكنه يبذل قصارى جهده حتى يتحقق له الامر بواسطة المترجمين الاكفاء .

وقد استطاع ان يحقق أمنيته بالمعجزة، لانه كتب عن شيء اندرس اثره واضمحل خبره ، لا بتقادم الزمان ولا ببعد المكان ، بل ببعد عناية الكتاب حتى اهمل خبر كثير من الرجال الذين كانوا بحسب اهم الحساب ، وبالاخص بعض رجال الريف بالمغرب الشمالي :

وتفاديا لما عسى ان يعتمر من الاهمال لاخبار بعض رجال الريف تصدى الاخ السيد الحاج العربي الورياشي للكلام على بعض مشاهيرهم وهو المجاهد العظيم الشريف السيد محمد امزيان اسكنه الله فسيح جناته ، ورضي عنه وارضاه .

على ان الكلام عن تاريخ السيد محمد امزيان ربما يطول على من اراد تتبع احواله واطواره وحوادثه وغاراته على العدو ، لكن الاخ الورياشي قام بالمستطاع من الواجب نحو هذا المجاهد العظيم ، جزاه الله احسن الجزاء طالبين من الله سبحانه ان يجعله مفتاحا لمستقبل الجيل الجديد ، ليحيط علما بما كان يقوم به مشاهير رجال المغرب من اسلافه الابطال الاشاوش ، ويتحمس هو الآخر ليتكرم علينا بقلمه ، ويحدثنا عن حوادث الريف ، وسائر المغرب ورجاله قديمها وحديثها .

والمجاهد الكبير الشريف السيد محمد امزيان كان رجل الشارع لو كان للريف مؤرخون ، وكان لا يتصف بالكبر ، ولا بالانانية ، بل كان كثيرا ما يعمل بيده ، سواء في التجارة او الفلاحة ، ولكنه في نفس الوقت كان عظيم القدر والشأن عالي الهمة ، كريم النفس ، بطلا من الابطال الذين يفتخر بهم المغرب .

وقد اكتسب العظمة والشهامة والاحترام في اوساط قبائل الريف بالرزانة والامانة والصراحة التي جبل عليها من اول نشأته ، وكان لا يهمه من امر دنياه اكثر مما يهمه امر وطنه ، لان العدو المستعمر الاسباني كان على الابواب ، يستعد للخروج من مليلية لخوض المعارك ليستولى على هذا الجزء الشمالي من المغرب لكن ايمان الشريف السيد محمد امزيان بوطنيته التي كانت خالصة من شوائب الدنيا واطماعها ، وبشجاعته التي ان دلت على شيء فانها تدل على انه من الابطال العظام الذين يبيعون انفسهم ودنياهم بما عند الله من الخلود في الجنة ، لذلك تهيأ متوكلا على الله ، مستعينا به سبحانه ، ليس له عدة ولا زاد ، الا ان الايمان القوي الذي رزقه الله به جعله لا يبالي بقوة العدو ولا بعدده وعدده ، وقام فعلا ببسالة ورجولة حتى تقهقرت جيوش العدو امامه،

وحارت فيه عقول كباره ، فلولا استشهاده سنة 1912 اثناء جهاده رحمه الله ورضي عنه لقضى عليه قضاء مبرما ، ولله عاقبة الامور .

ولهذا فاننا نتقدم بالشكر العظيم والثناء الجزيل لاخينا السيد الحاج العربي، حيث قام بهذا الواجب الوطني محوا لعار إهمال غيره .

هذه نبذة
من حياة مؤلف هذا التاريخ

اما المؤلف الذي قام ببذل هذا المجهود فهو الفقيه العلامة الذي جمع بين الفقه والحديث والتاريخ ، وهو بكل فن من هذه الفنون عارف ، فحدث ولا حرج الشريف الاصيل السيد الحاج العربي بن الحاج محمد بن الحاج محمد بن علال بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن محمد (فتحا) بن عبد الرحيم بن علي بن يوسف بن ورياش ابن عيسى بن يخلف بن عثمان ابن ايعيش بن ابراهيم بن ورياش بن عيسى بن عبد الرحمان بن علي بن اسحاق بن احمد بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم :

ولد المؤلف بقبيلة بني بويفرور احدى قبائل قلعية في شهر رمضان المعظم عام 1318 هـ ، وقد نشأ وتربى في احضان والديه الكريمين في ارغد عيش ، حيث كان والده يملك ثروة لا بأس بها حسب وقته وزمانه من موارد مختلفة كتجارة بواسطة غيره وفلاحة ، وكان يتعاطى خطة العدالة .

ثم ان المترجم له لما صار يقدر على النطق بالكلام وجهه والده الى تعليم الكتابة وقراءة القرءان ، وبفضل الله كان يحفظ ويقبل التعليم، وقبل ان يحفظ القرءان تدرب من تلقاء نفسه وهو صغير على قراءة الخط المطبعي ، وحفظ جملة من الكتب من قصص وتاريخ ، ثم حفظ القرءان واتقن حفظه بعد ان طاف على كثير من مساجد الريف لاجل هذا الغرض ، وبعد ان ايقن من نفسه ان نشاطه يبتغي المزيد من الثقافة والعرفان فكان اول ما شرع فيه من الدروس مبادئ الدين والعربية ، شأن كل مبتدىء

وذلك بجامع جماعة لانوت الرمان بالبيالة بني سيدال ، وهذا الجامع بمثابة احد المعاهد الدينية تحت رياسة شيخ الجماعة العلامة السيد علال التنوتي فانقذ هذا الجامع وشيخه المذكور كثيرا من الطلبة من الجهل ، ولازمه المترجم له مدة من الزمان حتى ءانس من نفسه تزايد النشاط العلمي ، وعقله ينفتح شيئا فشيئا ليكرع من حياض مناهل العلم والعرفان استاذن شيخه الوقور المذكور ليغادر وطنه ويلتحق بمدينة الحضارة عاصمة العلم بالمغرب الاقصى - مدينة فاس - فاذن له فارتحل فعلا وذلك في محرم الحرام عام خمسة واربعين وثلاثمائة والف 1345 هجرية ، ووجد هناك ضالته المنشودة ، واتسعت افكاره وقويت عزيمته ، وانشرح صدره واضمحل كسله وانهزم شيطانه ، وانكب على اخذ العلوم ، واستماع الدروس من فحول علماء مدينة فاس .

وكان ينشط لمطالعة دروسه وجميع انواع الكتب ، لانه فارق مسقط رأسه واهله وذويه لهذا الغرض ، وليكون عالما .

وقد تلمذ لنخبة من كبار علماء القرويين الذين ادركهم وهم احياء ، كالشيخ السيد عبد السلام العلوي والشيخ السيد الحسين العراقي والشيخ السيد ادريس المراكشي ، والشيخ السيد عبد الرحمان بن القرشي وغيرهم وهم كثيرون رحمهم الله ورضي عنهم .

ومقروءاته النحو والفقه بالتحفة والشيخ خليل ، والزقاقية والتوحيد ، والاستعارة ، ومصطلح الحديث ، والامام البخاري ، والتفسير ، والاصول ونحوها من العلوم .

وفي هذه الظروف اشتد عليه امر العزوبة ، وفرارا من ان يفكر فيما يؤديه الى هوى النفس فكر في امر الزواج شأن كل من يفر من المعاصي وكان تفكيره في محله ، وسهل الله عليه الامر فتزوج في فاس بالفعل واستراح من زيغ الشيطان ، وبعد الزواج زاد نشاطه في اداء مهمته الدراسية فاستمر على حالته تلك الى ان اعياه الزمن ، والدهر بثقل حمل الحالتين الدراسية والزوجية فاختار ان يكون زوجا فقط وربا للمنزل ، وابا للاولاد ، بعد ان ءانس من نفسه انه حاز قسطا لا بأس به من مختلف العلوم ، كما كان يقتضيه حال ذلك الوقت ، وتقدم الى اشياخه واستاذنهم في الرجوع لمسقط رأسه ، وبعد الاذن له رجع الى اهله وذويه حاملا راية العلم ، واصبح في صف العلماء .

وبعد حلوله بمسقط رأسه لم تمض عليه الا ايام قلائل حتى عين عدلا بمحكمة قبيلة بني بوبفرور في شوال 1349 مع القاضي آنذاك الولي الصالح الشيخ الوقور العلامة السيد الحاج محمد بن البشير بن عمر ، وكان تعيينه لمهمة العدالة كتمرين وتمهيد لتولية

منصب القضاء الذي سيتحمل مسؤوليته، ثم استمر في تمرينه هذا زهاء ثمانية اشهر

وفي جمادى الثانية عــام خمسين وثلاثمائة والف 1350 هـ. عين بظهير خليفي قاضيا لقبيلة بني بويحيى، فتابع اشغال وظيفته بجد وحزم، وقد باشر اثناء ذلك القضاء موقتا بقبيلة امطالسة وبني بويفرور

اوصافه حميدة، ويعد من الـكرماء، وهو كريم المائدة. ولا يرد السائل، ولا يظن في المخلوق الا خيرا، وعقله سليم. ورأيه راجح، لا يسابق ولا يزاحم غيره، ولا يسبق الى خصام من خاصمه.

ومن اوصافه البسط مع اخلائه من العلماء والعوام، والانبساط لاهله وذوي الارحام. يفكر كثيرا، ويتكلم قليلا. ويتحاشى الخوض فيما لا يعنيه، ويتجافى عن السوء وذويه، وجل كلامه في المذاكرة العلمية والدينية مع جلسائه واحبائه، تارة يكون مسئولا واخرى سائلا او ساردا الحديث او مفسرا لآية، او الكلام اهل هذا الفن، ويصفح عمن اساء اليه، ولا يتبعه بكلام موحش: ولا يغضب عليه، ويقتدى بجده الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حين كان يقول : اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون :

وقد اتفق ان لطمه احد المتخاصمين المتمردين وهو متربع في مجلس حكمه بالمحكمة الشرعية بقبيلة بني بويحيى: ولم يرد عليه بشيء، وهو في استطاعته ان ينتقم منه، لكنه لم يفعل.

وأعماله كلها جليلة ومستحسنة، اهمها ان رتب معلما لاولاده في ناحية من نواحي داره ليعلمهم الكتابة وحفظ القرآن، وقد حفظه فعلا من حفظه من اولاده. كما يعلمهم مبادىء الدين والعربية وعقائد التوحيد، هذا حينما يكونوا اطفالا صغارا، والا فالنتيجة قد أعطت ثمرتها حيث اصبح جلهم مثقفين، ما اجله من عمل، ومــا افضله من خير، ينعكس من الاصل على الفرع

وفيما يرجع لشعائر الدين، فانه متفوق فيها من أداء الصلوات الخمس في اوقاتها، وقيامه الليل، ولا تحل وقت من اوقات الصلاة، الا ويقوم بادائها حينا، ويامر جلساءه ان كانوا معه بالصلاة جماعة. ويستغرق اوقاته كلها باستثناء اوقات العبادات او الاكل او النوم - في مطالعة الكتب كيفما كان نوعها، ولربما يوجد قليل من امثاله في هــذا الشأن في مغربنا هذا. - وطبيعي ان من يريد السهر على المطالعة والتلذذ بها، فانه يجب عليه الانفراد والانعزال عن الناس كما فعل هو، وقد استعد لذلك غاية الاستعداد، وقد

بنى غرفة على احدى جهات داره، وفتح لها بابين، بابا الى خارج الدار وبابا الى داخل الدار، ليكون بذلك مستقلا تمام الاستقلال، عما يروج داخل الدار من كلام اهلها، وضجيج الاطفال شأن كل دار فيها نساء وأولاد، وليكون عقله مهيئا لمطالعة الكتب، بمعنى انه اصبح منعزلاً تمام الانعزال عما يشوش باله من ملاهي الدار، لذلك فقد استكمل شروط المطالعة واستوفاها بضخامة الخزانة للكتب التي يملكها، وخزانته قل من يملك مثلها في شمال المغرب، لانها تحتوي على عدة كتب لا توجد عند غيره، ومن صغره الى كبره، لا يزهد في شراء الكتب

ولاجل انهماكه على مطالعة كتب الحديث والتفسير والفقه طيلة ايامه ولياليه، بل طول حياته استطاع ان يحصل على مسائل من العبادات والمعاملات من الكتاب والسنة، مع كونها توجد مخالفة لبعض الفروع في رأي الفقهاء وكلامهم في ذلك، ويرجع الامر الى اعتنائه واتباعه لكلام الله وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم

والدليل على انه يشارك في فنون من العلم وانه يجتهد في المطالعة اعظم الاجتهاد، ما قرأناه من التقاييد والاجوبة العديدة والمفيدة في شتى المواضع

ومن ذلك انه الف تأليفا عديم النظير، جمع فيه انساب اولاد الولي الصالح الشريف السيد ورياش دفين اجنادة بفرخانة بحدود مليلية رحمه الله، سماه «الاحياء والانعاش، بذكر اسماء من استوطن قلعية وشفشاون قديما وحديثا من ابناء سيدي ورياش» وقد جمع فيه كلاما مناسبا للمقام، بعد مراجعته للمراجع القيمة، والمصادر الموثوق بها. وقد شهدت له نخبة من العلماء بصحة هذا التأليف بعد اطلاعهم على المراجع والمصادر التي جمعه منها، وكانت الشهادة في محلها

وله تقييد في وجوب قراءة الفاتحة على المأموم في الصلاة السرية، سماها «الادلة الواضحة من الكتاب والسنة، لمن يقول : بوجوب قراءة الفاتحة على المأموم فى الصلاة السرية»

وله جواب طويل الذيل، حقق فيه بطلان صلاة المنفرد خلف الصف من الاحرام الى السلام

وله جواب أفتى فيه بجواز امامة المسافر في الجمعة

وله غير ذلك مما يطول ذكره

وله خبرة بالشعر، ومن منظوماته منظومة مدح فيها الخليفة المعظم مولانا الحسن بن المهدي لدى زيارته لمقاطعة كرت اقليم الناظور ونزوله بمليلية لسنة ست وثلاثين وتسعمائة والف 1936 الا انه لم يكن للوقت مناسبا للمثول بين يديه، لشدة الاحتياطات التي كانت اتخذها رجال الاستعمار الاسباني فاخفاها ولم ينشدها، مطلعها:

مليلية ابشر فسعدك مقبل ... باقبال حامي المجد دام له الفضل
هو السيد المولى خليفة مالك ... لاقصى بلاد المغرب لا شك عادل
يزور شمال المغرب المتعطش ... لرؤيته كل الانـام تطـــاول
يزور بقاعا كان ايضا يزورها ... ءابـاؤه عطفا والجدود الاوائـل
ملوك نجوم الدولة العلوية ... وابطالها حقا وما ذاك زائـــل
هي الدولة الغراء كاشفة العنا ... عن اقصى بلاد الغرب واطمأن الاهل
فالزم حماها يستقر بك النوى ... وتعطي من الخيرات ما اذت امل
لما سمعت هذا الخطاب تمايلت ... سرور وناديت مرحبا يا مؤمل
يحق لها ذاك السرور وكيف لا ... وجوده فيها زينة وتجمل
فلا زلت تعلو ما بقيت مصباحا ... بكل سرور دائما يتسلسل
وتصفو من الاكدار يا خير قادم ... علينا وينمو مجدكم والفضائل
وتبتهج الدنيا وتبدو محاسن ... لكم والمزايا تتلوها والفواضل
ولا زلت ملحوظا بعين رعاية ... من الله ما دام الحجيج يهلل
وما استمر الورياشي ينشد قائلا ... مليلية ابشر فسعدك مقبل

وله منظومة في العقائد كمل بها المنظومة التي مطلعها :

للاستغنى من الصفات احدى عشر ... الخ نصها :
اما التي تدخل تحت قولنا ... محمد رسول خذهـا معلنا
الصدق والتبليغ والامـانـــة ... ايمانا بالكتب السماوية

كذا بالانبياء والملائكة   واليوم الاخر وايلنا فتلته
وزد جواز اعراض بشرية   عليهم فهذه ثمانية
وزد لها اضدادها تجيء   ستة مع عشرة تضيء
فهذه ستة مع ستين   عقيدة قد وجبت يقينا
فادع لمن لخصها برحمة   صل على احمد اذ ختمته

وله ايضا في التضرع الى الله ، والتبتل من كثرة الخشية منه والدعاء بالخشوع وانكسار القلب ، والتوجه اليه حيث يقول :

واسأل من رب عظيم عطاءه   ورحمته ان الاله كريم
ايا رب جد لي واكفلي وقلي العنا   وامح عني الاوزار انت رحيم
وصل على المختار في كل لحظة   صلاة عظيم رب انت عظيم

وقصيدته الطنانة التي تحتوي على أكثر من خمسين بيتا ، والتي تتضمن رثاء الشريف ، وسرد احواله ووقائعه تشهد بما قلناه :

وله غير هذا من الاجوبة والتقاييد والمنظومات ما لا يحصى :

ولا زال مستمرا على اجتهاداته دون سآمة ولا ملل، على انه يجد اللذة في الكتابة والمجادلة العلمية بادب تام ، ومطالعة الكتب احسن من لذة الأكل والشراب بل احسن من جميع اللذات ، فهو ان تذاكر او ناقش مع غيره لا يكون الا عن استعداد في ذلك ، لما يملك من ذاكرة حادة، ولممارسته لمطالعة الكتب بجميع انواعها، بخلاف غيره ان المذاكر او جادل فانه يكون اما عن تخمين ، واما عن تعصب او تعنت ، شأن المتكاسل والمتساهل ، اما هو فكثيرا ما يتحدث مع غيره في مسألة من مسائل الحديث او التفسير ، او في نازلة من نوازل الفقه من العبادات وغيرها ، او قصة تاريخية الا ويستشهد بالدليل في الموضوع ليسهل على السامع مراجعة القضية في اصلها ومحلها ، وهذا كله لشدة ولعه بمطالعة الكتب القديمة والحديثة التأليف ، ومع هذا كله اتخذ البادية مسكنا له ، مع العلم بان سكنى البادية فيه نوع من تشتيت الافكار الذي يؤدي غالبا الى عدم الاعتناء بمطالعة الكتب ، على انه لا يعرف ما في سكنى

البادية من القلق وعدم راحة البال الا من سكنها ، ومع ذلك فانه رغم تحمله مشاق سكنى البادية من كون الخماس حرث او لم يحرث او حصد او لم يحصد ، فانه لا يزحزحه عن مواصلة مطالعته الكتب ، وتسطير الاحكام القضائية :

وطريقة ارتزاقه زيادة عن منصب القضاء هي الفلاحة ، وفي نفس الوقت فانه يعد من الفلاحين ، وهي طريقة اجداده واسلافه الكرام ، وهو شأن من لا يكل امره الى غيره ، سوى الله تعالى الذي يتوكل عليه المتوكلون :

وقد كان من جملة المضطهدين من جانب رجال الاستعمار الاسبائي بحيث انهم كانوا يتتبعون حركاته وسكناته ، كما يلاحظون فيه ضميرا حيا ، وسآمة من شدة وطأتهم على وطنه امروا اذنابهم بالاعتداء عليه ، ضربه بعضهم بالعروى وبعضهم بحاسى بركان ، ومع ذلك لم تلن له قناة ، وكان يواجههم بما يكرهون ويعاكس سياستهم ويحذر الناس منها ، ولكن الله حفظه من شرهم ، وانتصر عليهم كما انتصر المغرب على جميع الأستعمار ، والحمد لله :

وبعد ان استقل المغرب استمر في منصبه القضائي لحسن سيرته وجميل سلوكه ، كما استمر في نشاطه العلمي رغم ضعف بصره , وها هو الان يتمتع بكامل العناية والاحترام في داخل المحكمة الاقليمية بالناظور عند اخوانه في مهمة القضاء، وعند الجمهور من جميع اهل وطنه ، حيث انه واعظ لهم ومرشد دائما يقوم بمهمة الارشاد في مختلف المساجد :

وله نخبة من الاولاد كلهم صالحون منهم من يتمتع بالوظائف بمختلف المصالح الحكومية، ومنهم من لا زال في طور الدراسة ، اصلحنا الله واياهم وجميع المسلمين :

حرر هذه المقدمة المتواضعة الفقير الى عفو ربه المحتاج اليه في كل شيء الناقص من كل شيء :

عبد ربه
المصطفى الحنفي

الكشف والبيان ، عن سيرة الشريف الغازي
بطل الريف الاول سيدي محمد امزيان
وأخبار مقاومته هو واخوانه
الريفيين لابى حمارة
ثم الاسبان

==

أعوذ بالله السميع العلم ، من الشيطان الرجيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ولا يخيب لمن دافع عن دينه ووطنه وأميره أملا ، ووعد من فعل ذلك مجتنبا شوائب الرياء والسمعة ، وقام به اعلاء لكلمة الله ، بجنة عالية عرضها السماوات والارض ، أعدها الله للشهداء الابرار ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في دار القرار ، وجعل أرواحهم من حين خروجها من أجسامهم في حواصل طير خضر تتنعم بنعيم الجنان ، وبما فيها من الانهار .

وصلى الله على سيدنا محمد بن عبد الله ، سيد من أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين ، الذين اذا أحبهم العبد المومن ، واقتفى أثرهم ، محى الله عنه بمحض فضله وجوده الذنوب وجميع الاوزار .

وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته ، الاتقياء البررة الاخيار ، صلاة وسلاما دائمين ما تعاقب الليل والنهار .

ولا ينال هذا المقام العظيم ، الذي وردت فيه من الاحاديث الصحيحة في الصحيحين ، ومسند الامام أحمد وغيرها ، ما ينشرح له صدر من يحب لقاء الله في ذلك الدار ، لان كل عمل لا اخلاص فيه كجسد بلا روح .

قال تعالى : (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) .

وقال : (اني امرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لان أكون من المسلمين ، قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، قل الله أعبد مخلصا له ديني ، فاعبدوا ما شئتم من دونه)

وقال : (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ، الا لله الدين الخالص)

وقال : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)

واما السنة

==

فقد جاء في الباب الحادي عشر من فضائل الجهاد ، من صحيح مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ما مضمونه .

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان اول الناس يقضي يوم القيامة عليه ، رجل استشهد فاوتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، يقال له : كذبت ، ولكنك قاتلت ليقال جريء فقد قيل ثم أمر فسحب حتى ألقى النار الخ .

ونحوه في مستدرك الحاكم بغير هذا اللفظ ،

وبآيات الاخلاص المتقدمة

==

وحديث مسلم، والحاكم، وهي أدلة قطعية، يعلمن ان من مات في قتال العدو وجهاده، وكانت نيته القتال ليحصل على الغنائم، أو اظهار القوة، ليقول الناس : انه قوي وشجاع، أو قاتل وارتكب الاخطار ليلال وظيفا كبيرا، ولينال سببا يحصل من ورائه على اموال طائلة.

كل من مات في قتال العدو، وهذه نيته لا حظ له في الشهادة، التي قال الله في حق أهلها : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا، بل أحياء، عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله).

وتأمل قوله تعالى في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الاسلام.

انظر باب من سأل وهو قائم في كتاب العلم من الجزء الاول من البخاري.

ونص البخاري عن ابي موسى رضي الله عنه قال ! جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما القتال في سبيل الله فان احدنا يقاتل غضبا ويقاتل حمية حمية فرفع اليه رأسه فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل ا ه.

وبعد هذه المقدمة.

يقول مقيده العبد المذنب الفقير الى الله تعالى، الراجي عفو مولاه العربي بن محمد بن محمد بن علال بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن محمد فتحا بن عبد الرحيم بن علي بن يوسف بن ورياش الورياشي، وقاه الله وجميع اخوانه المومنين من التبديد والتلاشي.

لي مدة من الزمن واذا افكر في حياة الشريف الغازي سيدي محمد امزيان ، بطل الريف الاول . واهم ان اجمع في حياته واخباره الجهادية ، وصدقه واخلاصه لدينه ووطنه وملكه وجميع اخوانه المومنين ، جملا قليلة من ذلك ، فيمنعني جهلي بمثل هذه المسالك .

كما تعوزني المصادر الموثوق بها وهي طبعا محصورة غالبا فيما يرويه لنا معاصروه الذين كانوا يحضرون معه المعارك الحربية ، من مختلف رجال قبائل الريف ، وجلهم تزيد اعمارهم عن ثمانين عاما ،

ومن المعلوم ان من وصل لهذا السن تختفي من ذاكرته امور وينسى امورا لا يتذكرها الا بالتذكير ، وقليل منهم من هو ثابت الذهن .

غير ان صاحب الاستقصا . اعتمد نقل الاخبار عن مثل من ذكرنا ، حسبما جاء في مقدمة تاريخه .

وفي الموضوع بعض المصادر الاسبانية بيد اني جاهل بكتابتهم ولغتهم ، زد على ذلك ان مؤرخيهم لا يكتبون الا ما يرجح كفتهم غالبا .

وفي صحيفة 202 من الجزء الثالث من حاضر العالم الاسلامي لامير البيان ، مفخرة الشرق الاوسط المرحوم شكيب ارسلان ، رحمه الله ما نصه :

انهم اي مؤرخي اوربا لا يروون الا ما في اذاعته مصلحة لدولهم واذا لم يجدوا بدا من النقل زادوا ونقصوا بحسب مصلحتهم ا هـ .

وهذا ما جعلني اقدم رجلا واأخر اخرى .

ثم ان ضميري يعود الى التانيب والتوبيخ على هذا التردد ويقول : أليس من العار ان تذهب اخبار ذلك الرجل العظيم ، وحياته الجهادية ، وما قام به من عظائم الامور في مدة وجيزة ، لا تتجاوز خمسة اعوام.

قام اولا بالثورة ضد ابى حمارة نحو العامين حتى فارق ابو حمارة عاصمته الشرقية : قلعة سلوان .

وثانيا نحو ثلاثة اعوام في جهاد الاسبان الذين احتلوا وطنه تعديا منهم وظلما .

وقضى هو واصحابه الابرار من اهل الريف على حياة الآلاف العديدة من جنود وضباط عظام ، كالجنرالات والكلونيلات . - ومن دواهم من قواد الجيش الاسباني العتيد المدرب احسن تدريب ، وألحق بهم خسائر فادحة في العتاد الحربي ، والارواح والاموال الباهضة .

أيطيب المغاربة عموما ، ولعلماء الريف خصوصا ان يهملوا تدوين تاريخ حياة هذا البطل المغربي الريفي الشهير ، والطود الشامخ الخطير ، من خيرة ابناء المغرب ؟

في ظني ان الجميع يجيب بكلا.

الا ان همم اصحاب الاقلام السيالة ، العارفين بهذه المسالك ، مصروفة الى غير هذا ، وتركوا المغفلين امثال صاحب هذا التقييد ، يخبط في هذا الميدان خبط عشواء ، ولكن ما شاء الله كان .

ومما زاد في اهتمامنا بما نحن بصدده ما اخبر به بعض من وفد من قبيلة اجزناية ، على صاحب الجلالة المغفور له الامام محمد الخامس رحمه الله ورضي عنه ، واسكنه اعلا جنته بمحض فضله وجوده امين قال :

استعرض جلالته اخبار من اشتهر من رجال المغرب في الدفاع عن الوطن ، فذكر في مقدمتهم الشريف الغازي سيدي محمد امزيان. رحمه الله ، وسماه الامام محمد الخامس بطل الريف الاول ، قال المخبر :

ما زال الامام يذكر اخباره الجهادية حتى دمعت عيناه .

قلت : رحم الله من قال : لا يعرف الفضل لاهل الفضل الا ذوو الفضل ، والامام الراحل رحمه الله من عظماء اهل الفضل والفضيلة .

ولا ريب ان الامام محمد الخامس رحمه الله ورضي عنه كان كثير الانتباه لما يجرى في المغرب في زمانه ، وعلى علم تام بما كان يجري فيه قبله بازمان .

ومن ذلك انه كان على علم بما كان يقوم به الشريف الغازي سيدي محمد امزيان ، من تنبيه الناس الى تمويهات ابي حمارة واصحابه وارشادهم الى التعلق بالدولة العلوية ، والتمسك بطاعة امام الوقت ابي فارس مولانا عبد العزيز رحمه الله ثم بعده بطاعة الامام مولانا عبد الحفيظ رحمة الله على جميعهم .

ويذيع في الناس : ان ابا حمارة خارجي دعي وان نسبه الحقيقي الجلالي بن ادريس ، من جماعة اولاد يوسف بزرهون ، وان ما يدعيه من انه مولاي محمد فتحا بن السلطان الاعظم مولانا الحسن رحمهما الله زور وبهتان .

وبعد ما اتصل ذلك بابي حمارة الجلالي الزرهوني امر بالقاء القبض عليه ، ولما للشريف من المحبة في قلوب الناس . لم يجسر احد على تنفيذ امر ابي حمارة .

واخبر الشريف بان ابا حمارة وملأه يأتمرون به المقضاء عليه . فعجل الخروج من داره في جماعة من اصحابه العزيزيين، قاصدين معسكر الجيش الحكومي بناحية وجدة .

ولما علم بذلك ابو حمارة ارسل فرقة من اصحابه الى دار الشريف ونهبوا منها ما كان فيها من القطائف والاواني، وجميع الاثاث شيئا كثيرا.

اخبرتني اكبر بناته قالت :

لما علمنا بان اصحاب ابي حمارة يقصدون الدار عجلنا باخراج ماخف، وفررنا وبعض خيار الرجال حمل بعض ابناء الشريف وكان صغيرا فوق منكبه : وفر به الى الجبل، حتى لا يقتله اصحاب ابي حمارة، فانهم لا يتورعون عن مثل ذلك.

والامام محمد الخامس كان كثير الانتباه لما يجري حوله، في حين انه كان يتغافل عن اشياء، لاعن جهل بها، بل عن عمد يتغافل لمصلحة يعلمها هو دون غيره.

ومن تنبيهه لتافه الاشياء انه لما جاء من اسبانيا الى تطوان حاملا معه وثيقة استقلال المنطقة الشمالية وضمها الى الجنوب سنة 1956م ودعي جميع القضاة والقواد لمقابلته، فلما دخلنا ـ للسلام عليه وكنت امام الرفقة، فاذا هو جالس على كرسي، ووقف بجانبه خليفته الامير مولاي الحسن بن مولاي المهدي.

وبمجرد ما رأى اهل الريف وكانوا لابسين اثوابا تتكون من جلاب ابيض وسلهام كذلك، وهم في زي يلفت الانظار، مخالفا لازياء اهل الجبال، سمعته يقول لخليفته : من هؤلاء ؟ فقال له : هؤلاء اهل الريف، وكنت قد تشرفت بالمثول بين يديه مع جماعة من ـ قضاة اقليم الناظور في الرباط، قبل ذلك بنحو ثلاثة اسابيع، واجلسنا ـ رحمه الله ـ بين يديه وصار يسألنا عن ارض الريف واهلها، وحالهم فيجيبه عنا الفقيه العلامة الشريف السيد شعيب الادريسي نائب رئيس المحكمة الاقليمية

بالناضور ، والقى كلمة قيمة بين يدي جلالته فاستحسنها ـ رحمه الله ـ مضمنها : تعداد ما قام به جلالته هو وولي عهده ، وجميع الاسرة المالكة من التضحيات وما جاء الله به من النصر المبين له ولجميع شعبه الذي انقذه الله على يدي جلالته من يد الاستعمار الفرنسي والاسباني ، واخيرا دعا لنا ولريفنا بخير ، وانصرفنا عائدين الى الريف .

وبعد استطراد هذه الجمل في هذا التقييد الذي سميته:

الكشف والبيان ، عن حياة وسيرة الشريف الغازي
بطل الريف الاول سيدي محمد امزيـان
وبعض اخبار مقاومته هو واخوانه الريفيين
لابي حمارة ثم الاسبان

اقول : هو الشريف سيدي محمد امزيان بن الحاج محمد بن حدو بن البشير بن احمد بن احمد مكرر ابن عبد السلام بن صالح بن احمد بن ابراهيم المعروف عندهم بالتفالي بن صالح بن الوزير بن علي بن احمد بن محمد بن ابراهيم بن عيسى بن احمد بن سليمان بن يحيى بن يعلى بن عبد العلا بن اسحاق بن احمد بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي ، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من سيدي محمد امزيان الى ابراهيم التفالي محفوظ عند اولاد سيدي احمد بن عبد السلام المتقدم في سلسلة هذا النسب ، ومن التفالي الى ءاخر النسب ذكره صاحب شذور الذهب العلامة ابن رحمون في صحيفة 98 .

تاريخ ولادة الشريف سيدي
محمد امزيان ، واوليته

==

ولد الشريف حوالي سنة 1859 م ، وبعد ما شب ادخله والده الكتاب ليتعلم القرآن على عادة اهل الريف.

ثم بعد ما ترعرع صار يتجر في البقر والبغال ، يجلب ذلك الى مغنية وتلمسان من القطر الجزائري .

ولما كان للشريف من السمعة الحسنة والاخلاق الكريمة الطيبة فى الاوساط الريفية ، وكانت قبائل الريف في اوائل القرن الرابع عشر الهجري فى حالة تبعث على الاسى من كثرة العداوات بين كل قبيلة وجاراتها، وكثرة اللصوص وقطع الطريق على ابناء السبيل ونهب الاموال .

وكان عادة اهل الريف في ذلك العهد وبعده ، لا بد لمن كان فلاحا ان يسافر الى القطر الجزائري ليعمل فيه اجيرا عند المعمرين الفرنسيين الفلاحين الكبار في حصد زروعهم وجمعها ودرسها بالآلات ، وجمع الاعناب وعصرها خمرا وغير ذلك ، مما يقوم به الفلاحون الريفيون في القطر الجزائري ، واستمر حالهم على ذلك الى عهد الاستقلال ، فتنكر لهم اخوانهم الجزائريون .

غير ان هناك مبررا وهو خروج الكلون من الجزائر .

وبعمل اهل الريف في القطر الجزائري كانوا يحصلون على ضروريات معيشتهم بواسطة ما كانوا يتقاضونه في اجرة عملهم من الدراهم ، وبها يؤدون اصدقة الزوجات ، وبها يشترون الكسوة والبنادق وذخيرتها من القذائف والبارود والرصاص الذي كان يصلح في ارض الريف ، اذ لا بد

لكل ريفي يقدر على حمل السلاح من بندقية كيف ما كان نوعها ، ولا يستطيع ان يفارق منزله الا وهي بين يديه ، خوفا من اعدائه ، لكثرة العداوات بينهم .

ولاحترام القبائل للشريف يأتي اليه عدد من المسافرين القطر الجزائري يسيرون في ركابه ، وتحت حرمته الى ان يدخلهم القطر الجزائري سالمين ، دون ان يلحقهم اي اذى ، ويرجع بالجماعة الاخرى .

وكان مرورة في قبيلة كبدانة وكان الكبدانيون يتفانون في حبه ، وهبوا له املاكا واراضي واسعة الاطراف في رأس الماء وغيرها ، وزوجوه ، ولهم احفاد من ذريته يوجدون في دارهم القديمة ـ بازغنغان .

وللشريف ابناء عم هم فرسان الحرب ، كخليفته السيد محمد النباع ، والسيد محمد فتحا ابن السيد البركة ، والسيد احمد وحالو وغيرهم ، وكان اذا حدثت فتنة بين القبائل ، يسرع هو وابناء عمه لاطفاء نيرانها ، واصلاح ذات البين بين القبائل المتعادية ، ويحل مشاكلهم المعقدة .

وكان رحمه الله خير خلف لخير سلف .

واخيرا انتقل من دار والده بزاوية ازغنغان الى الدار التي بناها بمحل مدينة ازغنغان ، وكانت له هناك املاك واسعة .

وبعد ما احتل الاسبان ازغنغان حازوا تلك الاراضي ، وبنوا فيها مدينة ازغنغان ، وثكنة لجيشهم تتسع لنحو اربعة الاف جندي .

وجعلوا في داره مركزا للبوليس ، كما فعلوا باملاك بطل الريف الثاني الامير محمد عبد الكريم الخطابي رحمهما الله .

وكانت له ولاخوانه اولاد سيدي احمد بن عبد السلام املاك واسعة

الاطراف في بسيط بوعرك ، حبسها بعض القبائل على جدهم المذكور واستمرت بيدهم على الصفة الحبسية لا يستطيع احد منهم ان يفوت شيئا ماها ما دام - الشريف حيا .

وبعد استشهاد الشريف بمدة هم بعض اولاد الشريف سيدي احمد بن عبد السلام ببيع بعضها ، فمنعه قاضي قبيلة بني بويفرور العلامة المرحوم سيدي الحاج محمد بن البشير بن عمر ويقول لهم : لا سبيل لكم الى بيع ما حبس على جدكم ، لان ارض الحبس لا تباع ، - ودافعهم مدة.

ثم بدا للقاضي المذكور فتح باب بيعها وكان هو اول من اشترى منهم ، بعد ان اختار منها ارضا واسعة سقوية ، - وكذلك وقع ، فما كان الا بعض سنوات حتى تمزقت تلك الاملاك ، وتمزق بائعوها ومشتروها ، والبقاء لله .

وتلك عاقبة كل من خالف مقاصيد المحبسين في كل زمان ومكان .

اما الشريف فقد باع نفسه وروحه لخالقها فلم ينظر بعين الرغبة لا في مال ، ولا زوجة ولا ولد رحمه الله ورضي عنه .

واستمر الشريف على الحالة التي تقدمت الاشارة اليها الى ان وصل ابو حمارة الى قلعة سلوان سنة احدى وعشرين وثلاثمائة والف وصار يدعي النسب العلوي ، وانه مولاي محمد فتحا بن السلطان الاعظم مولاي الحسن رحمه الله ، كما ادعى ذلك من قبل في تازة ونواحيها .

ولما كان الشريف على علم بان ابا حمارة دعى ، وان نسبته الى العلويين كنسبة زياد في آل حرب ، - وان دعواه قد افتضحت باطلاق السلطان مولاي عبد العزيز سراح اخيه مولاي محمد - وولاه على فاس ، فلم تعد حيلة تنطلي على احد من اهل الخبرة والنباهة كالشريف .

اولية ابى حمارة الجلالي بن ادريس الزرهوني

اقول وبالله التوفيق ! تعرض جماعة من المؤرخين ، كالاستاذ العلامة المؤرخ الاديب السيد التهامي الوزاني ، في الجزء الثالث من تاريخه ، والمؤرخ الكبير الاستاذ الشهير محمد خير فارس في المسألة المغربية من تاريخه .

والاستاذ الكبير العلامة المؤرخ الخطير امام الادباء والمؤرخين في عصرنا الوزير المرحوم سيدي محمد المختار السوسي الالغي في الجزء العشرين من تاريخه الكبير المسمى بالمعسول ، وامين سعيد في تاريخه المسمى بالاستعمار الفرنسي في الشمال الافريقي لتاريخ ابى حمارة .

وفي هذا التاريخ صورة ابى حمارة يميل الى الطول ، لحيته سوداء ، فيها شعرات بيضاء ، يحيط بوسطه حزام جلدي فيه ثقب مملوءة بقذائف البندقية، وعلى ظهره سلهامان اعلاهما من الملف الاسود والذي تحته ابيض، وحوله بعض جياد الخيل تستلفت الانظار .

واحسن ما وقفنا عليه من تاريخ ابى حمارة هو ما جاء في المسعول ، لان اخباره وحروبه وتنقلاته رواها مؤلفه ـ رحمه الله ـ عن شاهد عيان ، وهو القائد الناجم بن امبارك بن مسعود وغيره من قواد ذلك العصر ، والناجم المذكور لازم حروب ابي حمارة مدة طويلـة ، الى ان قبض عليه اخيرا في ضريح سيدى عمران ، كما سياتي ان شاء الله .

قالوا : هو الجلالي بن ادريس الزرهوني من جماعة اولاد يوسف ، انه بعد ما ترك القراءة بفاس التحق بالقائد المسمى ولد ابا محمد الشركي ، وصار من جملة اعوانه ، وكان يتعلم السحر والشعوذة ، قيل : انه مهر فيها .

ثم انتقل الى خليفة فاس مولاي عمر بن السلطان الاعظم مولاي الحسن الاول بن مولاي محمد بن مولاي عبد الرحمان رحمهم الله ، وصار عونا وكاتبا عنده كما كان من جملة اعوان مولاي عمر لمنابهي الذي صار بعد وزيرا . ومحمد انفلوس الحاحي المدفون بمدينة تزنيت ، الذي صار بعد من قواد المغرب الكبار ، تولى الحكم في عدة نواح في المغرب ، من جملتها انه تولى الحكم في قصبة فرخانة عام 1315 .

وكان قاضيه المحدث الكبير الشيخ شعيب الدكالي رحمه الله .

وقصبة فرخانة واقعة بازاء مدينة مليلية الشهيرة التي احتلها الاسبان سنة 1497م .

ولما توفى السلطان مولاي الحسن ، وتولى على مملكة المغرب مولاي عبد العزيز رحمهما الله ، وكان صغيرا ام يرض خليفة فاس مولاي عمر بهذه التولية ، لانه كان عالما كبير السن من اخيه مولاي عبد العزيز .

وبعد النداء بمولاي عبد العزيز ملكا على المغرب ، جاء اهل فاس رجالا ونساء بايديهن الدفوف لياخذ الخليفة بيعتهم ، وتلك هي العادة .

ولما كان الخليفة غير راض عن هذه البيعة امر اعوانه ابا حمارة والمهدي المنابهي ومحمد انفلوس الحاحي وغيرهم بطرد الفاسيين وضربهم .

وبعد مدة حضر الوزير ابا احمد الى فاس والقى القبض على الاعوان الثلاثة .

وفي المدة التي قضوها في السجن صار كل واحد منهم يتكهن بمستقبله ، ويستخدمون في هذا التكهن ما يسمى باستخراج الزيرجة لعله الزيج بكسر الزاي وهو اسم لخيط البناء ثم جعل لقبا لعمل الميقات

لقواهم علا الخبط في أخذ استواء النجوم ، أفاده الزرقاني في الجزء الاول من شرح المواهب صحيفة 155 .

اما انفلوس فقال : انه يكون كبيرا متبوعا ، واما المنابهي فقال : انه يكون وزيرا .

واما ابو حمارة فقال: انه سيكون ملكا ويفسد على المنابهي وزارته.

قلت : وهذه التكهنات مخالفة لقوله تعالى : وما تدري نفس ما ذا تكسب غدا ، ؟ وقوله : قل لا يعلم من السماوات والارض الغيب الا الله

قالوا : وبعد ما مضت عليهم مدة من خروجهم من السجن، وارتفع شأن المنابهي زاره ابو حمارة في مراكش ، فرفض المنابهي مقابلته ، فكان هذا الرفض سببا لغضب ابى حمارة ، فصمم العزم على الثورة .

ثم بعد ذلك زار فاسا بمناسبة وجود السلطان مولاي عبد العزيز فيها ، وصلى معه الجمعة ، ثم خرج على حمارة من فاس الى القبائل ولذلك سمي ابا حمارة ، ثم بعد جولته في القبائل المجاورة لتازة انتهى الى قلعية من ارض الريف :

حكى لنا الشيخ المسن الرجل الصالح شيخ الطريقة العليوية بارض الريف مولاي سليمان بن مولاي المهدي اليزناسني اصلا الشريف الودغيري : ان ابا حمارة مر بقبيلة بني بويفرور احدى قبائل قلعية وبات عند والده في الدار التي كان يسكنها بفرقة اجزولة وهو لابس زي الصوفية ، ومعه بعض اصحابه ، يركب الاتانا ، وكان هو الذي يبتدئ الاذكار ، ولا زال الشيخ مولاي سليمان يحفظ ابياتا ، كان ابو حمارة يذكر بها ثم سافر الى القطر الجزائري وجال فيه .

قيل : انه اتصل هناك بالفرنسيين حكام الجزائر ، واطلعهم على نواياه ، وطلب منهم ـ التاييد والاعانة المالية ، والاسلحة ، فصادف منهم ءاذانا صاغية ، ووعدوه بكل ما طلب ، ورسموا له الخطط التي يسير عليها ، ودفعوا له الاموال التي يبتدئ بها حركته الثورية .

ثم عرج على الشيخ البعبدلي الجزائري واتخذه شيخا في طريق القوم يتستر بذلك ليعتقده الناس .

فرجع الى المغرب البائس الذي كان اذ ذاك تحت رحمة اكابر القواد والوزراء ، الذين لا هم لهم الا جمع الاموال ، وامتصاص دماء الضعفاء المحكومين ، وبناء الدور الفخمة . والاستكثار من الجواري الفاتنات من بنات القبائل والعبيد ، والانانية التي تكون في بعض الاحيان سببا في حروب طاحنة بينهم .

وكل واحد من اولائك القواد تجنس بجنسية احدى الدول الاوربية :

كما ان كل واحد منهم يهرب الاموال التي اختلسها من مساكين اخوانه المغاربة الى بنوك الاوربيين ينتفعون بها في انشاء مشاريع في بلادهم وغيرها ، يجنون من ورائها ارباحا طائلة .

فاذا اوقش احدهم الحساب من طرف الحكومة اظهر رسوم التجنيس ، فيتولى قنصل الدولة التى تحميه الدفاع عنه ، فبذلك لا تناله يد العدالة ابدا ، فالخسارة دائما على الشعب المغربي ، والربح لهؤلاء الخونة دائما .

ولهذه الفوضى اسباب ، اعظمها صغر السلطان مولاي عبد العزيز رحمه الله :

ومن الحكايات في هذا المعنى : ان امينا من امناء الريف قاعد على اموال الدولة التي كان يجمعها للدولة قدرها اربعون الف ريال حسنية ، فالقى عليه القبض من اجلها ، وكان للامين المذكور صاحب يهودي متجنس بالجنسية الانكليزية ، فزور اليهودي بتواطئ مع الامين المسجون رسما عدليا ، مضمنه ان لليهودي في ذمة الامين المسجون عددا من المال دينا في ذمته ، فاما ان تؤديه عنه الحكومة، والا سرحته ليبحث عن المال اين موضعه ، والا فتكون الحكومة المغربية مسؤولة.

وبامثال ما ذكرنا زالت هيبة الدولة ، وصارت شبحا بلا روح ، وهكذا صادفها الحال حين قام ابو حمارة بثورته :

تاريخ ابتداء ثورة ابى حمارة

==

وفي صحيفة 129 من المعضلة المغربية لمحمد خير فارس : انه ابتدأها في خريف سنة : 1902 م :

وكان اساس دعوته لنفسه وقيامه بالثورة ضد الملك مولاي عبد العزيز : ان السلطان الاعظم مولاي الحسن الاول لما رجع من الصحراء آخر حركة له سنة 1310 هـ سجن ولي عهده مولاي محمد فتحا في مراكش .

قيل : ان سبب سجنه انه كان شديد الوطأة على القواد الكبار ، وكان يهين من استحق الاهانة منهم لغطرستهم ، وكان يسير في جيش مستقل عن جيش ابيه .

حكى لي بعض من كان في هذا الجيش قائلا :

كان مولاي محمد جالسا في محلاته ، اذا به يرى فارسا مقبلا من محلة والده يسير سيرا حثيثا ، والى جانب ذلك الفارس عبد يسابر الفرس بسرعة .

وعند ما وقف امامه تبين انه من اكابر قواد والده فنظر مولاي محمد رحمه الله الى ذلك العبد فرأى العرق ، والرغوة البيضاء على ظهره من شدة الجرى مع فرس سيده ، فقال ، القائد :

اما تخاف الله في هذا المخلوق ، فوبخه توبيخا عظيما لم يشمم امثاله مثل ذلك، فقامت قيامة هذا القائد ، واعانه عليه قوم ءاخرون من اكابر القواد فتقدموا الى ابيه بالشكوى من الامير مولاي محمد .

وربما كانت هناك اسباب اخرى سببت غضب والده، فاودعه في سجن مراكش:

وبعد مدة قليلة توفي السلطان الاعظم الامام الحسن الاول رحمه الله ، فبايع اولائك القواد الملك الصغير مولاي عبد العزيز، ليتوصلوا الى اغراضهم ما دام صغيرا، وحجبه الوزير الاول احمد بن موسى المعروف بابا احمد ثم بعده غرنيط ، ثم بعده المنابهي .

ولما انتبه الملك الشاب لما كان يجري حوله وجد جوا متعفنا ، وابا حمارة امامه في نواحي تازة يدعي انه الامير مولاي محمد ابن السلطان مولاي الحسن الاول .

كيف ثار ابو حمارة
والعقائد الوثنية ، في زيارة الاضرحة

==

انتهى ابو حمارة حين رجع من الجزائر الى المغرب بقالب ساحر في زي صوفي الى قبيلة الحياينة ، وصادفهم في الحفل الذي يقام سنويا على ضريح سيدي محمد بن الحسن ، فاشترى سبعة ثيران سود ، فذبح الجميع على الضريح ، مجاراة منه للعوائد المالوفة عند المغاربة ، المتفانين في حب أصحاب الاضرحة ، يتقربون اليها بكل نفيس ويخافون سلطتها الغيبية ، وفي ذلك من فساد العقيدة ما فيه :

مسألة زيارة اضرحة الاولياء

==

قالت : اعتاد الناس زيارة اضرحة الاولياء في مشارق الارض ومغاربها ، ويقدمون لديها مطالب لا يقدر عليها الا الله وحده ، كطلبهم من صاحب الضريح ان يرفع المرض عن المريض الزائر ، وان يعطيه الاولاد والمال ، وان ينزل اضرارا بمن يعاديه ويدعون اصحاب الاضرحة من دون الله ، واذا حلفوا حلفوا باسم احدهم ويطلبون منهم الامطار ، ويطوفون بمباني الاضرحة ، كطوافهم بالبيت العتيق — اذا قام احدهم يقول عند قيامه: يا سيدي فلان ، ويقول كذلك اذا جلس لا يكاد هؤلاء يذكرون الله الا قليلا ؛

واذا ذبحوا قربانا نووا التقرب بها الى صاحب الضريح .

وسبب هذه القربان والنذور انهم يأتون الى صاحب الضريح المقصود عندهم ويقول احدهم من الرجال والنساء :

يا سيدي فلان ان شفيت مرضي اورددت الي فلانا الغائب او ما اشبه ذلك فلك علي ثور او كبش او ديك ، فاذا قدر الله قضاء مطلوبه جاء بالنذر .

وان ذبح الذبيحة باسم الله لكنه ينوي التقرب بها الى صاحب الضريح ، لا الى الله الذي خلقه ، وخلق ذبيحته .

واذا قيل لاحدهم ان هذه الامور ، وهذه المطالب لا يقدر عليها الا الله الذي هو على كل شيء قدير ، فالتوجه الى الله فيها من اول وهلة واجب على كل عبد لله يعتقد ذلك ؛

اجابك اعقلهم واخوفهم لله نعم ولكن نحن اصحاب المطالب اعمالنا ناقصة ومدخولة ، واصحاب هذه الاضرحة اعمالهم مقبولة عند الله ، لذلك نحن نتقرب بهم الى الله ليقضي مطالبنا بواسطتهم .

فنقول لهؤلاء : ان كتاب الله وسنة رسوله ينكران هذه الافعال ، ولا يقرانها .

اما السنة : فما جاء في حديث ابن عباس المشهور : اذا استعنت فاستعن بالله حتى قال عليه الصلاة والسلام :

لو اجتمع الأنس والجن وجميع المخلوقات على ان ينفعوك بشيء او يضروك لا يستطيعون الا بشيء قدره الله عليك ، او كما قال عليه الصلاة والسلام

وفي المسئلة احاديث يطول علينا تعدادها .

واما الكتاب : فمثل قوله تعالى : «واذا مرضت فهو يشفين» ، وقوله سبحانه : «قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر ، هل هن كاشفات ضره ؟ او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله» وقوله تعالى: «وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو» .

وقوله تعالى : «فلا تدعوا مع الله احدا»، وقوله: «ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له» .

وقوله: «ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ، فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين» .

وقد بلغت الغفلة والجهل من هؤلاء انهم يحلفون بالله كذبا وبهتانا ، انهم ما فعلوا كذا وكذا ، وهم فعلوه ، او سيفعلون ويحنثون ، ويهابون ان يحلفوا كذبا بسيدي فلان .

كما انهم اذا حلفوا يقول بعضهم : والله وسيدي فلان ، فاذا قيل له : احلف بالله ولا تزد ، لانه عليه السلام قال:

من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت اجاب بقوله : انت تبغض اولياء الله ، لا كلام مع من يبغض اولياء الله .

قال تعالى في مثل هؤلاء : «اذا ذكر الله وحده كفرتم ، وان يشرك به تؤمنوا» وقال : «واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون» .

وقال: «ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله» .

وهؤلاء الجهلة الغافلون يحبون اصحاب الاضرحة اشد حب اولا يعلم هؤلاء انهم سيموتون ويبعثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ويكون اصحاب الاضرحة اشد الخصوم لهم ، ويقول كل واحد من اصحاب الاضرحة :

يا رب ان عبيدك هؤلاء اتخذوني ندا فاقض بيني وبينهم والذي اخبرنا بهذا هو القائل :

«والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشركم ، ولا ينبئك مثل خبير» صدق ربنا الكريم .

وقال تعالى : ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء ، وكانوا بعبادتهم كافرين» .

يظن من يتخذ الوسائط الى الله ان الله سبحانه كملوك الدنيا ، لا يصل اليهم احد الا بواسطة الوزير او الحاجب ، ونحوهما .

وفرق بين من لا يعلم الامور الا بواسطة المامور ، وبين رب الارباب خالق الكون ، «الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور» .

وهذه العقيدة هي شبيهة بعقيدة المشركين الذين قال الله حكاية عنهم : « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » .

والله سبحانه قال لنا : « ادعوني استجب لكم » .

وقال : « واذا سألك عبادي عني فإني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني » الخ .

ولم تذكر الاية اي واسطة ، والدعاء مع العبادة ، كما في الحديث .

وحينئذ فالزيارة الشرعية المقابر الاسلامية التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، سواء كانت المقابر اضرحة او غيرها .

هو ان العبد المومن اذا وقف على قبور اخوانه المومنين ان يسلم على ارواحهم، خصوصا في ايام الجمع ويقرأ ما تيسر من القرءان، وينوي هبة ثواب ذلك لارواحهم ، ويخلص الدعاء لهم بطلب الرحمة لهم من الله سبحانه وحده

لان الدعاء بظهر الغيب للاخوان المومنين مطلوب شرعا .

وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه لا تنسانا يا أخي من دعائك !

وقال تعالى : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان» الخ.

وقال في حق الملائكة عليهم الصلاة والسلام: «الذين يحملون العرش ومن حوله، يسبحون بحمد ربهم ويومنون به ويستغفرون للذين آمنوا»الخ.

ثم بعد اسطراد ما تقدم في مسئلة زيارة المقابر نرجع الى الكلام على ابتداء حركة ابي حمارة ، حيث ان هذا الثائر الذي هو منبع كل شر وافق العامة على افعالهم .

وفي تقديمه للضريح ثيرانه السود من براعة الاستهلال ، انه يقوم بافعال سوداء عليه ، وعلى جميع المغاربة واستمر سواد افعاله الحالك ضاربا اطنابه على هذا الوطن العزيز ، نحو ستة واربعين عاما ، حتى جلاه الله على يد ملكنا الراحل مولانا محمد الخامس رحمه الله ورضي عنه، ويد ملكنا الحالي مولانا الحسن الثاني اعز الله نصره وخلد في الصالحات ذكره .

ثم شرع ابو حمارة في استخدام حيله وشعوذته ، وذلك بان جلس في جانب من ارض الاحتفال بالضريح المذكور ، بعد ذبحه ثيرانه الذي استلفت انظار الناس اليه ، وصار يبكي ، وحوله رؤساء قبائل الحياينة وغياثة والدسول والبرانس ، وغيرهم من قبائل نواحي تازة ، ويقول لهم :

اما علمتم ما حل بدارنا ، فان اخي الصغير عبد العزيز يشغله النصارى بعد ان احتلوا دارنا باللعب مع فتيات منهم ، وهم الذين يحكمون المغرب

الان ، وانا مولاي محمد فتحا بن الحسن ، اريد منكم ان تنصروني لانتزع المغرب من يد النصارى والخونة من المغاربة .

واعلم ابي حمارة علم يقين ان المغاربة لا يمكن بحال ان ينقادوا لرجل من غير الاسرة المالكة العلوية التي حكمت المغرب نحو اربعة قرون ، ولو كان متغلبا وقاهرا عسكريا وماديا يؤيد معتقد ابي حمارة قضية التهامي الكلاوي الذي خدم الفرنسيين ، وانقاد لهم .

. وبسبب ذلك فوضوا له في جنوب المغرب كان يحكمه شبه المستقل ، وجمع من مئات الملايين من الدولارات وغيرها ما يمكن له ان يكون في غير المغرب دولة قوية بتاييد فرنسا ، ومع ذلك لما تصلب محمد الخامس رحمه الله ، واستنكف من قبول مشاريع فرنسا التي كانت تقدم اليه في كل حين ، وفي مختلف الالوان، تقصد فرنسا من ورائها ابقاء المغرب على الوضعية التي كان عليها في ذلك العهد البائد ، فيقابلها بالرفض .

اقدمت على فعلتها الشنيعة بابعاده' الملك الشرعي عن عرش المغرب في 20 غشت سنة 1953 فجاءت بشخصية ضعيفة ، الا انها تنتمي الى الاسرة المالكة فاجلستها على العرش .

ولو كانت فرنسا متيقنة ان صديقها الحميم الكلاوي يرضى به المغاربة ملكا عليهم ما تورعت فرنسا عن ذلك ، ولو كانت فرنسا تعلم ان المغاربة يقبلون الجمهورية لساومتهم بها ايضا ويكون الكلاوي هو الرئيس، لكنها اختبرتهم في جميع الاحوال فوجدت عقول الشعب المغربي الا حفنة من الخونة تنفر عقولهم وافكارهم من جميع ما تريده منهم فرنسا ، وربما حتى الباشا الكلاوي لم يفكر في شيء من ذلك .

وسبب انطلاء دعوى هؤلاء الادعياء ان الامراء ابناء الملوك عادتهم انهم يحتجبون ، ويمتنعون من مخالطة ابناء الشعب فلا يعرفهم الا القليل .

وبعد ما ادعى ابو حمارة زورا وبهتانا انه مولاي محمد ولم يحفل بالوعيد الذي ورد في ذلك .

نقل ابن حجر الهيتمي في كتابه « الصواعق المحرقة ، في الرد على اهل البدع والزندقة »

احاديث عن البخاري في ذلك ، منها ان من اعظم الفرى ان يدعي الرجل الى غير ابيه او يرى عينه ما لم تر .

وفيه ايضا ليس من رجل ادعى لغير ابيه ، وهو يعلمه الا كفر .

وفيه من ادعى الى غير ابيه فالجنة حرام عليه .

وفي رواية : فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين .

وكتب ابو حمارة في طابعه : محمد بن الحسن ، وكيف يفكر في هذا الوعيد من تسبب في سفك دماء الآلاف العديدة من اخوانه المغاربة الذين لا يعلم عددهم الا الله .

وصادفت هذه الدعوى التي ادعاها ابو حمارة ان الناس كانوا يسمعون بكثرة في ذلك العهد المتضعضع ان بعض الدول الاوربية ، لها نية سيئة في المغرب ، وان بعض الاكابر من المغاربة المحميين يتواطؤون مع الاوربيين في احتلال المغرب ، فكان هذا مع جهل زعماء تلك القبائل المذكورة ، وغفلتهم وجهلهم بحال ابي حمارة وحقيقته ، وبما يضمره للمغرب من التخريب وشعوذته ، كافيا في انخداعهم واندفاعهم معه في حرب استطار شرره ، واكتوى بنار تلك الحروب جل اقطار المغرب العزيز من مليلية ونواحي وجدة الى الصحراء ، شارك فيها رجال من هذه الاقاليم المغربية .

وبعد ما بكى ابو حمارة في حضرة اولائك القبائل وزعمائهم المغرورين ، استداروا به وعاهدوه على القيام معه ونصرته حتى لا يطمع في المغرب دخيل . فعند ذلك اخرج اللويز السكة الذهبية الفرنسية التي جاء بها من الجزائر كما تقدم ، وصار يفرقها على زعماء القبائل واهل النجدة منهم وبعد ما بايعوه اركبوه على فرس ، واعطوا له فسطاطا ، ثم سار بمن التف حوله الى تازة وتمركز فيها ، بعد ما فر منها عاملها ابن الشكراء الزمراني ، وصار الناس من اهل تلك النواحي يأتونه طمعا في المال والجاه .

فلما كثر جمعه توجه بمن معه الى ناحية فاس ، ومع كل هذا فان الحكومة لا يهمها من امره شيء . حتى علموا بزحفه على فاس ، فانتبهت بعض الانتباه ، فوجهت لمحاربته مولاي الكبير بن السلطان مولاي الحسن ، ومعه القائد البشير بن سماح ، والقائد الفاسي ، والقائد يرعى السباعي ، والقائد محمد بن العربي البخاري . والقائد الجلالي الشرادي .

وبعد نشوب الحرب انهزم الجيش الحكومي ، وجرح القائد يرعى ، ثم ان مولاي الكبير طلب النجدة من الحكومة والمدافع ، فبعثت الحكومة بالقائد الشهير الناجم بن مبارك بن مسعود الاخصاصي السوسي .

القائد الناجم

واول دخوله ومشاركته في محاربة ابي حمارة ، الى ان القي عليه القبض وهو راوي مسرحية ابي حمارة ، كما اقدمت الاشارة اليه

وبعد تقهقر الجيش الحكومي امام ابي حمارة واصحابه استدعت الحكومة القائد الشهير الناجم بن امبارك بن مسعود ، فوجهته هو والقائد الشجاع صالح الزمراني في جيش صغير مكون من مائة وخمسين رجلا ، ومعهم مدفع واحد .

ثم ان الحكومة وجهت مولاي عبد السلام الامراني في جماعة اخرى الى مولاي الكبير ، والامراني هو رئيس الجيش باسره ، ثم توالى مجيء الجيوش من فاس ، جاء عيسى بن عمر بجيشه ، ومولاي عبد السلام الوزاني بجيشه . وسيدي محمد الامراني بجيشه ، وعباس المنابهي اخو الوزير المنابهي بجيشه.

وبعد تمركز هذه الجيوش في الحياينة هاجمهم ابو حمارة بمن معه ، فكان اول من فر اولائك الشرفاء وغيرهم من القواد الجبناء ، فتركوا فساطيطهم مملوءة بالخيرات ، والذخيرة الحربية .

وقد صادف الحال ان وصل من فاس الى تلك الجيوش خمسمائة بغلة محملة بكل شيء ، فترك ذلك الجيش الكبير جميع ذلك ، وفر هاربا لسوء تدبير امرائه المذكورين ، وجهلهم بخدع الحرب ، ولا يحسنون الا الانانية ، فانتهبت القبائل الموالية للحكومة الشرعية ما قدرت عليه ، والباقي حازه ابو حمارة واصحابه ، كأن الحكومة امدته بذلك ليعجل بالقضاء عليها .

وبعد استيلاء ابي حمارة وجيشه على الذخائر الحربية التي تركها له الجيش الحكومي المنهزم تقدم نحو فاس ، وأما الجيش الحكومي المنهزم من ساحة القتال ، والجيوش التي ارسلت لمساعدة المنهزمين ، كجيش محمد بن بوشتى بن البغدادي ، وجيش القائد ابن المدني الكلاوى واخيه التهامي ، فقد رجعت الى فاس بدون قتال ، لانه يكفي في هزيمة القواد الانانيين سماعهم بان ابا حمارة واصحابه يقصدونهم ، فتضطرب قلوبهم خوفا وفزعا منه ، ويفرون امامه . قال القائد الناجم : كفرار الارانب من الكلاب السلوقية .

ثم ان وزير الحربية المنابهي جمع تلك الجيوش المنهزمة في ظهر المهراز ، واخرج اليها الفساطيط والسلاح الجديد والدخائر الحربية ، ونظمها وقادها بنفسه الى ميدان القتال ، فجعل على ميسرته عيسى بن عمر ، والمدني الكلاوى ، وبرعى الصباعي وغيرهم من قواد الجيش ، وعمر اليوسى ومن معه من البرابرة على ميمنته . وفي مقدمته ثلاثة طوابير ، فهاجم المنابهي ، - قال الناجم : وكان شجاعا جريئا - جيش ابي حمارة هجوما عنيفا ، فانهزم ابو حمارة واصحابه هزيمة منكرة واستردوا منه ما كان غنمه من الجيش الحكومي .

والتجأ ابو حمارة واصحابه الى عين مديونة من صنهاجة ، وصار يوصي اصحابه بالاحتياط ، وجعل علامة يعرف اصحابه بها بعضهم بعضا وهي كلمة : سالم .

ثم تقدم الجيش الحكومي وسار في مقدمة الجيش القائد الناجم ، والقائد الحسين البعمراني مع الجيش الشرادي ثم ان ابا حمارة جاء في اصحابه ليلا ونهب محلة الشراردة ، واخذ المدفع الذي كان فيها ، فلم يغثهم احد من الجيش الحكومي الذي كان قريبا منهم ، خوفا من ابي حمارة ،

وفي الصباح الباكر سار الجيش في اثر ابي حمارة الى عين مديونة ، فاخرجوه منها فاستردوا المدفع وفكوا الاسرى الذين كان اسرهم في الليلة الماضية ، وكان من حق هذا الجيش ان يغتنم فرصة انهزام ابي حمارة ، باقتفاء اثره ، حتى يتم القضاء عليه ، لكنه لم يفعل ، فبدلا من اتباعه رجع الى فاس .

وبعد مدة خرج ذلك الجيش الى قبائل « الجبال » لاخذ اموالهم وتوظيف الغرامات عليهم .

ثم صدرت الاوامر باتباع ابي حمارة ، جاء في الرسالة التي تامر باتباع ابي حمارة بان الجيش مشتغل بقبائل « اجبالة »، وما هي اجبالة ؟ فاوراقها دائما بيضاء ، والحكومة تنفق كل يوم مائة الف ريال وخمسين الف ريال ، فتذهب هذه الاموال بالاشتغال باجبالة ثم ولى الجيش وجهه شطر تازة فصارت القبائل الخاضعة لابي حمارة تحارب الجيش الحكومي ، واما ابو حمارة . فقد كان اذ ذاك قد احتل مدينة وجدة ، وبويع له فيها ، وفي نواحيها ، وصار يخطب له على منابر المساجد في تلك النواحي .

ولما دخل المنابهي بتلك الجيوش الجرارة التي قيل عنها : ان عددها بلغ نحو سبعين الفا ، عثى ذلك الجيش خصوصا في ملاحها فسادا ، ثم قرر المنابهي وجماعة من القواد احتلال قصبة « امسون » الواقعة في ارض هوارة شرق مدينة تازة ، ليكون من بها من الجيش الحكومي في نحر العدو ، فصار اليها جماعة من القواد : القائد لحبيب ، والقائد الحافظ ، والقائد ابن ادريس ، والقائد ولد السيد ملود ، والقائد عمر ، وهؤلاء القواد هم رؤساء الجيش الشرادي ، ومعهم القائد محمد بن العربي بن حمو البخاري، والقائد

السفياني ، والقائد المالكي ، والقائد صالح الزمراني ، والقائد الشهير الناجم تحت رياسة الشريف السيد المدني السملالي الذي كان ابو حمارة انتهب داره .

وبعد تمهيد ابي حمارة مدينة وجدة ونواحيها زحف على تازة ، فاصطدم بحامية « امسون » وكانت بين الفريقين معارك عنيفة ، هلك فيها كثير من الناس .

ثم استانف ابو حمارة هجومه على قصبة « امسون » وحاصرها بعد ما فر امامه من فيها من الجيش ، واغلق بعض من كان في داخلها من قواد الجيش الحكومي الباب على من وصل اليها من الفارين ، ولو ان الله سبحانه اذن لرصاصة ان تخترق جسد ابي حمارة لقضى على تلك الحامية القضاء المبرم ، وعند ما كان ابو حمارة يحارب حامية « امسون » ويضيق الخناق عليها ، كان الجيش الكبير الذي كان مرابطا في تازة واقفا موقف المتفرج ، رغم الاستغاثات المتوالية من قواد حامية امسون .

ولما جرح ابو حمارة وانسحب بجيشه الى قبائل البرانس والدسول وغيرها جاء جيش من تازة يحمل ذخائر حربية الى حامية « امسون » .

اما وزير الحربية المنابهي فقد ترك جيشه في تازة واصبح ذاهبا الى فاس ، فلما وصلها اتصل بالسلطان مولاي عبد العزيز والتمس منه ان يخرج الى تازة ، ليراه الناس .

وبسبب ذلك ان ابا حمارة واصحابه كانوا يذيعون في الناس ان النصارى ذهبوا به الى جهة مجهولة ، فعارض في ذلك غيره من الوزراء ، وقالوا : لمولاي عبد العزيز ان المنابهي ترك الجيش في تازة وجاء يطالبك

بالخروج معه ، فباي جيش تخرج ، ثم فكر المنابهي في استخدام نفوذ شرفا' وزان الذين كانت قبائل البرابرة تهاب بركتهم ، فتوسط مولاي الطيب الوزاني ، وطلب من البرابرة الخروج في ركاب السلطان مولاي عبد العزيز فخرجوا باجرة قدرها المفارس ريالان عزيزيان ، وللراجل ريال واحد لكل يوم ، فبسبب ذلك خرج مع السلطان جيش كبير ، ورافق المنابهي السلطان في خروجه الى ان نزل في اوطا اعبان ، وصار يشرف على سير الحرب التي تدور رحاها في نواحي تازة ، وهو بعيد عنها .

كما ان السلطان اراد احباط دعوى ابي حمارة المكشوفة بانه مولاي محمد بن مولاي الحسن ، فاطلق اخاه مولاي محمد من سجن مراكش وولاه على فاس وبذلك تيقن الناس كذب ابي حمارة .

واما ابو حمارة فانه بعد ما جرح في ناحية « امسون » بطلقة نارية حمله اصحابه الى البرانس ، ثم الى مكناسة ، ثم صدرت الاوامر الى طابور حمران وقائدهم ، وطابور القائد يرعى السباعي باتباع ابي حمارة .

وبعد وصولهم الى المكان الذي هو فيه بيتهم اصحاب ابي حمارة ليلا فاهلكوهم ولم ينج منهم الا القائد يرعى في ثلاثة من اصحابه ، واما الحريون فهلكوا عن آخرهم وهم خمسمائة ، وهكذا شأن هذا الجيش الحكومي يسير بدون نظام ، وبدون اخذ الاحتياطات ، فينقض عليه ابو حمارة فيهلكه في اسرع وقت ، وبذلك تمكن الخوف من قلوب قواده ، فصاروا يفرون بمجرد سماعهم انه قريب منهم ، وهكذا صار ابو حمارة قويا بما غنمه من السلاح والذخائر الحربية وصارت القبائل تاتيه وتلتف حوله اكثر مما مضى .

الجهار عبد الملك محي الدين

==

وفي مكناسة وصل اليها الامير عبد الملك بن الحاج عبد القادر بن محيي الدين الجزائري الفارس المشهور ، كان عبد الملك قائدا حربيا محنكا شجاعا له معرفة تامة بتسيير المعارك الحربية ، وصار يحارب الجيش الحكومي مع ابي حمارة فينتصر ابو حمارة ، وبعد مدة فارق عبد الملك ابا حمارة .

ثم بعد نشوب الحرب العالمية الاولى سنة 1914 ارادت المانيا ان تشغل فرنسا في المغرب ، فبعثت الالماني هارومان المشهور وجعلت الى جانبه عبد الملك هذا ، وصارا يحاربان فرنسا ، ويقطعان الطريق على قوافلها الآتية من وجدة والمارة على تازة الى داخلية المغرب ، وكان مركزهما قبيلة اجزناية ، بموضع يسمى بالكيفان، وكانا ينفقان اموالا طائلة تاتيهما على طريق مليلية تحت مراقبة الاسبانيين ، واستمرا على ذلك الى ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها والحقا بالفرنسيين خسائر فادحة .

ثم بعد ذلك انتقل عبد الملك الى ناحية الجبهة من شواطئ قبيلة غمارة التي لم تكن في ذلك الحين تحت النفوذ الاسباني واستمر مقيما هناك وبعد ما صارت قيادة المجاهدين الريفيين بيد الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي سنة احدى وعشرين وتسعمائة والف والحق بالاسبانيين تلك الهزائم التي لا ينساها التاريخ .

ولما ضاق الخناق على الاسبانيين صاروا يبحثون عمن عسى ان يقوم لهم بشيء فيه منفعة لهم من المغاربة انفسهم ، وذلك باغراء زعماء قبائل الريف الملتفين حول الامير محمد بن عبد الكريم بالمال والجاه وغير ذلك ، مما اعتادت الدول الاستعمارية استخدامه عند ما يشتد عليهم الامر نجاءوا

بادريس بن سعيد السلاوي ، وادريس الريفي التمسماني ، وعبد الملك بن محي الدين الجزائري ، فقاموا لهم ببعض ما طلب منهم . غير ان امرهم لم يطل ، فقتل السلاوي في الخطوط الامامية في تفرسيت ، وقتل عبد الملك في الخطوط الامامية في ناحية حجر الطاجين قرب تفرسيت في 7 غشت 1924 وانسحب التمسماني قانعا من الغنيمة بالاياب ، وحمل عبد الملك الى تطوان ليدفن هناك ، واحتيج الى من يغسله فامتنع كل من طلب منه ذلك ، ولم يغسل الا بعد التهديد .

وسبب ذلك الامتناع هو كون عبد الملك مات تحت راية غير مسلمة وضد راية وطنية مسلمة ، تدافع العدو الغاصب عن كرامتها .

وهذه نهاية ذلك البطل العربي ابن ذلك الهمام العظيم ، الذي افنى شبابه وكهولته في الدفاع عن وطنه الجزائر ، ودام نحو خمسة عشرة عاما ، نعوذ بالله من سوء العاقبة .

هذا وبعد ما برئ ابو حمارة من جرحه ، وقضى على الجيش الحكومي الذي تبعه الى مكناسة واكتسب من جديد قوة بما غنمه ، صار يحارب الجيش الحكومي المرابط في « امسون » وتازة ، ويضيق الخناق عليه ، ويحاصره من سائر الجهات ، وانقطعت السبل بين تازة وامسون ، وبينهما وبين فاس وتوالت المعارك ، وانجحر الجيش الحكومي في تازة وامسون ، وفشل وذهبت هيبته من قلوب اصحاب ابي حمارة .

يقول الوزاني في الجزء الثالث من تاريخه انه اتفق لابي حمارة انه مر في بعض الايام امام مركز من مراكز الجيش الحكومي ماشيا على قدميه . وخلفه سبعة من جياد الخيل ، يقودها بعض اصحابه ، فامطره من في المركز بوابل من الرصاص ، وابو حمارة لم يكترث ، ولم يبال باهل

المركز ولا بطلقاتهم النارية ، حتى جاوزهم دون ان يصيبه اذى ، فافتتن بذلك الجيش الحكومي واصحاب ابي حمارة معا .

ولما انقطعت السبل بين فاس وتازة وصار لا يصل من فاس الى تازة شيء الا بعد حروب عنيفة مع اصحاب ابي حمارة .

وفي بعض الايام جاء القائد المدني الكلاوي هو واخوه التهامي بمال من فاس محمول على خمسمائة من البغال ليوصله الى الجيش الذي في تازة وامسون ، فلما وصل به وادي لحضر ، تعرضت له القبائل الموالية لابي حمارة ، فكانت بين الفريقين معركة هائلة جرح فيها المدني الكلاوي ، وما وصل بذلك المال الى تازة ، الا بعد مشقة فادحة .

ولما رأى كبار قواد الجيش المرابط في تازة ان الامر لا يزيد عليهم كل يوم الا شدة ، فروا الى اوطا اعبان ، المحل الذي ينزل فيه السلطان ، وتركوا جيشهم في تازة ، غير ان اولائك الرعاديد الرؤساء لما وصلوا في سيرهم الى وادي لحضر انقض عليهم اصحاب ابي حمارة فقتلوهم ، ولم ينج منهم الا القليل وصار السلطان كلما ارسل جيشا لفك الحصار عمن بتازة فر من اصحاب ابي حمارة ورجع الى السلطان، ومات بالجوع الآلاف من الخيل والبغال والابل التي كان يستعملها ذلك الجيش الجرار في الركوب وحمل الاثقال .

ولما لم تنجح جميع المحاولات التي قام بها السلطان وحكومته في فك الحصار ، اصدر اوامره الى من بتازة وامسون باخلائهما ، وجاء في تلك الاوامر ان المحصورين ان استطاعوا ان يشقوا طريقهم الى فاس فعلوا ، والا فليذهبوا الى مدينة وجدة، وهناك تاتيهم المؤن والذخائر الحربية على طريق البحر .

وخوفا من ابي حمارة واصحابه الذين يسيطرون على النواحي التي بين تازة وفاس ، فضلوا الذهاب الى وجدة ، وان بعدت المسافة فذهبوا اليها بعد ما احرقوا من الذخائر الحربية ما عجزوا عن حمله .

ولما كان هذا الجيش غير مضبوط افسدوا بعض الزروع التي مروا عليها في طريقهم، وعند ما وصلوا الوريرت ارتكبوا في ملاح اليهود وغيره ما يخل بشرف الجنود الاحرار ، وعند ما وصل هذا الجيش الى « عيون سيدي ملوك » تركوا هناك حامية ،

وكانوا على ميعاد هناك مع القائد حماد البوزكاوي ، فلم يتفق حضوره هو بنفسه ، وتلقى الجيش هناك بعض ابنائه .

وبعد ما وصل الجيش الحكومي الى وجدة تمركز فيها وهكذا استمرت هذه الحروب بين ابي حمارة واصحابه من جهة ، والجيش الحكومي طيلة عامين : 1919 و 1920 فيما بين تازة وفاس .

وبعد اخلاء الجيش الحكومي لتازة ونواحيها صفا الجو لابي حمارة وصار نفوذه يمتد من نهر « سبو » الى مليلية باقصى الريف وانتقلت المعارك الى ناحية وجدة ، كما سيأتي ان شاء الله .

واما ابو حمارة فبعد ما دخلت سنة احدى وعشرين وثلاثمائة والف ، وتوقفت الحروب في ناحية تازة بعض التوقف ، وولى العمال على تلك القبائل سار ابو حمارة قاصدا ارض الريف ، فمر على صنهاجة ولما وصل الى عين زورة بارض قبيلة امطالصة تلقاه هناك جماعة من اعيان الريف ، منهم القائد الشهير السيد احميدة بن شلال قائد قبيلة بني بويفرور والحاج عمر والمطالصي قائد امطالصة ، وغيرهما من زعماء الريف واهدو له الهدايا كالخيل وغيرها وساروا في ركابه الى سوق اربعاء تزمورت بقبيلة بني سيدال .

محاصرة قصبة فرخانة

وقبل هذه المدة بايام هاجمت قبائل قلعية الجيش الحكومي الذي كان مرابطا بقصبة فرخانة ، وعدده نحو خمسمائة جندي ، تحت قيادة البشير ابن سناح الذى جاء عقب القائد محمد الفلوس الحاحي حاكما على قلعية ومواجها لمليلية ، ليحول بين قبائل قلعية والجيش الاسباني ، حتى لا يرد بينهما الاصطدام الذي وقع في عام عشرة وثلاثمائة والف على الحدود ، واحاط المهاجمين بالجيش الحكومي المنحصر في قصبة فرخانة من سائر الجهات .

اخبرني من شاهد تلك المآسي انه لما تم الحصار بعث رؤساء المحاصرين بكصر الصاد الى القائد البشير بن سناح قائد الجيش المحاصر يأمره بالخروج ، ويذهب الى مليلية دون ان يمس هو ومن معه بسوء ، ولكن القائد البشير رفض الانصياع الى ما طلب منه ، وامر جيشه الباسل باطلاق النار على المهاجمين ، واشتدت المعارك وسقط بين الفريقين عدد من القتلى :

ولما اشتدت مقاومة الجيش الحكومي نحو عشرة ايام فكر المهاجمون في استخدام ما يعجل القضاء على حامية القصبة . فحفروا غارا تحت سور القصبة ، ووضعوا فيه الالغام ففتح انفجارها الهائل ثغرة عظيمة في سور الحصن ومات جميع من كان فوق البرج الذي وقع تحته الانفجار ، فاضطر علد ذلك القائد البشير لاخلاء الحصن فخرج عند الفجر تحت وابل من الرصاص الى ان دخل حدود مليلية .

اخبار وجيزة عن حروب قلعية والاسبان
عام : 1910

واما الوقائع التي حدثت بين الاسبانيين وقبائل قلعية عام عشرة وثلاثمائة والف التي وقعت الاشارة اليها مانفا والتي كانت سببا في بناء قصبة فرخانة ، فسببها ان الاسبانيين سبق لهم ان اعتدوا على المغرب وَاحتلوا تطوان ونواحيها في سنة 1860 خرجوا اليها من مدينة سبتة وهي مدينة اول من احتلها البرتغاليون سنة 1415 ، ثم سلموها للاسبان بمقتضى معاهدة لشبونة سنة 1688 ، ثم احتلها الانكليز سنة 1860 فانسحبوا منها بعد مدة قليلة فعادت الى الاسبان وَهي بيدهم الى الآن . وقع احتلال تطوان في زمن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان .

وَفي 27 شعبان 1276 هـ . موَافق 25 مارس 1860 م . انعقد الصلح بين المغرب والاسبان ، عقده من جهة المغرب مولاي العباس بن عبد الرحمان ، ومن جهة الاسبان القائد الاعلى لجيش الاحتلال ، على ان يدفع المغرب غرامة حربية للاسبانيين وقدرها 20 ـ مليون من الريالات الاسبانية وان تدفع الارض التي هي الآن حدود لمدينة سبتة والارض التي هي الآن

حدود لمدينة مليلية وان لا يعتدي الريفيون على سكان مليلية والجزر التي في شواطئ الريف كجزر الزعفران والنكور وغيرها ، وان يبني الرهبان كنيسة ودارا للتبشير في فاس وغير ذلك من الشروط القاسية ، وصار المغرب يؤدي الغرامة المذكورة طيلة خمسة وعشرين عاما ، وقد احتل الاسبانيون في يوم 18 رجب سنة 1276 هـ . موافق 11 فبراير سنة 1860 م .

ولم يخرجوا منها الا في يوم الجمعة 2 ذي القعدة 1278 هـ . ومن منذ فرض تلك الشروط ، والاسبانيون يطالبون المغرب بتنفيذها ، والحكومة المغربية تسوفهم ، فلما راوا أن الحكومة المغربية لا تنوي القيام لهم بشيء مما يطالبون به ، وكان نشوة انتصارهم على المغرب في حرب تطوان ونواحيها لا زال طنينه في آذانهم اصدروا اوامرهم للحاكم العسكري بمليلية الجنرال مرغايو ـ لاحتلال تلك الاراضي التي وعد المغرب بها اسبانيا بالقوة وبناء الثكنات العسكرية على حدود تلك الارض الممنوحة لهم وفي اوائل اوليوز سنة ثلاثة وتسعين وثمانمائة والف م . خرج الجنرال مرغايو ـ بجيشه ، واستمر سائرا الى ان وقف على هضبة تشرف على ضريح سيدي ورياش الودغيري تسمى لعري ، وحول الضريح مقبرة عظيمة واسعة الاطراف ، وفيها من الشهداء ما لا يعلم عددهم الا الذي اكرمهم بالشهادة ، وقد احتل الاسبان مدينة مليلية سنة سبع وتسعين واربعمائة والف ميلادية كما تقدمت الاشارة اليه : قلت ومن المهم القاء نظرة وجيزة تاريخية على مدينة مليلية وهي كما جاء في التاريخ الوجيز المسمى ـ بكتاب المغرب للعلامة المؤرخ السيد الصديق بن العربي صحيفة 106 ، قال : يرجع تاريخها الى العصور القديمة حيث عرفها الفنيقيون ـ والقرطاجنيون والرومان ، وفي القرن الهجري الاول استقر بها امراء يفرن ثم جدد بناءها

موسى بن ابي العافية واحتلها امويو الاندلس ثم انشأ بها الموحدون والمرينيون عدة منشئات الى ان احلتها اسبانيا سنة 902 هـ . وفق 1497 م. ومن منذ ذلك الحين والصراع قائم على اسوارها والشهداء الابرار يسقطون ويدفنون حول الضريح المذكور ويدفن موتاهم في تلك التربة جميع اهالي فرخانة ، وغيرهم ممن يجاور الضريح المذكور .

ويقتابه الناس للزيارة رجالا ونساء ، ومع ذلك كله ادخل في الارض التى يطالب بها الاسبان ضريح سيدي ورياش وما حوله .

قلت : هو ورياش بن عيسى بن يخلف بن عثمان بن ايميش بن ابراهيم بن ورياش الاول بن عيسى بن عبد الرحمن بن علي بن اسحاق بن احمد بن محمد بن ادريس ابن ادريس الى آخر النسب المذكور في كتب النسابين ، كالدرر البهية وزهرة الاخبار وسلسلة الاصول والدر النثير ، فيمن ثبت وصح نسبه من الشرفاء الوداغير وغيرها .

ولما احتل الجنرال مرغايو هضبة لعري ، وصمم على ضم الضريح والاراضي التي حوله ، بدعوى انها تشملها حدود الارض الممنوحة لهم من طرف الحكومة المغربية بمقتضى شروط ابرموها مع الحكومة المذكورة ، ولما وجد زعماء قلعية انفسهم امام الامر الواقع طلبوا من الجنرال مرغايو ان يكون حد الارض الملوحة لهم في الجهة الغربية الموالية للضريح هي المقابر نفسها ، ويعوضونه ارضا اخرى قريبة من مليلية ويبقى الضريح وارض المقبرة المحيطة به جزءا لا يتجزء من التراب المغربي فامتنع وحاولوا اقناعه بشتى الوسائل ففشلت تلك المحاولات ، وشرع الجنرال مرغايو وجيشه في بناء اول ثكنة عسكرية على هضبة لعري .

ولتفاني الاهالي فى محبة صاحب الضريح سيدي ورياش ، ومحبتهم الوقوف على مقابر اسلافهم المدفونين حوله يستحضرون في اذهانهم انه عن قريب يصبح الاسبان يحتكمون في تلك البقعة فلا يصل اليها احد الا باذنهم ان تم اهم ما هم بصدد تنفيذه . وقولنا ، ولتفاني الاهالي في محبة سيدي ورياش الخ . يؤيده ما جاء فى الجزء التاسع من كتاب الاستقصاء صحيفة 205 ونصه : ولي الله سيدي ورياش وهو عند اهل تلك البلاد عظيم القدر شهير الذكر يتناوبونه للزيارة ويتبركون به ويدفنون عنده موتاهم اه .

وعند ذلك قرروا الدفاع ولو كلفهم امرا عسيرا ، فبعثوا من هدم ما بناه في هضبة لعري - ليلا .

وفي 28 شتمبر سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة والف ، عاد الاسبان فاعادوا بناء ما هدمه الاهالي من فرخانة وغيرهم ، فخربه الاهالي مرة ثانية ليلا ايضا ، فعند ذلك قرر الجنرال مرغايو ان تقوم فرقة من جيشه بحراسة البناية ليلا ونهارا ، ويطلقون النار على من دنا منهم ، ويحضر الجنرال مرغايو وجيشه عملية البناء ، لما يشاهده من الاهالي بانهم يقومون بحركات غير عادية ، لذلك كان هو وجيشه على استعداد تام دائما لرد كل هجوم يقوم به الريفيون المغاربة .

وفي يوم الاثنين ثاني اكتوبر سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة والف اجتمع قبائل قلعية بسوق الاثنين الذي كان مقرة قريبا من ضريح سيدي ورياش ومن هناك هاجم قبائل قلعية الجيش الاسباني هجوما عنيفا واحاطوا به وخالطوه مخالطة من لا يهاب الموت ، وفي كل ساعة من ساعات القتال يكون هجوم الريفيين اعنف بوصول المستصرخين من قبيلة بني شكار وغيرها ، والجنرال مرغايو ومساعده الجنرال ارتيغا -

يقاتلان اشد القتال .

وفي المساء انهزم الجنرالان مرغايو وارنيغا وجيشهما بعد ما تركوا في ساحة الوغى عددا من القتلى والاسرى ، وتبعهم الريفيون الى ان التجأوا الى هضبة تسمى كبريريسة ، واحاط هناك رجال قلعية بالجيش الاسباني وقائديه مرغايو وارنيغا ـ وانتزعوا منهم المدافع التى كانت معهم ، وقاوم الجنرالان مقاومة شديدة الى ان قتل الجنرال مرغايو في كبريريسية برصاصة اصابته في راسه واستمر الجيش الاسباني في موقف حرج ، وصار ينتظر لفظ انفاسه الاخيرة ، غير ان جيشا لاسبانيا قويا خرج من مليلية ، وبعد قتال عنيف تمكن من فك الحصار وحمل الجنرال مرغايو المقتول والجرحى ، ودخلوا مليلية وصار الجنرال مسياس ـ قائدا للجيش الاسباني بعد مرغايو وفي ثمانية وعشرين من نوفمبر سنة اربع وتسعين وثمانمائة والف ، حضر الى مدينة مليلية الجنرال مارتينيس كامبو قائدا اعلا للجيش الاسباني ، ثم امرت الحكومة الاسبانية مرتينيس ـ بالسفر الى السلطان مولاي الحسن الاول ، فاتصل به وشكى له ما فعله بهم اهل الريف ، فالتزم السلطان ان يؤدي لهم تعويضا عن خسائرهم ، قدره اربعة ملايين ريال ، وعين اخاه مولاي عرفة للنظر في شان حدود الارض التي منحها لهم والده السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان تحت الضغط عندما احتل الاسبان تطوان ونواحيها .

وفي احدى وعشرين من نوفمبر سنة اربع وتسعين وثمانمائة والف ، وصل مولاي عرفة الى حدود مليلية .

وفي ثالث وعشرين منه اجتمع بالجنرال مسياس ، واتفق الطرفان على وقف تلك الحروب بعد قبول الاسبانيين التنازل عن ضم البقعة التي

فيها مقبرة ـ الاهالي ، وضريح السيد ورياش ، واخذهم عوضا عنها في محل آخر بعد توبيخ مولاي عرفة لزعماء قبائل قلعية ، وتهديدهم حيث قاموا بما قاموا به بدون اذن السلطان فنتج عن ذلك اداء تعويضات باهضة .

وفي الجزء التاسع من تاريخ الاستقصا صحيفة 602 ـ ان من قام من المغاربة في مفاوضة الاسبان ورضي بدفع هذا التعويض لهم في نهاية الغفلة ، لان الاسبان لو قبلوا من اول الامرالتنازل عن الارض التي فيها مقبرة الاهالي ، كما فعلوا اخيرا ، ما وقع بينهم وبين الريفيين ما وقع ، ولكن الاسبانيين اسكرتهم نشوة انتصاراتهم في تطوان ، فظنوا ان الريفيين كغيرهم فلم يعبؤا بمطالب الريفيين فانتقم الله منهم .

وقد استقصى حروب مرغايو ـ بناحية سيدي ورياش القائد الشهير الكولونيل مراليس ـ المقتول في وقائع انوال ، سنة احدى وعشرين وتسعمائة والف مع الجنرال سلبسطري ـ القائد الاعلى للجيش الاسباني المنهزم من مركز انوال وغيره ، وهذا الكولونيل له تاريخ مدينة مليلية ، وهو تاريخ عجيب ، تكلم فيه مؤلفه بكل انصاف ودون تحيز .

ومنه اقتطفنا هذه الجمل التاريخية التي لها علاقة بتاريخ ابي حمارة بسبب امره باحتلال قصبة « فرخانة » واخراج الجيش الحكومي منها ، الذي كان يحرس الحدود المحلولة بين الاسبان وقلعية ، حتى لا تتكرر حوادث عام عشرة وثلاثمائة والف هـ . كما تعرض صاحب الاستقصا اشيء من اخبار تلك الحوادث ولكنه لم يفصل تفصيل العقيد مراليس .

قلت : ولنرجع الآن الى سياق الكلام على ابي حمارة الذي تركناه نازلا في اربعاء تزموزت بقبيلة بني سيدال ، وقد اجتمع عليه هناك

القبائل التي يتكون منها الآن اقليم الناضور : تمسمان ، بني توزين ، تفرسيت ، بنو اولشيك ، بنو سعيد ، امطالصة ، بنو بويحيي ، اولاد ستوت ، كبدانة .

قبائل قلعية الخمس : بنو سيدال ، بنو بويفرور ، بنو بوغافر ، بنو شكار ، مزوجة .

وعين لكل قبيلة عاملا منها يجمعون له المغارم المفروضة على الناس التي منها يتكون بيت ماله .

وبعد ما اطاعته هذه القبائل انتقل الى قلعة سلوان عاصمته الشرقية وفي التاريخ الموسوم بالحوالة الريفية من صحيفة 165 الى صحيفة 175 ، ما نصه الغرض منه امر السلطان الاعظم مولانا اسماعيل ببناء قصبة سلوان في اواخر جمادى الاولى عام 1089 هـ . موافق يوليوز 1678 م .واستغرق بناؤها سنة وثلاثة اشهر وقدقام بهندسة بنائها ابو العباس احمد بن عبد الكريم من مالك التوزني والغربية هي تازة ، ومعه عمال القبائل الجدد المعينون من طرفه والزمهم ان يكونوا معه دائما لا يفارقونه الا باذن خاص ، وان يكون مع كل قائد مئات من رجال الحرب من قبيلته لا يفارقونه ابدا ، ويكون حضورهم في جيش ابي حمارة بالتناوب يعين لكل فرقة منهم نحو شهر ، فاذا تمت المدة المعينة لها في الرباط مع جيش ابي حمارة الذي يلازمه دائما وابدا ، ذهبت لمباشرة اشغالها من فلاحة ورعي وحرث وحصاد وغير ذلك ، ولكن لا تنسحب حتى يخلفها غيرها في موقفها بجانب قائدها وهم على استعداد لخوض المعارك بجانب ابي حمارة ، وينفقون على انفسهم .

وقد اعتادوا ان يعيشوا معيشة ضيقة يقتاتون غالبا خبزا يابسا بتين

وزبيب وبصل ، ويشترون بلادهم من خالص مالهم وابو حمارة لا يمكلهم الا بغذائفها عند مباشرتهم الحرب ، وهم مع ذلك اقوياء اشداء تدربوا على ارتكاب الشدائد والاخطار من منذ نعومة اظفارهم ، حتى ان جلهم لا يكترث بالموت وقعت عليه ام وقع عليها ، ومن ظهر منه احجام في مواطن القتال يبقى ذلك عليه وعلى ذويه معرة دائما .

وكان بعض الخواص من اصحاب ابي حمارة يذيع : ان ابا حمارة يطلع على ما في ضمير الناس وما يكلونة في انفسهم ، وقد تدربوا في ذلك ويأتون بحكايات كبرهان على ما يزعمون ، حتى لا يشك بعض المغفلين من اهل الريف في صحة ذلك .

يحكي بعضهم : انه لما شاع ذلك جاء وجلس مواجها لابي حمارة ، وصار يشتمه سرا ، ويلعنه حتى افرغ فيه جميع ما كان يعرفه من انواع السب والشتم واللعن ، وابو حمارة ينظر اليه لا يحرك ساكنا فتحقق لديه ان ما يذيعه اصحابه زور وبهتان .

ومن الشعوذة التي يحسنها هو ومن قربه من اصحابه : ان بعضهم انتظر ابا حمارة حتى جلس للناس لتدبير شؤون البلاد والحرب وغير ذلك ، قام وقبل الارض بين يديه وصار يقول : الامان ياسيدنا ، فالتفت اليه ابو حمارة وقال : انظروا ما شأن هذا ، فقال : انني اخذت البارحة حبلا من المحلة ، اي المحل الذي يجتمع فيه الجيش ، فاصبح في بيتي حية تسعى ، واني تائب ياسيدنا ومنها انه كان يخفي عددا من اصحابه عن الانظار ، ويخفي عددا من جياد الخيل ، حتى لا يعرف ذلك من معه من القبائل وغيرهم ، الا الخاصة ، فاذا ـ جلس ابو حمارة للناس مجلسا عاما حضر اولائك القوم على ظهور جيادهم ، وبيدهم ـ رسائل مفتعلة فيقفون

مواجهين لابي حمارة ، ويقول بعضهم : نحن رسل من اهل مراكش ونواحيها ، وهم مبايعون لسيدنا ، ويقول البعض الآخر : نحن رسل لاهل سوس وهذه رسائلهم يقدمون فيها البيعة لسيدنا ، فيامر بانزالهم واكرامهم .

ومن حزمه ان بيت ماله محمول معه على ظهور الدواب دائما ، وكذلك كل ما يحتاج اليه ، فاذا سافر على تلك الحالة لا يشغل باله شيء ، واصحابه المتلذون حوله لا يطلبون منه الا ما دون طاقته بكثير ، بخلاف قواد الجيش الحكومي ، اذا قيل لاحدهم قدم مطالبك لتخرج في مهمة حكومية ، قدم ما يعقل وما لا يعقل من المطالب ، اشباعا للهمته واضعافا لحكومته .

ومن حزمه ان ابا حمارة كان يباشر الحرب بنفسه غالبا ، وفي بعض الاحيان ينيب عنه صاحب وضوئه العبد الجلالي القائد المشهور الذي كان موضع ثقته .

كان في اول الامر عبدا لمولاي عرفه بن محمد بن عبد الرحمان ، ثم هرب منه الى ابي حمارة ، وكان هذا العبد كثيرا ما ينتصر في حروبه ، وقد خانه الحظ في واقعة المذكور التي انهزم فيها انهزاما ادى الى اجلاء ابي حمارة من بلاد الريف ، كما سياتي ان شاء الله .

اخبار بعض المعارك التي كانت تدور رحاها في ناحية وجدة

بعد ما انهزم ابو حمارة هو واصحابه من الجيش الذى كان تحت قيادة المنابهي في ارض قبيلة الحياينة ، وبدلا من ان يقتفي المنابهي وجيشه الجرار الذي انتصر به على ابي حمارة اثره المقضاء عليه ، ولى المنابهي وجهه شطر قبائل احيالة ، وصار ينهبهم شهورا مع فاقتهم .

وأما ابو حمارة فولى وجهه شطر مدينة وجدة ونواحيها ، فاحتلها وبويع له فيها وهرب من مدينة وجدة باشاها احمد بن كروم البخاري ، وبقى فيها ابو حمارة الى ان وصله خبر احتلال الجيش الحكومى تازة ونواحيها ، وعاث فيها فسادا ، وقد تقدم الكلام على هذا ، وشاع خبره في القبائل فكره الناس الجيش الحكومى لتلك الافعال الشنيعة وصاروا يحاربونه ، دفاعا عن اعراضهم وانفسهم واموالهم لاحبا في ابي حمارة، وتظن كل قبيلة في الجيش الحكومي انه ان ظفر بها فعل ما فعل في تازة والاوربرت .

وبهذه الاسباب وخيانة قواد الجيش بعدم اقتفاء اثر ابى حمارة عند انهزامه وفى حالة ضعفه ليستمر تسرب الاموال الى جيوبهم وخزائنهم ، كان ينتصر ابو حمارة تلك الانتصارات .

سار ابو حمارة بمن معه الى تازة وامسون ووقعت تلك المعارك التي تقدم ذكرها ، وانتصر فيها ابو حمارة حتى لا يستطيع احد ان يصل من فاس الى تازة ، وترك مدينة وجدة ، ولنواحيها فرجع اليها باشاها احمد بن كروم البخاري واجتمع بوجدة ونواحيها احمد بن كروم ، وعبد الرحمان بن عبد الصادق باشا طنجة ، واحمد الركينة التطواني جاء بمال عظيم لرؤساء الجيش الذي وصل اليها من تازة ، ووقعت نفرة بين رؤساء الجيش والركينة عند ما اراد القاء القبض على المدني الكلاوى احد قواد الجيش الحكومي الكبار ، وبينما هذا الجيش في حالة غير مرضية من الفاقة والخلاف اذا بابي حمارة يزحف بجيشه قاصدا وجدة .

وسبب الخلاف الواقع بين قواد هذا الجيش ان الوزير المنابهي هو الذي كان مكلفا من قبل السلطان بنفقات هذا الجيش فلما راى فرنيط والجباص وعبد الكريم بن سليمان وعمر التازي وغيرهم من الوزراء ؛

ان المهدي لمنابهي كاد ان يكون مستبدا بمالية المغرب ، ومن جملتها تلك الملايين العديدة التي جاء بها من فرنسا ، سلفا في ذمة المغرب ، حسدوه على تلك الغنيمة الباردة ، واوغروا صدر السلطان مولاي عبد العزيز عليه ، غير ان المنابهي كان يتوقع ذلك ، وقد تسلح بالحماية الانجليزية كغيره من خونة المغاربة في ذلك العهد الذين ينهبون اموال الدولة ، ويفرون بها الى مدينة طنجة ليعيشوا بها فيها تحت ظل حماتهم ، كيف شاءوا وهم آمنون من يد العدالة ان تنالهم ، لضعف دولتنا المغربية .

وهذه الطريقة الخبيثة هي التي سلكها جل من ذكرنا من اولائك الوزراء والقواد الكبار ، ومنهم المهدي المنابهي الذي فارق فاسا في يوم عهد غزير الامطار ، واصبح في طنجة آمنا على نفسه ، وما انتهبه من الاموال الباهضة التي كان اوصلها الى طنجة ، والبقية الباقية من تلك الاموال في بيت المال انتهبها غيره ممن تأخر وراءه ليلحق بها بدوره الى طنجة ، بذلك صار المغرب افقر الامم .

واما المدني الكلاوي الذي كان في وجدة هو واخوه التهامي فانه لما احس بالخطر ارسل الرسل الى عمر التازي وزير المالية الجديد فرشاه بمائة الف ريال حسبما قيل ، فمهد له السبيل للرجوع الى مراكش فبعث اولا اخاه قدمه امامه على طريق الجزائر ، واخذ معه سلاحا عظيما ، ثم سار المدني على طريق الجزائر ايضا ، وهناك ربط اسلاكه بالاسلاك الفرنسية التي ظهر بعد ذلك اثرها على ما قيل .

واما غير الكلاوي من القواد فقد استمروا مقيمين في وجدة ، وقد اهملتهم الحكومة ، لانهم اصحاب لمنابهي الفار ، وصاروا في ضيق شديد يقتات بعضهم الحزون فقط ، وعلى هذه الحالة صادفهم هجوم ابي حمارة

عليهم في ماجن البختة .

وبعد التحام القتال انهزم الجيش الحكومي امام ابي حمارة ، فقتل منه الف وخمسمائة جندي ، وقطع من الرؤوس ما حمل على اربعين بغلة. واسر منه خمسمائة اسير .

ثم ان ابا حمارة ارسل الاسرى والرؤوس مع ثلاثين فارسا من جيشه الى عاصمته الشرقية : سلوان لتعلق تلك الرؤوس في الجمرك الذي في حدود مليلية ، والمغرب .

ومن العجيب ان الفرسان الذين يسوقون الاسرى والرؤوس بينما هم سائرون في ارض بني يزناسن اذا هم بفارس يقترب منهم يعرف بعيس اليزناسني فتصدى لاولئك الفرسان ، فاطلق النار على قائدهم فقتله ، والثاني والثالث ، ففر الباقون واطلق الاسرى فذهبوا لحال سبيلهم .

قتل جماعة من القواد وغيرهم
منهم القائد بنشلال بدار البزكاوي غدرا

وبعد انتصار ابي حمارة على الجيش الحكومي بماجن البختة ارسل الى القائد حماد البزكاوي يطالبه ان يزوجه ابنته ، فلم يسع البزكاوي الا النزول عند رغبته فزوجه احدى بناته ، فلما اهديت اليه ورآها رفض اتخاذها زوجة ، وارسل الى القائد حماد البزكاوي يقول له : انه يريد بنت ابنه محمد الجيلة . فكيف تزوجون السلطان مولاي الحسن ما يحب ، وتزوجونه هو ما يكره ، فغضب البزكاوي ، وعد هذه المساومة في بناته اهانة له ، ولكنه اسرها في نفسه ، وبعث الى ابي حمارة يقول له ان مولاي الحسن ارسل من عريفاته ووزرائه من اختار له ، فارسل انت من

يختار أن من حدفائك مع وزرائك ، فاتفقا على يوم معين ، فبعث القائد حماد البزكاوي الى قواد الجيش الحكومي بوجدة ، يطلب منهم ان يبعثوا اليه بمائة من البغال . ومعها من يقوم بشأنها ، ومعهم جميع ما يحتاجون اليه ، فبعثوا اليه ما طلب في اليوم المعين .

وارسل ابو حمارة سبعين رجلا من كبار قواد جيشه ، ووجهاء رجاله فاظهر البزكاوي الرغبة والرضى والغبطة ، فادخل كبار القواد الى داره ، وفرق غيرهم على اخوانه ، بعد ما حاز عنهم الاسلحة التي كانت بايديهم ، وجعل طلقات ـ نارية علامة على ان يقوم كل واحد من اخوانه بذبح من عنده من اصحاب ابي حمارة وفي المساء اخرج لكل واحد من القواد كسوة تامة اكراما لهم في الظاهر ، وقال ليدخل كل واحد منكم الى الحمام ثم يلبس الكسوة وهو نظيف ، وهيأ جماعة من عبيده في داخل الحمام فكل من دخل ذبحوه ، وبعد فراغه ممن عنده امر بالعلامة فذبح اخوانه من عندهم وتمت الحملة على اصحاب ابي حمارة البؤساء ، فحمل البزكاوي اثقاله على دوابه ، ودواب اصحاب ابي حمارة ، وعلى مائة من البغال التي جيء بها من وجدة وسار الى وجدة .

اخبرني قائد بني بويفرور المرحوم السيد الحاج محمد بن شلال قال: ذهبت مع والدي القائد السيد احميدة بن شلال ، وكنت استحي ان اجلس في مجلس فيه والدي فافردوني في غرفة انا وواحد مثلي ، وطلبوا منى ان اسلم لهم بندقيتي فامتنعت انا وصاحبي من التسليم ، وحاولوا اغتيالنا ولكن احسسنا بالخطر ، فكنا على استعداد، وكنا نسمع حركات الدواب ، ولكن لا علم لنا بما حدث في والدي واصحابه فاذا بتلك الحركة تنقطع فجأة ، والسكون يخيم على المحل .

وفي الصباح الباكر رأينا جثث اولائك القواد وغيرهم من اصحابنا قد لعب بها السلاح الابيض وشوهها ، ـ فرأيت ابنا للبزكاوي تخلف عن والده ، لانه كان مريضا وهو لازال في الدار ، قيل انه قضى على حياته .

فلما وصل الخبر الى ابي حمارة ارسل جيشا فتك بمن ظفر به من بني بوزكو ثم كانت معارك اخرى وهي : معركة « عين الصفا » ومعركة « وادي بردبل » وغيرهما ، انتصر ابو حمارة في جميعها ، وكاد ان ياخذ قواد الجيش باليد ، ارجحان كفته في الحرب وحاصر حامية قصبة « عيون سيدي ملوك » مدة سلط على اسوار القصبة المدافع وبعد نسف بعض اسوارها احتلها عنوة ، وقتل جميع من كان فيها .

وهكذا استمرت المعارك في نواحي وجدة من سنة احدى وعشرين وثلاثمائة والف ، الى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة والف ، ولكن ابا حمارة رغم تفوقه لم يوفق في احتلال وجدة مرة اخرى ، وبقي في سلوان وله جيش في مركز كرمة ، ، كان رئيسه السيد علال بن القائد السيد احميدة ، كان خليفة لاخيه قائد قبيلة بني بويفرور السيد الحاج محمد بن القائد السيد احميدة بن شلال .

وفي سنة خمس وعشرين وثلاثمائة والف ، صدرت الاوامر من فاس الى الجيش المرابط في وجدة باخلاء وجدة ودخول ارض الريف ، وبعد خروج الجيش الحكومي من وجدة بثلاثة ايام احتل الفرنسيون مدينة وجدة .

وفي سنة خمس وعشرين وثلاثمائة والف ظهر الشريف سيدي محمد امزيان في افق السياسة والتاريخ ، لو كان في الريف مؤرخون ، ولكن لاحياة لمن تنادي .

ظهور الشريف الغازي بطل الريف الاول

سيدي محمد امزيان

وفي عام خمس وعشرين وثلاثمائة والف ، ظهر نجم الشريف الغازي بطل الريف الاول سيدي محمد امزيان رحمه الله في افق تاريخ المجاهدين المخلصين الابرار المتفانين في اعلاء كلمة الاسلام ، والغيرة على وطنه المغرب العزيز قد سبق لنا ان ذكرنا في هذا التقييد ان ابا حمارة لما احتل الاقليم الشرقي من ارض الريف ودخل في طاعته جميع قبائل الاقليم الاربعة عشر ، واستعمل عليها العمال ، وصار يدعى انه مولاي محمد فلحا ابن السلطان مولاي الحسن : وسبق ان ذكرنا ان السلطان مولاي عبد العزيز احبط مزاعم ابى حمارة باخراج اخيه مولاي محمد من السجن ، وولاه خليفة على فاس .

وكان الشريف الغازي سيدي محمد امزيان حل علم بكذب ابى حمارة صار يكلم الناس في شأنه ، ويحذرهم ان ينطلي عليهم كذبه ، وانه دعى كذاب واسمه الحقيقي الجلالي بن ادريس الزرهوني من اولاد يوسف من جبل زرهون .

وهكذا كان يديم الشريف في اعوام : 21 و 22 و 23 و 24 طيلة المـدة التى كان ابوحمارة يحارب الجيش الحكومى فى نواحى وجدة ، واثرت دعاية الشريف فى عدد من قبائل الريف ، ولما ايس ابو حمارة من احتلال وجدة رجع الى سلوان فوجد امامه دعاية الشريف قد اثرت فى الناس ، وحينئذ امر بالقبض عليـه .

ولمحبة الناس له اخبروه بان اباحمارة وملاه يأتمرون به ليقتلوه ، فخرج من داره هو وجماعة من العزيزيين ، واتصلوا بالجيش الحكومي ، وكانوا معه يحاربون ابا حمارة في اركمام والبرزخ الذي بين البحريين (الجزيرة) فخرب ابو حمارة دار الشريف ، واخذ جميع ما فيها من الاثاث والاواني ، وهرب منها زوجاته واولاده ، واخفاهم الناس عنه .

اخبرتنى اكبر بناته : بان اخاها الصغير السيد محمد بن الشريف سيدي محمد امزيان وضعه رجل على عنقه ، وهرب به الى جبل منيع فانجاه الله على يده ، لان ابا حمارة لا يتورع اصحابه حتى عن قتل الصبيان ابناء اعدائه .

وفي آخر صحيفة 49 من الجزء العشرين من تاريخ الامام محمد المختار السوسي رحمه الله ان ابا حمارة كان مستبدا برأيه ، قاسيا لا يرحم ، واذا ذكر بسطوة ربه غضب ، وذلك بعض ذكره ، حتى انه قتل في يوم واحد سبعين رجلا ، انكروا عليه امورا كان يرتكبها هو واصحابه ، فقتلهم شر قتلة ، وهي انه يامر بايقاف خمسة نفر منهم امام فوهة المدفع ثم يطلقه عليهم فتطير اشلاؤهم ،

وبعد ما وصل الجيش الحكومي الى وادي ملوية ، وكان عدد افراده عشرة آلاف فقط ، وهذا العدد هو الذى بقي على قيد الحياة من السبعين الفا ، التي خرجت من فاس ، لقتال ابي حمارة ، وهي الحملة الاخيرة التي حاربته من سنة عشرين الى سنة ستة وعشرين بعد ثلاثمائة والف هجرية في تازة وامسون ونواحيهما .

وحاربت القبائل التي بين تازة ووجدة ، وحاربت ابا حمارة في وجدة ، وفتك برجالها في معارك طاحنة ، وقضى رصاص بنادقه على جل رجالها ، ولم يبق من السبعين الفا الا عشرة آلاف ، هذه التي وصلت في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة والف الى ملوية ، ولكن كل واحد منهم يعد بعشرة شجاعة وثباتا وصبرا على المحن والشدائد من الجوع والعراء والغربة عن الاهل وغير ذلك ، حتى صاروا لا يبالون وقعوا على الموت ام وقع عليهم :

ثم كانت وقائع شراعة وكرمة الواقعة على ضفاف ملوية مات فيها الخليفة السيد هلال بن القائد السيد احيدة بن شلال ، وقبلها وقائع جنان الساهلي وازكارى ، وتفاصيلها مجهولة .

وبعد وصول الجيش الحكومي الى مركز اركمام الذي كان سوقا عظيما تاتيه القبائل من كل جهة ، وتنزل البواخر الفرنسية فيه الاسلحة وذخائرها التي يحتاجها ابو حمارة .

وفي الجزء الثاني من كتاب امين سعيد المسمى بالاستعمار الفرنسي الايطالي بالمغرب صحيفة 284 انه في سنة خمس وتسعمائة والف كانت باخرة فرنسية تنزل السلاح في منطقة اركمام لابي حمارة ، فتصدت لها باخرة خفر السواحل المغربية ، فاطلقت عليها قنابل مدافعها .

قلت : ذلك فعل فرنسا تمون ابا حمارة بالمال والسلاح ، وتسلف الحكومة الشرعية اموالا طائلة بفوائد باهضة ليقتل المغاربة ويمزق بعضهم بعضا ،

وفي صحيفة 129 من تاريخ محمد خير فارس ان دلكاسة احد ساسات فرنسا كان يقول في محاربة ابي حمارة للحكومة المغربية : دع المغاربة يمزق بعضهم بعضا ، فهذا شأنهم ، وعلينا ان نبقى متفرجين على نزاعاتهم لخ ؛

فلنعتبر - معشر المغاربة - ان كان لنا عقل نعتبر به ، كلام دلكاسة الفرنسي ، فانا مزقنا بعضنا بعضا ، وبعد ما انفدت قوتنا وماليتنا ، وصرنا لقمة سائغة التهمتنا الدول الاوربية ، فاستبدت اسبانيا بالشمال ، وفرنسا بالجنوب وغيرهما بطنجة .

هذا وبعد معارك شراعة وكرمة اجتاز الجيش الحكومي نهر ملوية وهاجمت مقدمته فرقة من جيش ابي حمارة ، كانت متمركزة هناك من قديم ، تحمي السوق الذي كان هنالك ، فاحتله الجيش الحكومي ، وغنم ما كان في المركز من الاخبية والذخيرة ، فالزم ابا حمارة احتلاله ، لانه مهم عنده ، وفيه كان يتلقى السلاح من الفرنسيين وغيرهم .

فاستصرخ ابو حمارة القبائل التي في طاعته والتي حدودها في الجنوب وادي سبو، وفي الشمال حدود مليلية ، فاجتمع عنده في سلوان نحو للاثين الفا من الجنود ، فهاجم بذلك الجيش الجرار اولئك العساكر الجائعين العريانين الجيش الحكومي الذي اهملته حكومته حتى كانها لا يهمها من امره شيء ، واشتغل الوزراء ، كوزير المالية عمر التازي والكباص وغيرهم بالملاعب بمالية المغرب ، ومن جملته ما بقي من المال الذي جاء من فرنسا .

فكان هجوم ابي حمارة في الصباح الباكر فتلقاه الجيش الحكومي بقلوب قوية واستماتة الى اقصى حد . ، ايقانهم ان الفرار معناه هلاكهم في الحال ، لانهم لا رحيم لهم الا الله وحده ، فقاومه الجيش الحكومي بكل بسالة ، وابو حمارة عادته انه يباشر الحرب بنفسه .

اخبرني بعض من حضر الوقعة من اصحاب ابي حمارة ان الجيش الحكومي حمل على الجهة التي كان فيها ذلك المخبر قال : فانهزمنا امامه ، وفرسانهم وراءنا وكدنا نوخذ باليد ، اذا بالقائد محمد ابن شلال في فوارس يلحق بنا وصار يدافع عنا ويامرنا بالالتجاء الى جبل قريب .

واخيرا مر ولوكنا، وبينما نحن ننتظر الموت اذا بابي حمارة يبعث نحو اربعمائة فارس فاطلقوا اعنة خيلهم بكل سرعة ، حتى اصطدموا بالفرسان الذين كانوا يطاردوننا

وحاربوهم محاربة شديدة ، حتى ردوهم عنا ، وهكذا استمر الحرب بكل عنف وشدة طول النهار ، ولا راحة ولا توقف الى ان فرق الظلام بين الفريقين ، ثم رجع جيش ابى حمارة الى سلوان تحت الظلام .

وعند الصباح شوهدت ارض المعركة مغطاة بجثث القتلى من الجانبين ، وجثث الخيل ، والناظر اليها يرى امرا فضيعا .

وهناك قتل القائد المولودي احد القواد الشجعان في الجيش الحكومي ثم قطع رأسه وعلق على باب قلعة سلوان ، واستمرت الالعاب في سلوان نحو اسبوعين فرحا بقتله ، ونفد في هذه المعركة ما كان بيد الجيش الحكومي من ذخيرة البنادق وقذائفها ، ولم يبق الا خمسة عشر صندوقا ، فمند ذلك دخل الجيش الحكومي الى الجزيرة (البرزخ الفاصل بين البحر الابيض المتوسط وبحر الناضور) .

ثم ذهب احد القواد الكبار من الجيش الحكومي الى مليلية ليتصل بعبد الرحمان بن عبد الصادق ، الذي كان مشرفا على ذلك الجيش ، وعلى يده تاتي نفقاته على ظهر احد الزوارق التي كانت تسير بين الرئيس والجيش ، فمن يفكر في الحالة التي كان عليها رجال الحكومة ورؤساء جيشها يرى بونا شاسعا ، فابو حمارة يقود الجيوش ويباشر الحروب بنفسه ، وابن عبد الصادق نائم في مليلية ، فابرق هذا القائد الى طنجة وكان للحكومة المغربية في ذلك التاريخ ثلاث بواخر ، الاولى تسمى الجبل الكبير والثانية تسمى امعدنوس والثالثة تسمى التريكى .

وكانت هذه البواخر تحمل على ظهرها المدافع وتلقى قنابلها على سكان سواحل الريف الخاضع لابى حمارة ، كبلى شكر وبلي بوفافر وغيرهما .

اخبرني بعض الفقهاء قال : كنا جماعة من الطلبة نقرأ الحزب بعد العصر في يوم من أيام رمضان ، اذا بباخرة حكومتنا تطلق علينا قذائفها ونيران مدافعها من ساحل بني بوغافر ، فوقعت قنبلة امامنا فانقطعنا عن القراءة ، وبعد ما اردنا استيناف القراءة عزب عن اذهاننا جميعا الحزب الذي كنا نقرأه ، ولا واحد منا يتذكره .

ثم ان ذلك القائد الذي غادر مركز الجيش الحكومي ووصل الى مليلية واتصل بابن عبد الصادق رئيس الجيش كما تقدم ، وابرق من مليلية الى طنجة يخبر الحكومة بحال المعركة الاخيرة باركمام الهائلة ونفاد قذائف البنادق ونفاد الاقوات للجيش ، ودوابه ، فاجيب من طنجة ان الباخرتين : امعدنوس والجبل الكبير سيغادران ميناء طنجة قاصدتين مركز الجيش ، وعلى ظهرهما ما يحتاج اليه الجيش ولكن لما وصلتا وجد على ظهرهما دخيرة البنادق دون ما فيه كفاية من اقوات الدواب والجيش :

ثم عادت الحكومة الى اهمال هذا الجيش ، وكان اذا وصله الشيء القليل من المال سار الى بني يزناسن بنحو الفين من البغال ، ومعها الفان من فرسان الحرب لحماية القافلة فيكتالون ، وهكذا استمر هذا الجيش في فاقة شديدة ، وحروب مع ابى حمارة متوالية ، خصوصا على جمرك بني انصار الذي يستغله ابو حمارة لنفسه ، فان الجيش هاجمه مرارا لينتزعه من يد اصحاب ابى حمارة فلم يقدر على ذلك ،

وبعد سنة كاملة مرت عليه في محن وشدائد في الجزيرة ، صدرت اليه الاوامر من فاس بدخول مليلية ليحمل من هناك على البواخر الى مواسي المغرب ، وكان ذلك بالاتفاق مع اسبانيا وكانت تعطف على هذا الجيش في بعض الاحيان ، وتتعجب من صبره وثباته وشجاعته وتحمل المحن

من الجوع والعراء ، فكانت تمدد في بعض الاحيان بما تيسر من الاقوات ، فحشدت اسبانيا على ساحل الجزيرة عددا من سفنها حملت الجيش فيها الى مليلية ومنها ابحر الى المغرب ، وهذه نهاية هذا الجيش الحكومي الباسل الذي جاء من فاس ، وعدده سبعون الفا ، ودخل مليلية ليعاد الى المغرب وعدده ثمانية الاف فقط .

خلع السلطان مولاي عبد العزيز
وتولية اخيه مولاي عبد الحفيظ

اما في مراكش ففي سادس رجب عام خمسة وعشرين وثلاثمائة والف ،

واما في فاس فلم تتم البيعة لمولاي عبد الحفيظ الا في فاتح ذي الحجة عام خمسة وعشرين وثلاثمائة والف ، بعد انهزام جيش مولاي عبد العزيز من ارض الشاوية .

في هذه الاثناء ، وفي هذه الظروف الحرجة الصعبة وفي زمن فتنة ابى حمارة التي قتل فيها من جيش ابى حمارة والجيش الحكومي الذين هم اخوة وابناء وطن واحد ، وربهم واحد ودينهم واحد وملكهم واحد ما يزيد دن مائة الف من صناديد رجال المغرب ، وحماته الذين كان اباؤهم وامهاتهم واسلافهم وابناء وطنهم اعدوهم وهيأوهم ليردوا عنهم كيد العدو الاجنبي الغاصب الذي يتربص دائما وابدا بهذا الوطن العزيز الدوائر .

بيد ان الله سبحانه ـ لامر ما ـ سلط علينا دسائس ذلك العدو الذي كنا نحذره ، فحرك الفسقة والفجرة المخربين منا ، فكانوا سببا في هلاكنا وفي وقت تمزقت فيه مالية الدولة المغربية واثقلت كاهلها ديون باهضة لدولة اجنبية صارت تتحكم بموجبها في مداخيل مالية المغرب ، كيف شاءت وبما شاءت ومتى شاءت .

ازيل عن العرش السلطان مولاي عبد العزيز
واجلس عليه السلطان مولاي عبد الحفيظ

==

وصارت الامور تسير من سيء الى اسوء ، واخرجت دعاة الفتن وكل ناعق وكل عميل للاجانب رؤوسها ، وصار الملك الجديد الحازم برتق الفتوق ، ووزراؤه عملاء الاجانب يوسعونها ، كما فعل الوزير المدني لكلاوي في قضية ثورة الشراردة التي جرت الاستغاثة بالفرنسيين الذين كانوا متمركزين في ناحية الشاوية .

وهكذا استمرت الرياح تجري بما يحبه الاجانب وعملاؤهم ، ولا يرضاه الملك واحرار المغاربة المواطنين .

وبعد هذه المذاكرة نرجع الى سياق اخبار ابى حمارة ، والشريف وقبائل الريف ، وما حدث بعد انسحاب الجيش الحكومي من الميدان الشرقي .

فنقول : بعد انسحاب الجيش الملكي ، صفا الجو لابى حمارة ، ثم سولت له نفسه الشريرة الانتقام من القبائل التي اثرت فيها دعاية الشريف سيدي محمد امزيان ، حين كان يذيع فى الناس ان ابا حمارة رجل دعى ، فلسبته للاسرة المالكة كنسبة زياد في آل حرب ، نجاهر بالعصيان اعظم رؤساء قبيلة بني توزين ، الشيخ بولخريف ، وكادت القبائل ان تقوم بالثورة ضد ابى حمارة ، حينما نزل الجيش الحكومي باركمام ، وكان ابو حمارة يداريهم وبعد انسحاب الجيش الحكومي جهز حملة قوية مكونة من الجيش الملازم له ، ومن قبائل قلعية وغيرها ، بقيادة رئيس اركان حربه القائد الشهير العبد الجلالي صاحب الوضوء .

وقد قلنا ان هذا العبد الجلالي كان اولا عبدا لمولاي عرفة بن سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمان والد محمد ابن عرفة صنيعة الفرنسيين ايام محنة المغرب ، فهرب هذا العبد من سيده مولاي عرفة ، واتصل بابى حمارة بعد ظهوره ، وبعد ما اختبره وجده قائدا محنكا له خبرة بفنون الحرب ، صار يعتمد عليه ويقدمه امامه في حروبه ، وفعل بالجيش الحكومي اسوأ الافعال ، وكان ينتصر في حروبه غالبا .

قلت رأيته يوما وانا صغير في عمري نحو سبعة اعوام ، واقفا على باب قلعة ساوان اسود حالك السوداء ، مربوعا ضخم الجسد نوعا ما ، لابسا مثل بجدور ملف اسود . وفوق البجدور - فوقية بيضاء ، يداها لا يتجاوزان منكبيه ، وعلى رأسه شاشية طويلة حمراء ، وفوقها خرقة ناصعة البياض ، تعرف عندهم بالشد ، ويواجهه خارج الباب نحو خمسين فارسا بايديهم رايات مختلفة الالوان ، يسمعهم ما يخاطبهم به ابو حمارة يقول لهم : قال لكم سيدي كذا . ويامركم بكذا الخ .

وبعد ما تم تجهيز الحملة سار بها الجلالي في سابع شتنبر سنة ثمان بعد تسعمائة والف ، قاصدا قبيلة بني توزين ، وبعد ما وصلها تلقوه بالسمع والطاعة وقدموا امامهم قراءا صغارا بايديهم الواح كتب فيها القرءان وذبحوا عددا من الثيران ، ولكن اولئك الملاعين من اصحاب ابي حمارة قتلوا اولئك التلاميذ القراء وقطعوا رؤوسهم وحملوها .

اخبرني شاهد عيان ان من كان يباشر ذلك الفعل الشنيع الملعون يقبض باحدى يديه على التلميذ ويامره ان يلحس بلسانه شاقورا في يمناه ، فاذا فعل التلميذ المسكين قطع رأسه بذلك الشاقور وافزع بذلك بني توزين وتفرسيت ، وبني اوليشك وبني سعيد وتمسمان ، واخذ منهم من المال والسلاح شيئا كثيرا بدعوى انهم كانوا عازمين على الثورة .

ثم تقدم العبد الى تمسمان ونزل في بسيط بوديناز ، وألف جيشه هناك فوق الجيش الملازم لابى حمارة ، وجاءهم من نواحي تارة فرق من قبائل قلعية وبني بويحيى وامطالصة واولاد ستوت وكبدانة وبني توزين وتفرسيت ، وبني اوليشك وبني سعيد وتمسمان ، كل فرقة تحت راية قائدها .

وهذه القبائل وهذه الجيوش الجرارة تموتها غالبا القبائل التي ينزل الجيش بارضها ، وان لم يتأت انفق كل واحد على نفسه ويعطي الجيش القبائل ذخيرة بنادقهم ، وبقي العبد متمركزا في بسيط بوديناز بتمسمان مدة ايام ، وكان يلعب هناك الفرسان على الخيل .

الخبراني شاهد عيان قال : كنا نقرأ القرآن في بعض مساجد تمسمان ، وكنا نذهب الى بوديناز لننظر الى العاب الفروسية التي يقوم بها الجيش الخاص لابى حمارة ، وفرسان القبائل ، ومن جملتهم الفارس المشهور القائد السيد محمد بن شلال قائد قبيلة بني بويفرور ، قال : سمعت العبد الجلالي رئيس الجيش يقول لاصحابه وهو ينظر الى القائد بنشلال واصحابه الذين معه على الجياد يانون بالعاب ممتازة ، احذروا يافرسان سيدنا ان يغلبكم الريفيون في الفروسية واللعب على الجياد .

وبعد ايام انتقل العبد بجيشه من بوديناز الى ضفاف وادي النكور ، قاصدا قبيلة بني ورياغل مارا بجبل القامة من ارض فرقة اتركوت الى ان خيم بمدشر بزويقة المناخم لارض بني ورياغل لاخضاعها والانتقال بها كما فعل بغيرها ، غير ان بني ورياغل كانوا على علم بما يرتكبه العبد وجيشه من السلب والنهب ، واهانة الناس .

وكان للشريف سيدي محمد امزيان الذي كان في هذا التاريخ لا زال - لا جئا في مليلية من حين دخلها مع الجيش الحكومي الذي ابحر الى الموانئ المغربية الذي كان في الجزيرة - محبة في قلوب الورياغليين ، وكان يخبرهم بان ابا حمارة دعي كذاب وانه يريد قصد بلادهم للتنكيل بهم ، فاخذوا الحيطة واستعدوا للحرب ، واجتمع شجعانهم الذين لهم معرفة تامة بالرماية واصابة الاهداف بالرمي بالبنادق ، وكانوا مسلحين بالبنادق الجيدة الاسبانية كانوا يهربونها من حجرة النكور المحتلة ، احتلها الاسبان سنة 1673 التي يتعاملون فيها مع الاسبان ، وكان جلهم يعمل في الجزائرعند المعمرين الفرنسيين ، ويهربون ايضا من هناك الاسلحة الفرنسية الجيدة وذخيرتها .

اخبرني والدي رحمه الله قال : كنت جالسا مع بعض الورياغليين حين كنا نحارب الاسبانيين مع الشريف سيدي محمد امزيان في اراضي قلعية ، بينما ذلك الورياغلي يكلمني اذا بطائر يمر فوقنا في الهواء فقال لي اتريد رأس هذا الطائر ، فصوب اليه بندقيته في الحين ، وبعد الطلقة رأيت الطائر المسكين يسقط على الارض في جهة ، ورأسه في جهة اخرى .

وكانت بينهم عداوات لا تنقطع فاذا عجز احدهم عن اخذ الثار من عدوه بنفسه ، التمس من واحد من هؤلاء الرماة الممتازين الذين كانوا يتجرون في ازهاق الارواح ، فيعطيه مالا جزيلا ، ثم يبقى اخذ المال يراقب حركات عدو صاحبه في كل مكان ، حتى يقضي على حياته ، ويطلق النار عليه من مكان بعيد جدا ، فيصيبه في احد مقاتله ، لا تحيد الرمية عن هدفها ، وهذه بعض احوال الورياغليين في ذلك الحين.

وبعد ما وصل العبد بفيالقه الجرارة الى سهول وادي النكور هاجمت خيالته الورياغليين المتمركزين في ناحية امزورن الذين كانوا مختفين في الخنادق ، ولم يطلقوا النار عليها حتى جاوزتهم ، وحينئذ اصلوها نارا حامية من اماكن تخفيهم عن اعين اولئك الفرسان ، وبعد وقت غير طويل صارت ارض المعركة مغطاة بجثث الخيل وفرسانها ، وتم القضاء على جل الفرسان الذين هاجموا الورياغليين .

وبعد حروب عنيفة تقهقر العبد وجيشه ، وانسحبوا امام ضربات الورياغليين الرماة الشجعان .

اخبرني شاهد عيان ان الفرسان توقفوا ، والعبد دخل في اصل شجرة عظيمة مخروطة ، ونيران بنادق الورياغليين تمطرنا وابلا من الرصاص وتشتت جيش العبد ، واختل نظامه وتمت الهزيمة ، وقتل عدد من رجال جيش العبد ودوابه ، وغرق في الاوحال عدد منها ، وعبروا نهر النكور الى قبيلة تمسمان على غير نظام ، وعلى اسوأ حال ، يمر هذا الجيش فرقا متقطعة قاصدا قلعة سلوان عاصمة ابى حمارة الحربية ، وصار هذا الجيش كلما وصل الى ارض قبيلة من قبائل الريف اطلق اهل القبيلة النار على فلوله ، وتم قيام الثورة على ابى حمارة وانقلب على العبد من كان في جيشه من قبائل تمسمان وبني توزين وبني وليشك وبني سعيد وتفرسيت وامطالسة وبنى سيدال وبني بوغافر وبني شكار ومزوجة وبني بويفرور .

وكانت وقعة امزورن الفاصلة في رمضان عام 1326 موافق 1908 م

وبعد هذه المعركة الفاصلة التف رجال هذه القبائل بقائدهم بطل الريف الاول الشريف سيدي محمد امزيان ـ رحمه الله ـ الذي خرج من

منفاه : مدينة مليلية ، بعد انهزام جيش العبد وصار يستحثهم على التقدم الى سلوان ، والقضاء على ابى حمارة قبل ان ينظم جيشه في اسرع وقت على عادته ، ويهاجمهم ، فاذا ظفر بهم قتل رجالهم واستصفى اموالهم ، وسبى من نسائهم من شاء ، لا يتورع هو واصحابه عن ارتكاب تلك المخازي وذكرهم بانهم قد وقعوا بين امرين : اما ان يجتهدوا في قتال عدوهم حتى يتم القضاء عليه ، او يتخذلوا فيصيروا عبيدا لعبيد ابى حمارة ، كالجلالي العبد ، يلعبون بهم وبنسائهم واموالهم كيف شاءوا .

ولسان حال الشريف رحمه الله يقول :

ولا يغنيكم حذر وخوف — فما يغني اذا حام الحمام
فان كانت لكم يوما عليهم — فذاك القصد وانقطع الكلام
وان ظفروا فما تحمى حريم — لكم علهم وليس لكم ذمام
فموتوا في ظهور الخيل صبرا — كما قد مات قبلكم الكرام
ولا تتدرعوا اثواب ذل وعار — كما تدرعها اللئام
فان الضيم لا صبر عليه — لمن شهدت بسؤدده الانام
وتلك وصية من ذى ولاء — له في حفظ عهدكم ذمام
والا فهو يقتلكم جميعا — ويفضح اهلكم وبذا الختام

وبهذا الكلام وامثاله ، كان الشريف رحمه الله يحرك مشاعر الريفيين وهممهم وكان الشريف على حق فيما يقوله ، لان جيش ابى حمارة جله مكون من اللصوص المجرمين ، والعبيد الفارين امثال الجلالي الذي سماه ابو حمارة صاحب الوضوء وجعله رئيس اركان الحرب ، وسور تحت رايته عدد من رجال جيشه ، شذاذ قبائل نواحي تازة وغيرها ،

ورجال قبائل الريف ، واولئك اللصوص المجرمون ما لجأوا الى ابى حمارة والتفوا حوله الا لاجل السلب والنهب ، وهتك الاعراض ، وابو حمارة واصحابه الملازمون له الذين كانوا عنده كالجيش النظامي هم جيش تخريب وفساد ، لا جيش بناء وتشييد ، ولولا انه كان يطلق ايديهم يخربون كيف شاءوا وينهبون اموال الناس مهما ارادوا ، وينتهكون حرمتهم متى احبوا ما اتوه ولا التفوا حوله .

لاجل هذه الاوصاف المذمومة استماتت الورياغليون ودافعوا عن كرامتهم وحرمتهم ، حتى لا تتلاعب بهم ايدى اولئك اللصوص المجرمين ، فاندحر العدو عن ارضهم ، اندحارا كان فيه القضاء المبرم على نفوذ ابى حمارة فى ارض الريف ، الذي دام ازيد من ستة اعوام ، وزالت هيبة ابى حمارة من قلوب الناس ، وصار الريفيون يشتبكون مع جيوشه في معارك طاحنة ، فينتصرون عليها ، ولا سيما بعد انكشاف حقيقة نسبه وانه دعى خارج عن النظام .

وللمغاربة نحو اربعمائة عام لا يعرفون غير ملوك الدولة العلوية الشريفة ، وقد ظهر في هذه القرون الاربعة خوارج ، امثال ابي حمارة يريدون قلب نظام الحكم في هذا الوطن العزيز ، ويسير فى ركابهم من المغاربة بشر كثير ، غير ان المغاربة يتنبهون ولو بعد حين ، لاخطائهم وينفضون ايديهم من يد الغاصب المعتدى ، كيف ما كان نوعه ، ومهما كانت قوته .

هذا احمد الهيبة جاء عقب افول نجم ابي حمارة في اقصا شمال المغرب ، واضاء نجم الهيبة فى اقصا الجنوب ، وادعى السلطنة وخاطبه بها اصحابه ، ودخل مراكش في نحو مائة الف من أهل الصحراء وغيرهم ،

فلقى من المغاربة نفس ما لقيه ابو حمارة ، وافل نجمه في اقرب وقت ، .
وهذه فرنسا من الدول العالمية الكبرى لقيت نفس المصير .

هذه احداث عظيمة توالت على المغرب في نحو اربعين عاما ، لو حدثت في غير المغرب ما زالت او على الاقل لطالت كما طالت تركيا وفرنسا في الجزائر وغيرها من الاقطار ، فسبحان كاشف الغمة عن مغربنا العزيز بعد امتحان اهله ليظهر الصابرين الصادقين منهم للناس ، فيقتادوا بهم ، والخونة الفانين المارقين - ليجتنبوهم ويحاربوهم .

ثم جاءت بعد هذه الاحوال اهوال وفتن اخرى ، اعظمها اقدام فرنسا على فعلتها الشنيعة ، بانزال ملك المغرب الشرعي عن عرشه ، ونفيه الى مكان سحيق ، وكيف يصبر المغاربة على فقدان قلبهم النابض ، فاندفع المغاربة الى الامام ، اندفاعا عجز عن ايقافه جنود الاحتلال ، التي كانت تعد بمات الآلاف ، ووسائلها الحربية الجهنمية الفتاكة ، فلم يهدأ للمغاربة بال ، حتى رجع حبيب الامة المغربية ، وملكها الصالح الصابر المحتسب ، محمد الخامس ، وقاد امته المغربية من جديد ، قاصدا بها ساحل النجاة والرقي ، غير عابىء بتلك الزوابع السياسية ، التي كانت تعترضه حتى وصل بها الى الاستقلال التام ، وصارت امة حرة مستقلة ، ثم لم يفارقها حتى وضعها في يد امينة قوية وهي يد ملكنا الشاب المنصور بالله ، الخاشع المتواضع لله مولانا الحسن الثاني وهو الآن سائر بها الى قمة الرقي والسعادة والمجد ، حقق الله رجاءنا فيه .

وبعد هذه الجمل المقحمة هنا نرجع الى ما كان يخاطب به الشريف سيدي محمد امزيان قومه ابناء الريف الاحرار ، ومعرفته بما يثير غيرتهم ،

ومن جملته تحذيره لهم ، أن تخاذلوا ولم تجتمع كلمتهم على محاربة أبى حمارة ، بعد ما جرحوه في جيشه جرحا بليغا في الذكور وأحجموا عنه حتى يندمل جرحه ، ويلم شعثه ، فانه سيهاجمهم وينتقم منهم ، بدون شفقة ولا رحمة واول ما يفعله جيشه : مد يده في نسائهم ، والريفيون الاحرار لا يهمهم انفسهم ولا اموالهم اكثر مما يهمهم نساؤهم ، والريفي يفضل الموت على رؤية ما يكره في حريمه .

وكانت المرأة اذا صدر منها ما يخل بشرفها وكان لها اولياء محترمون لا تطمع في الحياة ابدا ، اللهم الا اذا فارقت وطنها ، ولم يظهر لها اثر ، وان كانت لا قدر لها ولا شأن تبقى طول عمرها لا يشمها الا الكلاب .

ومن حكايات الريفيين في هذا المعنى : ان قائد بني سعيد في عهد الحماية الاسبانية ، قيل له : ان امرأتين من قبيلته التي تحت نفوذه ريئتا مع بعض الجنود الاسبانيين ، لا شك ان اولئك الجنود قد اتصلوا بهما اتصالا جنسيا ، فامر باحضارهما عنده ، وصار يوبخهما قائلا : دنستما شرف اسم قبيلة بني سعيد ، حيث فعلتما الفاحشة مع اعلاج اسبانيين ، ثم زاد غضبه حتى فقد تمييزه فامر اعوانه بافراغ الغاز عليهما ، واحرقتا بالنار ، غير ان الغيرة التي تنتهي بصاحبها الى احراق الناس بالنار التي لا يعذب بها الا خالق النار ، فيها من الطيش وسوء السلوك ما لا يغتفر ، لان هذا الفعل الذي قام به ذلك القائد مخالف للشريعة الاسلامية التي لا تحكم بالقتل الا برؤية اربعة عدول فرجا في داخل فرج ، مع الاحصان ، ولم يثبت عند هذا القائد شيء من ذلك ، وعلى فرض ثبوته يكون القتل رميا بالحجارة ، لا حرقا بالنار .

ولكن اذا ابتلى الله قوما جعل السلطة عليهم في يد اجهلهم واقساهم قلبا ، فاستخدم نفوذه فيما يرضى الشيطان ، ويغضب منة الرحمان :

اجتماع جل قبائل الريف الشرقي
على محاربة ابي حمارة
واتفاقهم حول الشريف سيدي محمد امزيان

بعد ما اتصل الشريف سيدي محمد امزيان بزعماء قبائل الريف : لمطالسة وبني توزين ، وتفرسيت ، وبني اوليشك ، وبني سعيد ، وامطالسة ، وبني سيدال ، وبني بويفرور ومزوجة ، وبني بوغافر وبني شكار :

واما بنو ورياغل فلم يعبروا نهر النكور ، بعد ما هزموا جيش ابى حمارة ولم يطاردوه خوفا من مكايد تحاك لهم في الخفاء ، لذلك لم يشاركوا في الزحف على سلوان مقر ابي حمارة ، مع من زحف من القبائل المذكورة مع الشريف :

وصار رجال الحرب من هؤلاء القبائل يجتمعون ويتقدمون الى جهة سلوان ويستصرخون من تأخر بواسطة المشاعل النارية ليلا على رؤوس الجبال

والعادة : ان القبيلة اذا رأت نارا على رؤوس جبال القبيلة التي تجاورها علمت ان وراءها خطرا ، وانها تستصرخها لدفع الخطر الحادث ، ولا يقومون بذلك الا عند حدوث عظائم الامور ، وعند ذلك يتناسون الاحقاد ، والعداوات التي تكون بينهم ، وان من احدث حدثا في اثناء ذلك يعدونه اعلانا عن معاداة جميع القبائل المجتمعة ، فيقتلون المحدث لذلك في الحال ، تفاديا من تشتيت الكلمة وتفريق المجتمعين ، وكل من تعصب للمحدث يعد كهو :

وقد شاهد صاحب هذا التقييد بعينيه سنة احدى وعشرين وتسعمائة والف حين كان الحرب مع الاسبان على ابواب مليلية وكان مركز المجاهدين بمدينة الناضور ، عند ما تخاصم رجلان فاطلق النار احدهما على الآخر ، فجرحه فقط ، وحينا اتوا بالرجل الذي اطلق النار واوقفوه في ساحة واسعة واحاط به جل من في المركز واطلقوا عليه نيران بنادقهم فمزقوه رحمة الله وغفر له .

وقبل امام اجتماع القبائل افتح بنو سيدال باب الحرب وذلك في سوق اربعاء تزمورت الذي اجتمع فيه القبائل على ابي حمارة، حين وصلها بعد مجيئه من تازة سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وألف ، وعين فيه عماله على القبائل ، وذلك من غرائب الاتفاق ، في سوق الاربعاء بويع ابو حمارة وفيه انتهى نفوذه على الريف ، صبر بنو سيدال حتى امتلأ السوق وحضر الامين الذي يأخذ المكس هو واعوانه ، وشرعوا في اعمالهم العادية وفلول المنهزمين من النكور كانت لا زالت تمر قاصدة سلوان ، فأطلقوا النار على كبير المكاسين واعوانه فقتلوا جميع من وجد في السوق من جيش ابي حمارة وابتعد فلول الجيش المنهزم عن ارض بني سيدال ، وهكذا وصل العبد والمنهزمون الى سلوان على اسوأ حال، غير ان نفس ابي حمارة الشريرة كانت ألفت مثل هذه الهزائم وكانت في بعض الاحيان تتوالى عليه فلا ييأس ولا يلين ، وانما يقوم في اصحابه يعدهم ويمنيهم وينظم صفوفهم من جديد ، ويامرهم بنهب اموال من خالفه ، وهي امنيتهم التي جاءوا من اجلها اليه ، وهكذا فعل في هذه المرة ايضا .

وبمجرد ما استراح العبد وجهه في جيش لتاديب بني سيدال وسار الى ان وصل قرية مطواع ونواحيها من جبل بني سيدال ، ونهب الجيش ما وصلت اليه ايديهم ، ثم رجع الى سلوان .

وفي الغد رجع الى بني سيدال ايضا ، فالتقى الجيش مع بني سيدال وبني بوغافر في وادي ماسين وكان مع جيش ابي حمارة قائد قبيلة بني بويفرور السيد الحاج محمد بن شلال مع قبيلته، وكان يحارب مع جيش ابي حمارة المداشر التي تجاور بني بويفرور من قبيلة بني سيدال، كمدشر ابعاونا ، ودارت في وادي ماسين بين جيش ابي حمارة ومن معه وبين بني سيدال وبني بوغافر وبني سعيد وغيرهم معارك طاحنة ، هاجمت فرقة من فرسان ابي حمارة جماعة من رماة بني بوغافر وغيرهم وحاربوهم محاربة شديدة ، واحاط بهم جيش ابي حمارة فقتل تلك الجماعة وقطع منهم احد عشر رأسا.

اخبرني احد رجال بني سيدال الذين كانوا يحاربون الى جنب جيش ابي حمارة قائلا : كنت مع اخوتي نطلق النار على اخواننا بني سيدال ومن معهم من اعداء ابي حمارة من فوق سطوح المنازل ، ولنا تبن خارج الدار ، وبين ساعة واخرى ينزل احدنا من سطح الدار ويبقى عند التبن يطلق النار على القبائل المهاجمة ليبتعدوا عن التبن ، كي ينجى من الحريق قائلا :

وبعد منتصف النهار ، وهجوم القبائل يزداد في كل حين ، نفد ما عندنا من ذخيرة البنادق ، فركبت فرسا وذهبت الى امين الذخيرة الحربية من قبل ابى حمارة ، وازيز الرصاص يسمع في الهواء من جميع الجهات ، اطلب منه قذائف البنادق حيث نحن مع اصحابه ، ولما اختلط عنده الحابل بالنابل ولم يميز بين العدو والصديق اطلع، واحالني على القائد الحاج محمد بن شلال ، فذهبت اليه فوجدته في المعمعة يقاتل هو واصحابه رجال القبائل المهاجمين ، فكلمته في شأن الذخيرة الحربية ، فبعث معي فارسا من فرسانه الى ذلك الأمين ، قال لذلك الفارس : قل للامين لم تمتنع من دفع الذخيرة؟ فان غدا لا تجد من يقف الى جانبك، وهذه الكلمة ما فاه بها القائد بنشلال حتى شاهد رجال قبائل الريف يهاجمون جيش ابي حمارة اعنف هجوم واشده ، وكان قائدا محنكا ومن ابطال الريف المشهورين شجاعة ثابت الجنان ، لا تزعزعه الاهوال، ودار آل بنشلال دار كرم ورياسة من قديم .

ومن صبره وثباته رحمه الله انني كنت أماشيه انا وجماعة من الناس ، وهو يمشي بيننا ، وكانت تهب علينا ريح عاصفة قلعت عدة اشجار من اصولها ، وذلك بعد ما شاخ وضعف ، وبينما هو يمشي اذا هو بساقية مبنية بالاسمنت لها اطراف حادة ، فمد رجله لاجتيازها ، ولكن رجله هوت في اسفل الساقيـة ، فصادف ساقه طرف من تلك الاطراف الحادة ، كالسكين فشق جلد ساقه ، وغاص في لحمه وكان جرحا بليغا ورجلاه في الجوربين يخفيان الدم المنبعث من الجرح ، ووالله ما شكى ولا تأوه ولا تغير كلامه ، وصار يتكلم مع من حوله كلاما عاديا حتى افترق الجمع .

ولما رأى تلك العواصف التى تهب ، قال لي : ادخل معي الدار ، وكانت داره بسلوان قريبة منا ، فدخلت معه الدار ، وصار يكلمني مدة ولا يظهر عليه اثر شيء من الانفعالات التي تسببها الـآلام عادة ، وبعد هذه المدة امر جارية له ان تاتيه بنار وخرق فلم افهم مراده بطلب ذلك منها ، وبعد ما نزع خفية ظهرت الدماء التي اجتمعت في الخف والحذاء ، فكان شيئا مستغربا وصبرا مدهشا .

تولى القيادة بعد وفاة والده في عهد ابى حمارة ، ثم في عهد الحماية نحو خمسة وثلاثين عاما ، وكان قليل الكلام ــ وكان لا يعبأ باحد مهما كان عظيما ، وكان محافظا على الصلاة في اوقاتها يقوم دائما في ءاخر الليل .

ولشهرة دار «آل بنشلال» تزوج ابو حمارة احدى اخواته وامتنعت من الزواج بعده حتى ماتت لا يعرفها الا الأقارب وتوفى رحمه الله قبل استقلال المغرب بنحو ثلاثة اعوام، بسكتة قلبية ، ودفن في صحن ضريح سيدي علي الحساني ، وحضر جنازته والصلاة عليه عدد عديد من الناس جاءوا من مختلف الجهات :

ودامت معركة « وادي ماسين » التي كنا بصدد الكلام عليها الى آخر النهار ، فاندحر جيش ابى حمارة وعاد الى قلعة سلوان ، وفي تلك الاثناء كانت تصل لساحات القتال من حين لآخر ، فرق من قبائل الريف ، وتتقدم الى ناحية سلوان .

ذكر واقعة دار الشريف السيد محمد بن عبد الله الورياشي

وبعد ما اندحر جيش ابى حمارة ومعه القائد بنشلال ، وهو القائد الوحيد الذي بقى يحارب مع ابى حمارة بفرقة من قبيلته البوبفرورية من جميع قواده قلعية لأن قلعة سلوان تقع في ارض بني بوبفرور :

وبعد ما اندحر جيش ابى حمارة من وادي ماسين خرجت فرق جيشه المدججة بالسلاح مرة اخرى ، لأنه على عادته لا يمل الحرب ولا ييأس ، وسار الجيش قاصدا ازغنغان ومدشر اعلاطا الذي هو مدشر القائد بنشلال ومسقط رأسه الذي هو قريب من وادي ماسين ميدان المعارك ، فمر القائد بنشلال بدار الشريف سيدي محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن احمد ابن عبد الله بن محمد فتحا بن عبد الرحيم بن علي بن يوسف بن ورياش الورياشي الواقعة بتيزي عبو ، من فرقة اجزولة بقبيلة بني بويفرور ، وكان بين القائد بنشلال والشريف الورياشي مصاهرة .

وعند ما مر بداره ورآى القائد بنشلال جماعات مسلحين جالسين على رؤوس هضاب قريبة من دار الشريف خاف القائد من الشريف ومن بجانبه ان يطلقوا النار على جيش ابى حمارة ، فقال له القائد : ايها الشريف كن آمنا مطمئنا على نفسك ومالك، ومن معك ان لا يحدثوا حدثا : فلما سمع الناس ذلك ادخلوا حريمهم دار الشريف ليأمنوا على اهلهم ، حيث سمعوا الامان الذي قطعه القائد للشريف .

وبعد ما وصل ذلك الجيش الى نواحي مدشر اعلاطا اصطدم هناك مع قبائل الريف الزاحفة فرجع مفلولا ايضا .

وكان للشريف الورياشي بغال وغيرها من المواشي خارج الدار ، وفى اثناء ذلك كله ينادي الشريف الورياشي الناس يقول لهم : اياكم ان تحدثوا ـ حدثا او تطلقوا نارا على جيش ابى حمارة ، ان مر بنا عائدا الى سلوان ، لان فى دارى حريمكم وذراريكم ، فتجعلوهم في مأزق حرج بسبب الرصاص الذي ينهال علينا ، فامتثل الناس امر الشريف الورياشي ، ولم يحدثوا شيئا ، غير ان جيش ابى حمارة كان مجبولا على الغدر والخيانة والفساد ، كما قدمناه مرارا ، وانه لما كان راجعا الى سلوان مر قريبا من دار الشريف الورياشي ، وعند ما رأى بعض افراد هذا الجيش ابن عم للورياشي يسوق ماشية ليدخلها الى دار الشريف اطلق عنان فرسه الى ان لحق بالسائق عند باب دار الورياشي فقتله بطلقة نارية عمدا عدوانا .

ولما شاهد الشريف الورياشي تلك الفعلة الشنيعة انحرف مزاجه وغضب غضبة الاسد فصوب بندقيته الى القاتل فقضى على حياته في الحال وامر من معه من صناديد الرجال باطلاق النار على الجيش الغدار ، فكان فرسان جيش ابى حمارة يهاجمون الدار ، فكل من وصل منهم اليها قضى الشريف الورياشي على حياته واطلق الجيش على الدار وابلا من الرصاص فقتل الماشية وجرح بعض النساء ، ودام ـ الحال كذلك من منتصف النهار الى ان قرب غروب الشمس وحينئذ انسحب الجيش الى سلوان وترك وراءه عددا من القتلى فرمى الناس جثثهم في واد اسفل الدار بعد ما قطعوا رؤوسهم ، ودفن الشريف الورياشي ابن عمه المقتول ، ولم يرض القائد بلشلال بما فعله جيش ابى حمارة مع الورياشي وتأسف لما وقع جدا .

ثم ان القائد بلشلال ارسل رسولا الى الورياشي يلتمس منه ان يتنحى عن الدار ليمكن الجيش من حمل جثث قتلاه . ولكنهم عند ما وجدوا الدار تنحى عنها صاحبها احرقوا جميع ما حولها ، ومن جملتها عدد عديد من بيوت خلايا النحل فسال العسل على وجه الارض ، فانخدع الورياشي مرتين ، ولو بقي في داره ما تجرأ على الدنو منها احد ، لما يعلمه الناس من شجاعته واقدامه ، وكان مهاب الجانب ، وكان من الرماة المشهورين ، لا يكاد يخطيء الهدف ابدا ، قاتل ابا حمارة مع الشريف سيدي محمد امزيان حتى ترك ابو حمارة سلوان ، ثم قاتل معه الاسبانيين الى ان احتلوا ارض قلعية سنة احد عشر وتسعمائة والف .

وفي سنة احدى وعشرين وتسعمائة والف قاتل الاسبانيين ايضا بعد واقعة انوال الكبرى ، وكان على رأس فرقة من المجاهدين يقطع الطريق على قوافلهم ليلا ، وفي واضحة النهار ، وكان دائما على ابواب مليلية يقلق راحة الاسبان ، لا يأتي لمركز القيادة العليا بمدينة الناضور الا نادرا .

وفي بعض الايام عند منتصف النهار وضع كل جماعة من الفرقة التي معه ، ومن جملتها بعض ابنائه الذين كان يدربهم على الجهاد والثبات في الحرب ، وبينما هو يراقب مجيء فرقة من العدو من فرقه التي تبلغ التموين الى الخطوط الامامية التي تركها الشريف وراءه ، وصار ينتقل من مكان لآخر ، وازيز الرصاص وسقوطه امامه لا يفتر ، فاذا برصاصة تصادف في تلك اللحظة رأس الشريف الورياشي وصار ينبعث من رأسه خيوط حمراء من الدم فقضى نحبه في الحال رحمه الله وغفر لنا وله .

ذكر تكامل وصول الرجال الذين انتخبتهم قبائل الريف ، لمحاربة ابي حمارة

واخيرا تكامل وصول رجال قبائل الريف الذين انتخبتهم قبائلهم لمحاربة ابى حمارة وتمركزوا في سوق خميس اجزولة بقبيلة بني بويفرور تحت قيادة الشريف سيدي محمد امزيان ، واحاطوا بقلعة سلوان غربا وشمالا وجنوبا ، وكانت الحروب تدور رحاها بين نواحي تليمرت الى بوسخان ، تخرج غالبا فرق من فرسان ابى حمارة فتتلقاها فرق من اهل الريف فتشتد الحرب بين الفريقين ، وربما تطول يوما كاملا في بعض الاحيان ، ويفترق الجمعان عن عدد من القتلى والجرحى .

وفي بعض الاحيان يخرج مع فرسان ابى حمارة بعض قوادهم الكبار فيحملون على الريفيين حملة قوية ، كحملات الخوارج الشهيرة حتى يخالطوهم في اماكنهم فيفروا امامهم كما فعلوا يوما مع قبيلة امطالسة ، هاجمهم فرسان ابي حمارة وصدموهم صدمة عنيفة فقطعوا منهم خمسة عشر رأسا وعلقوها على باب قلعة سلوان .

وغالبا يصعد رجال من الريف فوق الجبل المسمى « بوفلجاين » فاذا كان بيدهم سلاح جيد تصل قذائفه الى قلعة سلوان واخبية الجيش المحيطة بها فيلحقون بجيش ابي حمارة خسائر فادحة في الارواح والدواب ، فيضطر فرسان ابي حمارة للخروج لابعادهم عن رأس الجبل المذكور ومن كان فوق ذلك الجبل يكون مسيطرا على قلعة سلوان ان كان بيده سلاح تصل قذائفه اليها ، لانه يبعد عن القلعة بنحو ثلاث

كلمترات فقط ، فاذا خرج فرسان ابي حمارة يقع الاشتباك بين الفريقين وتدور بينهما معارك عنيفة حتى يفرق الليل بينهما .

وفي بعض الاحيان يحتل ذلك الجبل جيش ابي حمارة ولكن كل من يصل اليه نهارا من الفريقين يتركه ليلا .

واستمرت محاربة قبائل الريف بقيادة الشريف سيدي محمد امزيان لابي حمارة من منذ انهزم جيش العبد في واقعة النكور الى ان غادر قلعة سلوان نهائيا نحو ستة اشهر من اول شهور صيف عام سبعة وعشرين وثلاثمائة والف الى اخر خريفها ، واشتبك جيشه بقيادة كبار قواده مع الريفيين بقيادة الشريف سيدي محمد امزيان في نحو ستة عشر معركة من المعارك العنيفة دون المناوشاة ، وقتل وجرح عدد كبير من الناس بين الجانبين ، ذهب الكل ضحية الانانية ، لا حول ولا قوة الا بالله ، انا لله وانا اليه راجعون .

ذكر مغادرة ابي حمارة قلعة سلوان نهائيا بجميع جيشه ، موليا وجهه شطر تازة ونواحيها التي كانت لا زالت متمسكة بطاعته

ولما ايس ابو حمارة من استرجاعه نفوذه على قبائل الريف ، وطال مقامه في قلعة سلوان سنوات لمحاربة الجيش الحكومي وغيره وكان مطمئنا على نفوذه في مدينة تازة ونواحيها ، مستغل ثورة مولاي عبد الحفيظ على اخيه مولاي عبد العزيز ، واشتغال بعضهما ببعض ، فلما علم ان مولاي عبد الحفيظ قد استقام في داخلية المغرب ، وان على مولاي عبد الحفيظ تصفية الحسابات مع ابي حمارة ، وبدون القضاء عليه لا يستقيم له

امر في المغرب ، واخضاع الريف يحتاج الى تنظيم جيش جديد ، ومؤونة كافية ، ولا يمكن له ذلك الا في تازة ونواحيها .

وفي اكتوبر سنة ثمان وتسعمائة والف اصدر ابو حمارة اوامره بضرب الاخبية خارج سلوان ، ودام اخراجها وتنصيبها اياما وبعد انتقال الجيش اليها وكان اخرمن خرج من سلوان الاسرى والمسجونون في السلاسل ولم يجد الشريف سيدي محمد امزيان رغبة ومساعدة في اعتراض طريق ابى حمارة ممن معه من رجال قبائل الريف ، لملهم حربه التي طالت ستة اشهر ، وهم الذين ينفقون على انفسهم ويشترون البنادق وذخيرتها من مالهم الخاص بهم ، مع ضعف حاليهم وانتزاع ابى حمارة من يدهم جل ما كانوا يملكون من ماشية وغيرها ـ وكانوا يبيعون اعز الاشياء لديهم ليحصلوا بثمنها على البنادق وذخيرتها .

وبعد ما تم خروج جيش ابى حمارة ، واخراج الاثقال والاسرى امر بالرحيل وكان يسير في مقدمته فرق عديدة من الفرسان ، وخلفهم طوابير المشاة ثم بعدهم قوافل الابل والبغال المحملة بالاثقال ، ثم بعدها الاسرى يقادون في السلاسل والـآلاف المؤلفة من البقر والغنم ، مما لا يمكن عده ، وجلها من الماشية المنهوبة من قبائل الريف ، حين اتهمها بانها ارادت ان تثور عليه ، بسبب الدعاية التي كان يقوم بها ضده بطل الريف الاول الشريف سيدي محمد امزيان ، وقد تقدمت الاشارة الى شيء من ذلك .

وخلف الجميع ابو حمارة يحيط به فرق من شجعان فرسانه الذين يعتمد عليهم والى جانبه نحو ثمانين بغلة عليهما نساؤه ومحاضيه من الجواري الرائعات الجمال اللاتي اهداهن له اكابر القواد والتجار .

وقد كـان تزوج بعدد من حرائر النساء ، فمن قبائل قلعية ابنة ميمون بن خوجة وبنت القائد احميدة بنشلال البوبفروريين ، وبنت محمد بن البشير قائد قبيلة بني بوغافر ، وبنت فكراش من قبيلة بني بويحيى سوى من كان تزوج بهن في تازة وغيرها ، وسوى بنت البزكاوي التي تزوجها ثم ردها طالبا غيرها كما تقدم .

واما الجواري الكثيرات التي كان يتسراهن فما هن الا حرائر وبنات رجال احرار مسلمين يختطفهن اشرار المغاربة عند غفلة اهلهن من البوادي والحواضر ، ويذهب بهن اولئك الاشرار الى ابعد الاماكن فيبيعونهن كـاماء ، ولا فرق بين سوداء وبيضاء حكم الجميع واحد ، وهو التحريم ، ومن واقعهن على ذلك الوجه الممقوت وهو انهن اماء بدون ستبرا° وعقد زواج شرعي يرجم .

ولسيدي جعفر الكتاني
وصاحب الاستقصا
كلام طويل في هذا

ونعرض له ايضا الشيخ رشيد رضا في كـتابه : المجلس اللطيف ، وجلب ذلك يطول .

وقد ابتلى الله المغاربة بهؤلاء النسوة التي يعدونهن اماء ، وما هن باماء وانما هن اخواتهم خانهن الحظ على يد اولئك الاشرار ، وصيرهن مبتذلات وممتهنات ـ وذليلات في يد كل من بيده مال ، ويلـدن من اولئك الاسياد اولاد الحرام ، فانا لله وانا اليه راجعون .

وحتى بعض علماء المغرب الكبار الذين يبينون في دروسهم ان سبب الاسترقاق هو الكفر ، اذا هاجم المسلمون ارض الكفار المعادين المحاربين لنا لغرض شرعي صحيح يجوز لهم استرقاق نسائهم ، ثم بعد ذلك يرغب الدين الاسلامي ترغيبا اكيدا في عتق الارقاء ، وبدون ذلك لا يمكن ان يتصور الرق الشرعي ، واين هو اليوم وقبل اليوم بازمان ، ومع ذلك نجد ادعياء العلم قد انغمسوا في تلك القاذورات ، وفي دورهم منهن عدد جديد ، ما شاء الله ، لاحول ولا قوة الا بالله :

وبعد ما ابتعد ابو حمارة عن سلوان دخلها رجال الريف الذين كانوا يحاربونه بعد ترددهم بعض التردد ، خوفا من مكيدة او اخفاء الغنم فتاكة ، وهدموا بناية جميلة كان بناها داخل القلعة ، وسماها مولاي ادريس ، ورأيت اللوح الماخوذ منها والنوافذ الجيدة ذات الزجاج الملون الجميل وكان من ساعده الحظ من البسطاء الجهلة بالوصول اليها يزور تلك البناية ويتبرك بها :

اخبرني بعض اقارب بنت السيد ميمون بن خوجة احدى زوجات ابي حمارة انها اخبرته ان ابا حمارة كان كثير النزوان على النساء ، وانه كان لا يترك بيضاء ولا سوداء كالتيس هذه عبارته :

وبهذه الاحوال يعلم ان ابا حمارة لا يتورع عن الحرام ، وانه كان قليل الدين ، وكان سيفا سلطه الله على المغاربة حين انغمسوا في عصيان ربهم وارتكابهم في افعالهم جميع الفضائح ، فمن تجنسهم بالجنسيات الأجنبية حتى لا تنالهم يد العدالة ، الى كون جمهورهم يزنون جهارا ببنات احرار المسلمين ، بدعوى انهن اماء ، الى قطع الطريق، واخافة ابناء السبيل ، وشرب الخمور والزنى ، خصوصا في اجبالة ، فكان في جل القرى الكبار من غالب قبائل اجبالة عدد من اللصوص والفساق واهل السرقة وقطع الطريق مسلحين بسلاح جيد ، لهم منزل في طرف القرية ، ولهم جارية او جاريتان جميلتان .

ومنهم من يضرب لهم في آلات الطرب ، وعندهم من الخمور ما يحتاجون اليه ، ياتيهم الى ذلك المحل امثالهم من الفساق الفجرة ، فترقص لهم تلك الفتيات على انغام تلك الآلات وكاسات الخمور ، ومن اراد الزنى بتلك الفتيات يمكن منهن بعد اداء لهم واجب الزنى .

وهذا كله بعامة اهل الحل والعقد منهم ، ثم لا يحركون ساكنا ولا يغيرون منكرا ، وهكذا ظهر الفساد في البر والبحر من المغاربة بما كسبت ايديهم ، فاذاقهم الله على يد السفاك ابي حمارة ، وبعده على يد الاجانب بعض — الجزاء على ما فعلوا .

وقد عاد المغاربة بعد ما انعم الله عليهم بنعمة الحرية والاستقلال الى ارتكاب افضع ما كانوا عليه قبل عهود الحماية ، ووعظهم ربهم بكارثة اكادير فلم ينزجروا ولم يقلعوا بل زادوا وتحدوا ربهم ، ولم يبق لهم الا ان يقولوا ما قاله من كان قبلهم ، حسبما اخبر الله عنهم ، ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء إلخ :

اللهم لا تهلك وطننا المغرب العزيز بسبب ما فعلناه نحن معشر العصاة ثم نعود الى سياق الكلام على خروج ابي حمارة من سلوان ، قاصدا تازة ، والترتيب الذي سار عليه ابو حمارة :

اخبرني به بعض الاسرى الذي افلت من قبضة اعوان ابي حمارة قال : بعد ما تحرك من معسكره خارج سلوان ، سار قاصدا وادي النجاج الذي يبعد عن سلوان بنحو ثمان كلمترات ، وعند ما وصل الى الوادي المذكور امر جيشه بالنزول ، وامر بالشروع في بناء منازل تحويها منه وسياجة .

وبعد مدة قليلة ، امر الجيش بالرحيل فولى وجهه اولا شطر زايو ، ولكنه فجأة امر الجيش ان ينعطف ذات اليمين ، فسار قاصدا حاسي بركان مارا بقبة سيدي صديق ثم سار قاصدا وادي ملوية ، قال : وبقينا ثلاثة ايام لم نذق فيها طعاما ، والاعوان المكلفون بنا اناس لا يرحمون ، ولا هم من اهل الرحمة والشفقة ، يلهبون ظهورنا بالسياط ، ويمنعوننا حتى من جمع الحلزون وطبخه ، فعجزنا عن المشي ، وكنا اذا مشينا مشينا جميعا واذا وقفنا وقفنا جميعا لمكان السلاسل التي تجمعنا :

قال : ثم صرنا نتعمد التاخر لعلنا نرى ابا حمارة الذي يسير خلفنا — والاعوان يحثوننا على سرعة المشي ونصبر للصياط ، فاذا بابي حمارة يمر حولنا في موكبه فصرنا نصيح ونتضرع اليه ، فارسل الينا غلاما قال لنا : يقول لكم سيدنا لا يطلق سراحكم الا في داخلية المغرب , فقال له بعض الموكلين بنا يامولاي انهم يمتنعون عن السير ويقولون : انهم عاجزون عن السير تمام العجز ، فاجابه من عجز عن السير اضرب عنقه ، واجعل رأسه مكانه في السلسلة ودع جثته قال : عند ذلك جرد سائقنا سيفه وصار يترصد من لم يسرع في مشيه، وفينا حملة القرءان وشيوخ من أهل السن العجزة عن

السير بعض اولئك الشيوخ فصوب اليه الموكل بنا ضربات فسقط على الارض وحل السلسلة من عنقه وكانت سلسلتنا انا وهو مفتاحها واحد ، ولما نزع السلسلة من علقه زالت عني ايضا ، ومراده ان - يجعلني مع غيري . ومفتاح السلسلة اخرى كان مع غيره من الاعوان الذي لم يكن حاضرا ، قال وصرت امشي الى جانبي الاسرى فدخلنا ماء وادي ملوية ، وعلى جانبي الوادي اشجار متكاثفة ، وقبل وصولنا الى الوادي رآني سائقنا اتأخر بعض التأخر فوجه الي ضربة بسيفه فالتقيتها بكفي فغاص السيف فيها ، فصارت دمائي تسيل على ثوبي حتى تلطخ جميع ما على بدني بالدماء ، وكان معي خنشتان انام عليهما ، بينما انا اسير في الماء اذا ببعض الاسرى يقول لي : انت لا سلسلة في عنقك ، ادخل في هذه الاشجار لعلك تنجو بنفسك ، فراقبت السائق ، وحين رأيته مشتغلا بخوض ماء الوادي للعبور دخلت بين الاشجار المتعانقة فصعدت بسرعة في بعضها ، وصرت اجمع على فروع الاشجار لتسترني عن اعين الباحثين علي ، فجاء بعضهم حتى وقف تحت الموضع الذي انا مختبىء فيه فنظر يمينا وشمالا فلم ير شيئا، وكان قد قرب وقت الغروب ، قال :

وبت فوق تلك الشجرة ، وبات الجيش يعبر الوادي واصبح كذلك الى ما بعد الزوال ، وصار يقل شيئا بعد شيء ، حتى انقطع الاثر ، فنزلت من الشجرة ورجعت الى منزلي وقد شرع الناس في الحرث .

هذا ما اخبرني به ذلك الاسير الذي افلت من قبضتهم ، وقد توفي رحمه الله وكان عاقلا ذكيا .

ثم استمر ابو حمارة هائرا بين القبائل الخاضعة له من ثوريرت الى تازة ونواحيها ، وبقى في تازة شهورا ينظم جيشه ويصلح اموره . فلما آنس من نفسه ومن جيشه قوة وحصل على مواد حربية كافية جهز العبد الجلالي وقدمه امامه كما هي عادة العبد وسيده . فولى العبد وجهه شطر فاس ، بامر من ابى حمارة ، وسار هذا الاخير في جيش قوى يشد عضد جيش العبد الجلالي .

وفي الجزء العشرين من تاريخ الامام العلامة الاديب سيدي المختار ، صحيفة 65 نقلا عن القائد الناجم الاخصاصي احد كبار القواد في الجيش الحكومي قائلا : في حق صاحب وضوء ابي حمارة العبد الجلالي ما حصله :

كان ابو حمارة يقدمه بين يديه : لان ناحيته محظوظة ، ورايته منصورة ، فما توجه في الحرب الا انتصر انتصارا باهرا ، حتى صار ذكره ملء الافواه ، وحديث المجالس الخ .

قلت تامل هذه الشهادة التي صدرت من قائد منصف عظيم من اركان حرب الجيش الحكومي الذي هو برتبة كولونيل في ضباط الجيش الاروبي ، وهو لا يحابي احدا ، ينعت بعض القواد الكبار في الجيش الحكومي بالخائف الرعديد اذا احجم في الحرب عن اداء الواجب الحربي وتردد في الاقدام ، والعبد الجلالي من الد خصومه ، ولكن هل منعته العداوة من قول الحق ، كلا ، وقديما قيل : والحق ما شهدت به الاعداء .

وقد قدمنا ان العبد الجلالي كان قنا لمولاي عرفة ، ثم هرب الى ابى حمارة ، ولم يذكر القائد الناجم وقعة النكور التي انهزم فيها العبد وجيشه الجرار ، وما بعدها من الحروب الى ان غادر ابو حمارة هلوان ،

لأن الناجم ومن سمع منه لا علم لهم بشيء من تلك الوقائع ، اوقوعها في اقصى الريف من شمال المغرب ، وعلماء الريف لا يهمهم تاريخ بلادهم ، وربما يعدون القائم بشيء من ذلك على فرض وقوعه بطالة ، ولذلك ما سمعنا ولا رأينا من قام بشيء منهم من ذلك .

هذا سيدي محمد امزيان بطل الريف الاول قام باعمال جهادية دفاعا عن حرمة بلاده لوجه الله ، لا يريد من وراء عمله الجبار الذي قام به جزاء من احد ، سوى الله ولا شكورا .

وهذا محمد بن عبد الكريم الخطابي بطل الريف الثاني جاهد في القرن العشرين الميلادي الذي يسميه الاوربيون عصر نورهم ، لما اطلعوا عليه من اسرار الكون ، ولقهرهم العالم الاسلامي ، واستيلائهم على جل ممالكه حتى صارت مناوأتهم لا تكاد تخطر على بال احد من الناس ، جهادا جبارا ، صار معجزة للضعفاء وانذارا من الله لاهل عصر النور المحفوف بالظلم والطغيان ، عند ما اقدم عليه هو وحفنة من اخوانه ابطال الريف المغاربة المومنين بعظمة الله وقدرته الباهرة ، وبكتابه المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، حيث قال :

كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين .

ولا زال جماعة من علماء الريف ممن عاشر البطلين المذكورين واصحابهما وحضروا بانفسهم جل المعارك ويعلمون تفاصيل ما لم يقدر لهم حضوره على قيد الحياة ، ومع ذلك ما سمعنا عن أحد منهم كتب شيئا عن تاريخ بلاده .

وربما يعتذر بعضهم بالخوف من الحكام الاوربيين ، فنقول لهذا البعض انه اعتذار بارد ، لان الاوربيين لا يغضبهم جمع المعلومات الثابتة ، وانما يغضبهم ذلك الشتم الذي يصدر من الكتاب ، واي فائدة في ذلك الشتم ،

وأيضا فهذا العلامة التهامي الوزاني جمع في الجزء الثالث من تاريخه معلومات تاريخية تمسهم في الصميم وطبع في عهد الحماية ، ومع ذلك لم يتعرضوا له بالمس .

وتسمية الاوربيين للقرن العشرين بعصر النور عجيب اذ كيف يمكن ان يوصف زمن قامت فيه حرب عالمية فضيعة ، استمرت نحو خمسة اعوام ذهب ضحيتها نحو العشرين مليونا بين المتحاربين والنساء والاطفال والعجزة وخربت مدن وقرى ، اموال لا يعلم عدد ذلك الا الله وحده الكبير المتعال .

ومن طالع كتاب السيد عمر ابو النصر الذي هو تاريخ الحرب العالمية الاولى الذي يقع فى خمسة اجزاء ، وراى صور تلك المجازر البشرية المكدسة في الخنادق وغيرها ، رأى ما يحق له ان يسميه بعصر الظلمات ـ والويلات والخراب .

ولكن ما ذا فعلت تلك الامم التي افنت الحرب اعز شبابها وضباطها وشجعانها وارملت وايتمت من نسائها واطفالها ما لا يدخل تحت الحصر ، وخربت من المباني والمعامل والممتلكات ما لم يكن في الامكان اعادة مثله في مدة عقب تلك الحرب المظلمة ، هل اتعظت وانزجرت وعلمت ان هناك قوة فوق ما تتصور ، وهي لها دائما بالمرصاد ؟ . ما دامت ظالمة ، كلا والله كلا .

اما الدول الكبرى المنتصرة فصارت تلتهم الامم الضعيفة وتداوي كلومها باستنزاف دمائها التي خانها الحظ بوقوعها فى قبضتها .

واما الامم المنهزمة فصارت تستعد في الخفاء اولا ، واخيرا في الظاهر لاخذ الثار ، وفوق الثار باكثر مما يتصور ، ثم لم يمض على التاريخ الذي

وضعت فيه الحرب العالمية الاولى اوزارها الا نحو الثين وعشرين عاما حتى قامت حرب عالمية ثانية افضع واوسع من الاولى وذلك عند ظهور السلاح الذري الجديد الذي استعمله الامريكيون ضد اليابان بعد استسلام المانيا النازية سنة ـ 1945 وبكل اسف واسى يفتت الاكباد لكتب جملا موجزة عما يفعله الانسان باخيه الانسان وغيره من مخلوقات الله من الانتقام الفضيع ممن يستحقه وممن لا يستحقه وذلك في السادس من آب سنة 1945 انطلقت طائرت تحمل القنبلة الذرية الاولى يقودها العقيد (بول تبتس جيروم) فالقى تلك القنبلة الاولى على مدينة (هيروشيما) وعند القائها ظهر في السماء ضياء وردي باهت اللون شديد جدا ، يرافقه اهتزاز غير طبيعي ثم لحقت به مباشرة موجة من الحرارة الخانقة ورياح عاصفة كالت تجتاح كل ما تجده امامها .

وفي ثوان قليلة احترق الآلاف من الناس الذين كانوا يسيرون في الشوارع او يجلسون في الحدائق العامة القائمة في وسط المدينة ، كثيرون قتلوا بالحرارة الهائلة التي انتشرت في اجسادهم حروق مميتة . كل ما كان قائما في منطقة الانفجار ـ جدران ، منازل مصانع وابنية اخرى ـ قد ابيد ابادة تامة ، واندفع فتات هذه الاشياء نحو الفضاء في دوامة رهيبة ، الحافلات الكهربائية انتزعت من خطوطها الحديدية وانقذفت كما او انها فقدت وزنها وتماسكها . القطارات ارتفعت هي بدورها وكانها مجموعة من لعب الاطفال الخيول والكلاب والماشية اصابها ما اصاب البشر . كل ما كان من الاحياء قد فقد حياته في وضع مؤلم يعجز عنه الوصف . واختفت الاشجار في اللهيب ، وفقدت شتلات الارز خضرتها واحترق العشب الاخضر كما يحترق القش اليابس . اما ما وراء منطقة الموت فقد انهارت المنازل

واصبحت اكواما من الالواح الخشبية والقرميد والاعمدة الحجرية . لقد انهار كل شيء كما تنهار بيوت الكرتون في دائرة قطرها 10 كيلومترات . اما الذين كتبت لهم النجاة من الموت فقد وجدوا انفسهم عاطين بستار من اللهب ، اما الافراد القليلون الذين استطاعوا اللجوء الى مخبإ من المخابىء فقد ماتوا بعد عشرين او ثلاثين يوما من الالام بتاثير اشاعات (غاما) المميتة ، وفي المساء بدات - النيران تنخفض ثم ماتت ، اذ لم يعد هناك شيء تاكله هذه النيران ، لقد انتقلت هيروشيما - الى العدم .

وفي الساعة الحادية عشرة صباحا من تاسع آب غشت، من نفس السنة القيت قنبلة ذرية اخرى ثانية على مدينة - ناراكي - فنشا عن ذلك قتل ثلاث وسبعين الفا وثمانمائة واربع وثمانين نسمة وجرح ستين الفا ، وكان مجموع القتلى من جيوش جميع الدول المتحاربة في الحرب العالمية الثانية سبعة عشر مليونا ، ومن المدنيين ثمانية عشر مليونا ، فهذه خمسة وثلاثون مليونا ذهبت ضحية الانانية وطغيان رؤساء دول عصر النور ، واما الجرحى فيستحيل احصاؤهم ، واما الخسائر الحربية فقد بلغت ثلاثة آلاف مليار ومائتي مليون من الدولارات .

واما تخريب المدن والمصانع والجسور وغير ذلك فشيء لا يمكن عده ولا احصاؤه ، ومع هذه الويلات كلها يعدون هذا العصر الذي وقع فيه ما وقع بعصر النور وهي الان منهمكة . تستعد لحرب عالمية ثالثة ، - لا قدر الله - ولئن قدر الله وقوعها فالظاهر ان فيها هلاك المخلوقات .

هذا وبعد ما انهى العبد الجلالي في تقدمه قاصدا مدينة فاس الى المحجرة - الكحيلة . موضع يشرف على نهر سبو ، اصطدم هناك مع قبائل

حوز مراكش التي كانت تحت قيادة جماعة من اشهر قواد الحوز ، كعبد الملك لمتوكي ، والعيادي وخبان وغيرهم من كبار قواد الحوز .

وكان هذا الجيش عظيما ، ودام الحرب بينهم وبين العبد مدة ، ومع ذلك ما استطاعوا رده على اعقابه ، بل صاروا معه في موقف حرج .

ولما علم مولاي عبد الحفيظ بحال جيش الحوز اصدر اوامره الى الجيش المقيم بالحاجب لاغاثة جيش الحوز ، فاسرع اليه قواد الجيش الحكومي الآتي ذكرهم وهم : محمد بن الجلالي السرغيني ، وصالح الزمراني ، والحسين البعمراني ، وابراهيم بوعودة الرحماني ، وعبد الرحمان اكرار لكلاوي ، والتحقوا بجيش الحوز ، فكانت بينهم وبين العبد الجلالي ملحمة عظيمة جرح فيها العبد الجلالي جرحا خطيرا فكان سببا في انهزام جيشه ، ولولا الجروح التي اصيب بها العبد ما انهزم جيشه ولا انتهب معسكره .

ثم بعد انهزام جيش العبد تقدم ابو حمارة الى الجيش الحكومي ، فالتقى الجمعان بارض بني وريا كل بكاف معقودة ، فكانت بينهما معركة طاحنة من اول النهار الى منتصف الليل ، فاحاط الجيش الحكومي بجيش ابى حمارة ، واستمات الفريقان ، ولم يعبأ ابو حمارة باستدارة الجيش الحكومي به وبجيشه ففك الحصار عليه وانسل تحت جناح الليل هو ومن نجا معه من جيشه ، وحمل عبده الجلالي المجروح في المعركة المتقدمة واستولى الجيش الحكومي في هذه المعركة على كثير من امتعة ابى حمارة ، منها غرائر مملوءة بسبائك الذهب ، وقبض على كثير من اصحابه فتوالت على ابى حمارة ثلاث نكبات ، انهزام جيش العبد ، بعد قتل شجعان رجاله ، والاستلاء على الذخائر التي كانت معه ، الثانية انهزام جيش ابى حمارة نفسه ، وقتل عدد من ابطال فرسانه الذين كانوا معه

كالاسد الضارية ، ونهب ماله الذي كان يحمله معه في الجوالق على البغال ، الثالثة قطع ساعده الايمن ، وهو موت العبد الجلالي متأثرا بتلك الجروح التي اصيب بها في معركة «جرة الكحيلة» على ضفاف سبو .

بيد ان الجيش الحكومي رغم كثرة عدده وانتصاراته احجم قواده عن اتباع ابى حمارة واقتفاء اثره ليجهزوا عليه ، قبل ان يسترجع قوته مرة اخرى على عادته بعض الاحجام ، ثم بدا لهم فاتبعوه فالتقى الجمعان مرة اخرى على ضفاف وادي واودور ، فكانت المعركة هائلة ايضا : صبر فيها الفريقان صبرا مدهشا حتى مل الفريقان الحرب . وانسحب ابو حمارة وغاب خبره عن الجيش الحكومي .

وفي تلك الاثناء امر السلطان مولاي عبد الحفيظ الجيش الذي كان بقي في مركز الحاجب ، بان يلتحق بالجيش الذي يحارب ابا حمارة ، وفي هذا الجيش القائد الشهير الناجم الاخصاصي الذي لم يكن حضر الوقائع المتقدمة .

وبعد ما وصل الناجم ومن معه الى الجيش الحكومي واخبر بتفاصيل تلك الوقائع الهائلة سأل عن ابى حمارة فلم يدر احد موضعه ، فخاف القائد الناجم ان ينتعش ابو حمارة فيصعب امره، فسار حيلا في ثلاثمائة وخمسين فارسا واربعمائة من الجنود اركبهم على البغال للبحث عن ابي حمارة ، وكتب الى السلطان يلتمس منه ارسال المدافع والرشاشات وان يتبعه الجيش ففعل .

وبعد ما دخل قبيلة بني زرول ووصل الى زاوية مولاي عبد الرحمان الدرقاوي عند ضريح مولاي الطيب اجتمع بالشيخ المذكور ، وطلب الامان لزاويته فامنه الناجم، ثم ان الشيخ قام باكرام ذلك الجيش وضيافته،

واخبرهم بان ابا حمارة بينما بنو زروال يقومون بضيافته ، اذا به يلقى القبض على جماعة منهم ، فاطلقوا عليه النار لخرج من ارضهم ، ولا يدري بعد ذلك اين توجه ، فخرج الناجم بجيشه يقتفي اثر ابا حمارة ، ويبحث عنه ، فجاءه الخبر بانه في ضريح مولاي عمران بقبيلة بني مسارة .

وفي تلك الاثناء وصل الى الناجم الجيش والمدافع والرشاشات وفق ما كان طلبه من السلطان .

وبعد ما وصل ذلك الجيش جاءت قبائل اجبالة كالخائفين ان يصيبهم من ذلك الجيش مكروه ، فقال لهم القائد الناجم : نحن لا غرض لنا في احد سوى ابي حمارة ، وقد كان بعض قواد ذلك الجيش وهو اكرار لكلاوى قريب الوزير المدني الكلاوى فصار ذلك القائد يبحث عمن غنم شيئا من جيش ابي حمارة فقيل له: ان فلانا اختطف من جيش ابي حمارة بغلة عليها جاريتان من اجمل النساء فاتنتان ، فارسل بعض الاعوان فجاءوا بهما قهرا عن صاحبهما ، فجاء صاحبهما الى الناجم قائد الجيش ، فقال له : كذبت علينا حين قلت : لا غرض لكم في غير ابي حمارة ، والآن جاء اعوانكم فانتزعوا مني جاريتين غنمتهما من جيش ابي حمارة ، فانتزعهما الناجم من ذلك القائد بالقوة ايضا ، وردهما الى صاحبهما وفاء بالعهد الذي قطعه على نفسه لاجبالة .

ثم ان الناجم بقي ينتظر ما ذا يصنع ابو حمارة ، لانه علم ان ابا حمارة يكاتب القبائل المجاورة لبني مسارة ، يعدهم ويمليهم ويخوفهم من الافعال الشنيعة التي اعتاد الجيش الحكومي ان يفعلها بهم ان لم ينصروه ، ليدفع منهم اذاه فاجتمع اليه جيش من تلك القبائل فخرج بهم ابو حمارة ترعد ابواقه وطبوله فاستعد الناجم بنصب المدافع والرشاشات ، ونظم جيشه ،

فاذا بابي حمارة يترك جيش الناجم ، ويقصد مركز الجيش الحكومي الكبير، وبين جيش الناجم وجيش ابي حمارة واد سحيق العمق، فسار الناجم محاذيا لابي حمارة ، فسبق الناجم الى مركز الجيش الحكومي ، وقواده غافلون عن مجيئه ، فخرج اليه الجيش الحكومي فكانت بين الفريقين مناوشات .

وفي الغد هاجمه الجيش الحكومي هجوما عنيفا ، صبر له ابو حمارة صبر من لا يبالي بالاخطار ، ثم انهزم هو واصحابه في آخر النهار هزيمة منكرة ، وتشتتوا تشتيتا ما اجتمعوا بعده ابدا .

نهاية مسرحية ابي حمارة
بالقاء القبض عليه

وبعد ما هجم ابو حمارة الجيش الحكومي ومعه رجال بني مزكلدة وغيرهم من القبائل مارا في قبيلة بني مزكلدة ، والتحم مع الجيش الحكومي في ملحمة عظيمة ، ثبت فيها ابو حمارة واصحابه ، وصبروا صبرا عظيما ، وذلك طيلة يوم السبت رابع شعبان عام سبع وعشرين وثلاثمائة والف ، وفق تاسع عشر غشت سنة تسع بعد تسعمائة والف ، غير انه في آخر النهار ، انهزم ابو حمارة واصحابه انهزاما شنيعا ، وتشتت شملهم تشتيتا ما اجتمعوا بعد تلك الوقعة ابدا ، ونهب الجيش الحكومي قبيلة بني مزكلدة التي نصرت ابا حمارة ، وافلت ابو حمارة من الوقعة ورجع الجيش الحكومي الى مركزه .

وعند منتصف الليل جاء رجل يبحث عن القائد الناجم بن مسعود بن مبارك الاخصاصي القائد الشهير ، فاخبره بامره اعوانه ، فامر بادخاله ،

وبعد دخوله عرف انه الرجل الذي رد عليه الجاريتين التي تقدمت حكايتهما فقال له : ايها القائد ان الاحسان يملك الانسان ، وقد اسديت الي ذلك المعروف الذي لا انساه فاردت ان اجازيك عليه شأن احرار الرجال ، وذلك ان ابا حمارة تركته الآن في ضريح مولاي عمران ، وليس معه احد ، وامام المشهد خمسة وسبعون من جياد الخيل تركها له اصحابه وفروا عنه وادخلوا سروجها المذهبة الى المشهد فعجل واسرع لامرين : الاول ان يكون لك شرف القبض عليه ، والثاني ان لا يفلت من يدك فتضيع جهود الحكومة الجبارة التي بذلتها .

فقام الناجم ومعه بعض القواد وفرق من شجعان الجيش الحكومي وساروا تحت جناح الليل ، يدلهم على الطريق صاحب الجاريتين ، وعند طلوع الشمس كانوا وصلوا الى المشهد المذكور ، فرأى الناجم الجياد مصطفة وحدها ، وعند وصولهم اطلق عليهم من داخل المشهد طلقات نارية ، اطلقها عليهم عبيد صغار لابى حمارة فقتلوا فرسا وجنديا ، ثم استداروا وراء البناية واشعلوا النار فى سقفها ، ولما امتلأ بالدخان وصار ابو حمارة يختنق قفز من داخل المشهد الى خارجه ، واذا بالقائد الناجم ينقض عليه ويمسكه بيديه القويتين ، وقد تكاثر الناس عليه ، ودخل الجيش الى المشهد ينتهبون ما فيه من امتعة ابى حمارة ، وانتزعوا من ابى حمارة خنجرا ومسدسا من تحته، وخنشة صغيرة مملوءة بطوابع كان يطبع بها رسائله التي كان يوجهها الى القبائل ، وفي داخلها محمد فتحا بن الحسن، وقد وصل الجيش الحكومي بجميعه الى المشهد ، وصار كل من وصل يضع كفه على رقبة ابى حمارة ويقول : يا ناجم انا قبضت ابا حمارة ، فيرد عليهم القائد الناجم رد مجاملة ، نعم ياسيدي انت قبضته .

ولما خاف الناجم على ابى حمارة ان يمزقه الجيش وغرضه ان يمسكه السلطان حيا ، امر جيشه الذي تحت قيادته ان يدافع عنه ويحافظ على حياته ، فشدوا يديه الى الوراء ، واركبوه بغلة ، واركبوا خلفه على نفس البغلة التي هو عليها القائد البخاري ، وابتعدوا بابى حمارة عن وسط الجيش وساروا بابى حمارة الى الليل ، وباتوا به في الطريق ، ولما نزلوا استدار بابى حمارة جماعة من قواد الجيش الحكومي ، وهم القائد صالح الزمراني ، والقائد محمد بن الجلالي السرغيني ، والقائد الحسين البعمراني ، والقائد بوعودة الرحماني ، والقائد عبد الكريم ولد ابا امحمد الشركي والقائد محمد بن بوشتى بن البغدادي باشا فاس في عهد مولاي يوسف رحمه الله ، والقائد ادريس الجويشي ، والقائد الحافظ الدليمي ، والقائد عمارة الشرادي والقائد الحبيب الشرادي ، والقائد ابن ادريس الشرادي ، والقائد محمد القريضي المصاري الجبلي ، ومع ابي حمارة ابن له صغير عمره نحو ستة اعوام سماه خليلا تبناه بعده القائد الحاج احمد لكريمي ، وصار اولئك القواد يوبخونه ويلومونه على ما فعله ، يقولون له : عذبتنا واهلكت المغرب طيلة سبعة اعوام ، واكثر عليه الناجم في التنديد والتثريب فالتفت ابو حمارة الى ولد ابا محمد الشركي قائلا له : قل لصاحب الركب يسكت عني ، يعني الناجم ، فاجابه ولد ابا محمد انه القائد الناجم ، ليس بصاحب الركب ، انما هو ذلك القائد الشجاع ، الذي تعرف مواقفه معك ، ثم التفت ابو حمارة الى الناجم فقال له : اقرأت كتاب مشارق الانوار ؟ فاجابه الناجم : بانه امي لا يقرأ ولا يكتب ، فقال له ابو حمارة : لم تصدع رأسي وانت لم تقرأ حتى كتاب مشارق الانوار ، وزاد ابو حمارة قائلا : ان كل ما رأيته جار على وفق الاقدار ، لاني انا الذي تركت بلاد

السبب ، وجئت الى بلاد الزبيب اجبالة ، يريد انه ترك ناحية وجدة وتازة وغيرهما ، حيث الرجال الشجعان ، وجياد الخيل . فقال له القائد المصاري الجبلي : ولكن لا تغفل ان الله لم يمكن منك الا في بلاد الزبيب ، فقال له ابو حمارة : انكم يا ابناء اجبالة ، لستم رجال الملحمة ، واذما انتم رجال القنفحة .

وفي هذه الاثناء التفت ابو حمارة الى من حوله من القواد ، فقال لهم : تبا لكم يا أشباه الرجال ، فمتى كنتم رجالا في اعين الناس ، ونلتم السمعة بين اقرانكم ، فبمن اكتنزتم ما اكتنزتم من الاموال والخيل والبغال ؟ او لست انا هو السبب في كل ذلك ، فبي ظهرتم ، وصرتم تتوصلون من خزينة الدولة بالمؤونة . وبكل ما تقدمون فيه مطالبكم ، فهذا امري اليوم قد انقضى ، وعن قريب يذهب كل واحد منكم الى حيث لا يعبأ به احد ، ويكون شغله الشاغل طرد الذباب وذوده عن وجهه يتلاعب النوم برأسه ، يركع به تارة ، ويرفعه اخرى ، فاين رجولتكم ياأبناء الكزازة والبخل والشح واللؤم ، فلو كان فيكم عرق ينبض بالرجولة لما تركتموني ارتعد بينكم من شدة البرد ، وانتم تنظرون ، فاعطاه القائد ادريس لودايي سلهاما رقيقا فرده اليه وقال له ما اصنع بهذا ؟ اعطوني غليظا يرد عني البرد ولو حلسا فجاؤه بفراش والتحف به وجمعوه تحت ذقنه بشوكة .

وفي صبيحة تلك الليلة كبلوه واركبوه هـو والقائد البخـاري على بغلتيهما ، وساروا الى ان وصلوا لمطة واشرفوا على فاس ، وصار ابو حمارة يقول للناجم ياناجم اريد كسوة ، فيجيبه الناجم اني بعثت الى السلطان ليبعث لك كسوة ، وفى لمطة انزل الناجم ابا حمـارة ليتنـاول طعـام الغداء .

وكان الناس يتساقطون ويجتمعون من كل جهة ، يقفون على جانبي الطريق الذي يمر عليه ابو حمارة ، حتى لم يبق رجل ولا امرأة في فاس ونواحيها الا وقف على الطريق ليرى ابا حمارة ، وقد وصل كراءُ الدابة في ذلك اليوم الى مائة ريال .

غير ان ابا حمارة امتنع من الاكل قال : كيف آكل واولاد اليهود ينظرون الي ' فضرب الناجم حجابا بينه وبين الناس ، وقدم له اللحم والدلاح والعنب ولم ياكل ابو حمارة الا شيئا قليلا من الدلاح ، واكل طفله خليل حتى شبع .

قال الناجم : وفي تلك الآونة حضر اعوان من فرقة البواخر غلاظ الاكباد ، لا يعرفون شفقة ولا رحمة ، ومعهم جمل عليه قفص ، فاخذوا ابا حمارة بعنف وسلسلوه حتى لا يستطيع ان يتحرك ، فادخلوه في ذلك القفص وشدوه على ظهر الجمل ، ثم رموا للناجم بزمام البعير ، وقالوا له : ان السلطان يامرك ان تاخذ زمام البعير وتدخل به الى المشور .

ثم سار الناجم يمر بين جماهير الناس رجالا ونساء من اهل فاس وغيرهم الذين جاءوا لينظروا الى ابى حمارة حتى دخل به المشور في داخل دار المخزن واناخ البعير امام السلطان مولاي عبد الحفيظ ووزرائه .

ثم تقدم امام السلطان وانحنى له ، وسلم السلام التقليدي ، ووضع بين يديه ما وجد مع ابى حمارة ، وهو الخنجر والمسدس وخفان من جلد لين خيطا بخيوط من خالص الذهب ، وخنشة صغيرة من الملف ، فيها جملة من الطوابع ، فاخرج السلطان مولاي عبد الحفيظ بيده الطابع الكبير من تلك الخنشة ، وصار يقرأ فيه محتواه وهو (محمد بن الحسن) ، فغضب السلطان حين وقف على ذلك، وصار يوجه لابى حمارة شتما لاذعا ،

وصار ابو حمارة يغمغم بكلام لا يفهمه احد . فنادى السلطان القائد الناجم قائلا له : انظر ما يقول ولد الحرام ، فدنا الناجم من ابي حمارة ، فقال له ابو حمارة : اهذا حفيظ ؟ ثم اشار الى الوزير لكلاوي فقال : من صاحب تلك الشفتين الغليظتين ؟ ثم اشار الى عبد الملك لمتوكي وقال : من ذلك الاعور؟ ثم اشار الى عيسى بن عمر فقال : هذا صاحب الذئاب ، لانه كان ولوعا بصيدها ، ثم اشار الى القواد : ابن البغدادي اخ محمد بن بوشتى باشا فاس ، ولكريسى وبوخبزة . وكلهم سود وبطونهم خارجة فقال : من هذه العريفات المنتفخات البطون . كانهن حبالى ، فما الذي يلدن ؟ وفي كل سؤال يقول له الناجم : انت تعرف ، واخيرا امر السلطان بادخاله في دويرة صغيرة سجن فيها ثم اعطى السلطان مولاي عبد الحفيظ المسدس والخنجر والخفين للقائد الناجم ، على قاعدة : من قتل قتيلا فله سلبه .

ثم بني بناء على باب البوجات ، وفي كل عشية يوتي بابي حمارة في قفصه فيوضع على ذلك البناء ليشاهده جميع الناس ، وصار الفرسان يلعبون حوله ، والنساء الفاسيات يضربن ويلعبن بالدفوف .

اما الوزير التهامي الكلاوى فانه بعد ما انفض المجلس ، ودخول السلطان الى دار الحريم ، اخذ بيد القائد الناجم ، وصار يسايره خطوات ، ويقول له : تعديت ياناجم ، كرر عليه هذا مرارا فقال له الناجم بما ذا تعديت ياسيدي ؟ اني اتوب الى الله ، فقال المدني لكلاوى : بالقبض على ابي حمارة ، لان هذا الرجل الذي نحن معه ، يريد السلطان مولاي عبد الحفيظ رجل غدار ، وقد كنا نراوغه بهذا الرجل ، والان قد قضيت علينا بقبضك عليه نهائيا ، فلم يسع الناجم الا ان قال له : وعلى اي حال كان فاني اتوب الى الله .

قلت :

ليتأمل القاري كلام الوزير الكلاوي ، وبذلك يطلع على سر بقاء ابي حمارة من عام عشرين بعد ثلاثمائة والف الى عام سبعة وعشرين وثلاثمائة والف يتسبب في الويلات ، ويوجه الى وطنه المغرب العزيز وحكومته الشرعية وجميع ابنائه اقصى الضربات ، واشعل هو وامثاله نار الفتنة ، فاتت على الاخضر واليابس وتركت المغرب افقر الامم.

وفوق هذه الويلات وبعدها ، وبسببها جاءت الطامة الكبرى ، وهي احتلال الاجنبي للوطن ، ولولا ان الله سبحانه نظر الى هذا الوطن العزيز بعين رحمته ، بان جعل على عرشه الامام العظيم ولي نعمة المغاربة بعد الله محمد الخامس رحمه الله ورضي عنه ، وخليفته الامام الحالي مولانا الحسن الثاني اللذين انعم الله عليهما ، وجعل تحت ايديهما وتصرفهما من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة وجميع اسباب الرفاهية اعظم شيء يمكن وجوده عند المخلوقات ، وهل الهاهما ذلك عن المطالبة بحقهما وحق امتهما ، ورضيا ان تبقى امتهما النبيلة تحت يد اجنبية تعبث بها كيف شاءت ، ويتنعمان هما واسرتهما كلا والف كلا بل قاما وجميع الاسرة المالكة وجميع المخلصين من ابناء هذه الامة المغربية رغم ما تيقنه الجميع بانه سيصيبهم من الاذى ، والاهانة والقتل والنفي والتعذيب على يد الاعداء ، ما تذوب من هوله الصخور ، فكان جميع ما توقعوه ، واكثر ما توقعوه ، ولولا اتكال على الله ، واقدام من الملك الراحل ، وخليفته الامام الحالي والمخلصين من الامة المغربية ، اقدام الاسد الضارية ، وعزم صادق وزهد في عرض الدنيا الفاني ، ما زال كابوس الاستعمار عن وطننا المغرب العزيز.

فقارن بين هؤلاء ، وجل اولئك الوزراء وجل اولئك الذين كانوا يقودون الجيش الحكومي ، ليطهروا ارض الوطن من الفتنة والفتانين ، تجد بينهما بونا شاسعا .

فهؤلاء زهدوا فيما جمعوا وزهدوا في انفسهم واهليهم، لينقذوا المغرب من براثين الاستعمار ، ليحيى حرا مستقلا ، وهم اولئك جمع حطام الدنيا ، واستنزاف مالية المغرب بل ودمه ليعيشوا هم وحدهم عيشة يرضاها كل واحد منهم لنفسه الخبيثة في اماكن لا تنالهم يد العدالة ، كطنجة في وضعيتها في ذلك الحين ، ولا يهمهم هلاك وطنهم واخوانهم المغاربة .

ذكر مقتل ابى حمارة
وطي صحيفة تاريخه السوداء من هذا الوجود الفاني

ذكروا المتعجل باعدام ابى حمارة بعد اسابيع قليلة من اسره سببا وهو ان السيد ادريس منو كان صاحب سر السلطان مولاي عبد الحفيظ وكان بينه وبين قنصل المانيا مودة ، فاخبر القنصل الالماني صاحب السيد ادريس منو بان قناصل الدول الاوربية ستمثل بين يدي السلطان لتلتمس هيئتهم منه اطلاق سراح ابى حمارة ، فاخبر السيد ادريس منو السلطان بذلك .

وتجنبا للويلات التي ستنزل بالمغرب من جديد ان نزل السلطان عند رغبة اولئك القناصل الذين كانت دولهم بالامس تمد ابا حمارة تحت طي الخفاء ، بما يحتاج اليه ، وتقويه وتشجعه على اذكاء نار الفتنة في

المغرب لاضعافه حتى يصير لقمة سائغـة لهم ، او لنفورهم ان رد طلبهم لما تحدثه دولهم من المشاكل، فيا ما اكثرها واكثر ما يحسنون انتحالها ، شأن القوي مع الضعيف ، وتفاديا من هذا وذاك امر بقتله .

كيفية قتله

وفى الجزء العشرين من تاريخ سوس صحيفة 74 و 75 ان ابا حمارة كان يستانس بالسيد ادريس منو ، وكان يسايره في بعض الاحيان في بستان من بساتين دار الحكومة التي يقطن بها السلطان ، ويقول لابي حمارة : انه سيطلق سراحه .

وفى الليلة التي عقب اليوم الذي اخبر فيه السلطان بما عزم على القيام به قناصل الدول ، امر السلطان السيد ادريس منو بقتل ابى حمارة في الحال . فاخرج ابا حمارة من سجنه ، وصار يسايره على عادته معه ، وقد تقدم الى عبد كان هناك ، بانه اذا مر به هو وابو حمارة اطلق عليه رصاص مسدس معه من حيث لايشعر ابو حمارة .

غير ان العبد لما اراد ان يقوم بما امر به دهش وصار يرتعد ، فلما سمع ابو حمارة الحركة خلفه ، التفت بسرعة ، وصار يقول : هذا هو الغدر ، وينطق بالشهادتين ، فعند ذلك انتزع السيد ادريس منو المسدس من يد العبد واطلق رصاصه على ابى حمارة ، فلما مات احتز رأسه ، وذهب به الى السلطان فامره برده الى جثته ، واحراق الجميع فصدع بالامر، وكل ذلك وقع في ستر تام .

وفي تاريخ محمد خير فارس صحيفة 492 ، ان ابا حمارة اعدم في ثاني عشر شتنبر سنة تسع وتسعمائة والف .

وعليه فبين القاء القبض عليه واعدامه رميا بالرصاص احدى وعشرون يوما فقط ، سبحانك ـ يا ربنا ـ ورب كل شيء منزل التوراة والانجيل والقرآن العظيم ، انت الاول فليس قبلك شيء ، وانت الآخر فليس بعدك شيء ، وانت الظاهر فليس فوقك شيء ، وانت الباطن فليس دونك شيء . ما اعظم عدالك في الدنيا والآخرة ، اعدم ابو حمارة الناس رميا بالرصاص ، بل ربط الناس امام افواه المدافع ، فاطلق نيرانها عليهم ، فطارت اشلاؤهم في الهواء واعدم هو ايضا رميا بالرصاص ، وقطع عددا عديدا من رؤوس الناس ، فقطع رأسه هو ايضا . واحرقت جثته مع رأسه ، فكما يدين العبد غيره يدان هو ايضا .

وبعد ما حضر قناصل الدول عند السلطان في مهمتهم ، اخبرهم بانه نفذ فيه حكم الاعدام بحكم شرعي ، وانهم لو جاءوه قبل ذلك لنزل عند رغبتهم لخ .

قلت :

كنت في فاس سنة خمس واربعين بعد ثلاثمائة والف ، وفي مجلس فيه بعض اصحاب الشيخ شعيب الدكالي محدث المغرب المشهور ، وتناول اهل المجلس الحديث عن ابي حمارة ، وذلك بعد نهاية امره بنحو اثنين وعشرين عاما ، فقال صاحب الشيخ المذكور ، وذلك الصاحب من ثقات الرجال : انا كنا مع الشيخ شعيب صبيحة ذات يوم ، فاخبرنا بان السلطان استدعاه هو وجماعة من العلماء في الليلة المنصرمة للحكم في قضية ابي

حمارة ، فقلنا له : هل صدر منكم الحكم عليه ؟ وبما ذا حكمتم ؟ فقال : اصدرنا الحكم عليه بقوله تعالى :

انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا ، او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ، او ينفوا من الارض الخ .

وزاد المؤرخ المذكور في صحيفة 75 : قائلا : وحين خفى قتله عن علم الناس ، صار بعضهم يزعم انه فر من السجن ، وانه لا يزال حيا .

وادعى بعضهم : انه بما له من السحر وعلم الاسماء خرج من دار المخزن بين الناس دون ان يظهر للعيون وقد حجبته شعوذته .

وباشاعة هذه الاكاذيب بين الناس ، ملع بعض من كان زوجه ابنته من الزواج ، قال : واكذب منه ما زعمه بعض الاوربيين من ان السلطان مولاي عبد الحفيظ رمى ابا حمارة للسباع فمزقته .

قلت :

ما اشبه قصة ابى حمارة بقصة ابن ابى محلى، الذي ثار في عهد السلطان زيدان ابن السلطان احمد المنصور الذهبي السعدي ، ادعى اولا التصوف ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وبهذه الامور يغتر الناس خصوصا المغاربة ، ولما كثر اتباعه واقبل عليه الناس صار يدعي انه المهدي المنتظر .

ثم دخل تافيلالت وانتصر على عامل زيدان ، ثم زحف على درعة اقليم ورزازات ، وهجم جيش زيدان ، الذي كان تحت قيادة اخيه عبد الله الموجه لقتال الثائر ابن ابى محلى ، فقتل من الجيش الحكومي نحو ثلاثة آلاف .

واخيرا زحف على عاصمة مراكش ، وفر منها السلطان زيدان الى اسفي وبعد ما احتل العاصمة دخل قصر البديع المشهور ، وفعل بمن فيه ما شاء ، حتى قيل : انه تزوج ام السلطان وزوجة ذلك الاسد المنصور بطل وادي المخازن ومبيد جيش الغزاة النصارى من البرتغال ، وفاتح ممالك السودان ، المنصور بالله ابى العباس احمد السعدي .

فسبحان من له الامر من قبل ومن بعد ، يعز من يشاء ، ويذل من يشاء وهو القاهر فوق عباده ، لا يسأل عما يفعل .

وبعد ما احتل ابن ابى محلى عاصمة مراكش زاره فيها جماعة ممن كان يعاشره من المتصوفة ، فصار يكلمهم ويكلمونه ، الا واحدا منهم قد التزم الصمت فقال له ابن ابى محلى : لم لا تتكلم يافلان ، فقال له ذلك الموفق : انت اليوم سلطان ان امنتني قلت ، قال له : قل وانت آمن ، قال له : ان ما قمت به مثله كمثل الكرة التي يتنازعها ويتناولها ويجري خلفها مئات من الناس ، ويعلو صراخ وضجيج من حولها ، وقد يموت بعضهم وينكسر بعضهم ، ويجرح بعضهم فلا يبالون ، فاذا شققتها واطلعت على سر محتوياتها تجدها محتوية على خرق وشراوط بالية ينبو عنها النظر ، استحقارا لشأنها .

فلما سمع هذا ابن ابى محلى بكى وقال : رمنا ان نجبر الدين فاتلفناه ، وكان الامر كذلك ، فانه لما هاجمه ابو زكريا يحيى بن عبد الله صاحب جبل درن قتله على ابواب مراكش ، في اول الوقعة برصاصة صادفته في نحره فمات .

وبعد موته قطعوا رأسه ورؤوس جماعة من اصحابه ، وعلقوها على باب من ابواب مراكش وبقيت معلقة نحو اثنى عشر عاما .

اصل هذه الحكاية للامام اليوسي فى المحاضرات نقلها عنه المؤرخ العلامة اليفرني في نزهة الحادي صحيفة 207 وما بعدها .

وصاحب الاستقصا في الجزء السادس صحيفة 31 من الطبعة الجديدة، وفيها عبرة لمن اراد الاعتبار، وذلك في رمضان عام اثنين وعشرين والف.

وفي صحيفة 88 من الجزء السادس من الاستقصا ، ورغم ان رأس ابن ابى محلى قطع وعلق على سور مراكش ، فان اصحابه يزعمون انه لم يمت ، وانما تغيب .

وزاد قائلا : عن اليفرني انه سمع ممن يثق به من اهل وادي الساورة ان فيهم الى الآن من يعتقد ان ابن ابى محلى لم يمت ، وانه متغيب فقط .

قلت :

وهو معتقد جماعة ايضا من جهلة العوام من اصحاب ابى حمارة ، سمعت ـ والله ـ اذناي بعد القبض على ابى حمارة بنحو عشرين عاما من شيخ مسن في عمره اكثر من ثمانين عاما من جهلة اصحاب ابى حمارة يقول لي في حالة انفراد خوفا على سره ان يفشى : ان ابا حمارة لا زال بقيد الحياة ، وانه اجتمع به في دار بعض اصحاب ابى حمارة بعد القبض عليه بمدة ، وانه اخبره انه سيظهر مرة اخرى، فما اعظم جهل هؤلاء العوام، وقديما قيل : ان حب الشيء يعمى ويصم .

اخبار الشريف سيدي محمد امزيان
في جهاده هو واخوانه الريفيين للاسبان
بعد مغادرة ابى حمارة وجيشه سلوان دفاعا عن الوطن

بعد ما جلبنا من اخبار ابى حمارة ما اطلعنا عليه من كتب التاريخ واحسنها واوفاها تاريخ امام الفن سيدي محمد المختار السوسي رحمه الله ، وتاريخ محمد خير فارس ، وتاريخ الوزاني ، وتاريخ الاستعمار الفرنسي لامين سعيد ، وغيرهم .

وما سمعناه من افواه الرجال الذين كانوا يحضرون ويخوضون تلك المعارك وينتقلون مع ذلك الجيش من مكان لاخر ، وشاهدوا هزائمه وانتصاراته .

واما ما ساكتبه الان فصاعدا ان شاء الله من اخبار الشريف سيدي محمد امزيان واخوانه الريفيين الذي موضعه محاربتهم الاسبان ، دفاعا عن الوطن ، فمصادره الوحيدة ما تلقفناه وسمعناه من افواه المجاهدين من مختلف قبائل الريف الذين كانوا يخوضون تلك المعارك الجهادية تحت قيادة الشريف سيدي محمد امزيان رحمه الله، ورحم جميع الشهداء ابناء المغرب الريفيين الاحرار .

واما ما كتبه من اطلعنا على كتابته من اخواننا المغاربة ، كالسياسي الكبير ، والزعيم الخطير سيدي علال الفاسي في صحيفة 106 من كتابه الشهير الموسوم بالحركات الاستقلالية ، الذي قال فيه ما حاصله : وفي سنة تسع بعد تسعمائة والف، جمع الاسبان بضواحي مليلية جيشا ذا ثلاث فرق وقرروا غزو الريف ، فانبرى لمقاومتهم بطل الريف الاول السيد محمد امزيان ،

واشتد القتال بين الريفيين والاسبان مدة سنتين ، تكبد فيها الاسبانيون خسائر كبيرة ، يقدرها مؤرخوهم بعشرة آلاف قتيل ، من بينهم الجنرال بلتو ، والجنرال فيكاريو .

وقد ابلت قبيلة قلعية في هذه المواقع البلاء الحسن ، انتهى نصه بالحرف .

هذا كل ما كتبه عن جهاد الشريف سيدي محمد امزيان ، وهو كما يراه القاري ضئيل وقليل جدا .

وما كتبه العلامة الكبير والمؤرخ الشهير السيد التهامي الوزاني في الجزء الثالث من تاريخه من صحيفة 56 الى صحيفة 60 جمع - جزاه الله - بما يجازي به اهل الغيرة على وطنهم ودينهم . فيه معلومات تاريخية مهمة لا تكاد توجد عند غيره من المغاربة ، الذين كتبوا تاريخ حوادث جل القرن الرابع عشر الهجري ، حسبما اطلعنا عليه .

وتعرض لذكر الشريف سيدي محمد امزيان ، واشار الى بعض ما قام به هو واخوانه الريفيين من اعمال جهادية ، اشارة خاطفة وذهب بسلام .

ثم هو مع ذلك وقعت له اغلاط في بعض الوقائع واسامي بعض المواضع ، والخطب سهل ، والكمال لله وحده .

واما نحن فنقول : ومن الله سبحانه نطلب الاعانة والتوفيق .

ان الاسبانيين والفرنسيين كـان لهم جواسيس يجوسون خلال ديار الريف ، يبحثون عن امور ، منها ما هو معروف ، وما هو غير معروف ، عند غيرهم من جملتها البحث عن مواضع المعادن التي باطلاع الدول الاوربية على اسرارها التي احتلت بها قمة الرقي واوج السعادة ، وبذلك صارت تسمى بالعالم الحر ولا زالت تتهافت في البحث عنها ، كـانت في

قمم الجبال وبطونها او تحت مياه البحار وظلماتها ، وهاهم الان يبحثون عنها حتى في سطح القمر .

وكان بعض الاوربيين يتعلمون اللغة العربية ، ويقرأون القرآن ، ويقرأون الفقه الاسلامي ، ويلبسون زي الفقهاء والاشراف ، ولشدة تمسك المغاربة بالدين الاسلامي ومحبتهم فيمن يشار اليه بالعلم والتقوى والشرف كانوا يعظمون اولئك الجواسيس ويحترمونهم ، ويمكثون بين اظهرهم السنين الطويلة .

وهمهم في تلك المدة التنقل من مكان الى مكان للاطلاع على اسرار المكان الذى هم فيه ، ومن جملتها المعادن وانواعها ، لانهم كانوا يبعثون احجارا منها الى بلادهم لتحليلها .

وقبل ان يدخل الريف تحت نفوذ ابى حمارة ، كان الاسبانيون والفرنسيون يعرفون الاماكن التي تكتنز المعادن الجيدة التي تتهافت عليها اكثر شركاتهم ولذلك بمجرد ما اتم ابو حمارة بسط نفوذه على قبيلة قلعية ، خصوصا قبيلة بني بويفرور التي في ارضها يقع المنجمان وكسان واحرشاون وغيرهما ، اتصل به نواب شركتين معدنيتين عظيمتين ، احداهما اسبانية ، والاخرى في اول الامر فرنسية وصارت المساومة تدور بين اولئك النواب وابى حمارة واخيرا وقع التراضي على شروط من جملتها ان يستمر استغلال الشركتين الاسبانية لمنجم جبل وكسان والفرنسية لمنجم جبل احرشاوا لمدة تسعة وتسعين عاما ، بعد ما دفعتا له نحو خمسة ملايين من البسيطات ، وحينما شرعتا في العمل ، وذلك في فاتح يليوز سنة سبعة وتسعمائة والف .

وقد عين ابو حمارة خمسين جنديا لحراسة الاجانب الاسبانيين الذين يعملون في منجم جبل وكسان ، تحت قيادة الحاج الفضيل النصيرى ، كما

هين فرقة اخرى لحراسة الاجانب الذين يعملون في منجم جبل احرشاوا عند الشركة الفرنسية تحت قيادة رجل يسمى بابن العتروس وشرعت كل من الشركتين في مد خط حديدي يربط بين مليلية والمنجمين ولكن قبل اتمام هذين الخطين الحديديين ، وقبل نقل القطارات الاحجار المعدنية الى مليلية ليبحر منها الى معامل اوربا ، قامت الثورة الريفية ضد ابى حمارة فتعطل العمل في المنجمين وفي الخطين الحديديين .

ويقال : ان السلطان مولاي عبد الحفيظ احتج لدى دولتي فرنسا واسبانيا على استغلال المنجمين المذكورين ، ومد الخطين الحديديين بغير اذن الحكومة المغربية الشرعية فلم يلتفت اليه .

وبعد مغادرة ابي حمارة قلعة سلوان ، حسبما قدمنا تفاصيل ذلك ، صارت قبيلة قلعية وغيرها من قبائل الريف لا شأن اهم الا قتل اصحاب ابى حمارة من القواد والاشياخ وغيرهم ، وتخريب ديارهم .

وفي هذه الاثناء صار الجنرال مرينا الحاكم العسكري لمدينة مليلية يراسل زعماء قلعية ، وعلى رأسهم الشريف سيدي محمد امزيان ، يلتمس منهم ان يعود العمال الى المنجمين للعمل فيهما ، وفي الخطين الحديديين لاتمامها ، وزاد قائلا لاولئك الزعماء : ان لكم ولجميع العمال من قبائلكم منافع وفوائد كثيرة ، ياخذونها من الشركتين ، فقال له الشريف سيدي محمد امزيان : ان الامر الذي تطلبه منا ، ليس لنا صفة تخول لنا ذلك وللمغرب ملك هو مولاي عبد الحفيظ فمعه تخابروا : ولان الفوضى منتشرة : فلا نأمن على الاجانب ان يصابوا من قبل الاهالي باذى ، فقال لهم الجنرال مرينا : ان الشركة مستعدة ان تقوم بمد اسلاك شائكة على جانبى الخطين الحديديين ، فان صادفتم اجنبيا خارج الاسلاك وفعلتم

به مكروها فلا يلومون الا نفسه ، ومع هذا كله فان زعماء قلعية ، وعلى رأسهم الشريف سيدي محمد امزيان قالوا للجنرال : اننا لا نتساهل معكم ولو في شبر واحد من ارض الوطن، ولكن سنرسل وفدا من قبلنا الى السلطان، فالعمل على ما يرجع به الوفد الينا من عنده .

ولعام الجنرال مرينا بالحالة التي عليها السلطان وحكومته وان فرنسا وضعت يدها على كل شيء في المغرب ، دون ان يعلم اولئك الزعماء شيئا من حقائق الامور قال لهم ياقوم : لا سلطان لكم ترجعون اليه ، خذوا برأيي قبل ان ينفلت الحبل من ايديكم ، فان في استطاعة الدولة الاسبانية ان تصل الى المنجميين بالقوة فلم يعبأ الشريف ومن معه بتهديده ، وترغيبه لهم في المال ، وبعد ما خرجوا من عند الجنرال اوفدوا وفدا الى فاس ، فيه ابن اخ الشريف وخليفته فيما بعد السيد محمد التباع ، والقائد الشادلي المزوجي ، وغيرهم ، فانزلهم السلطان وامرهم بالانتظار ، وعين لهم مؤونة قدرها ريال حسني في كل يوم .

اخبرني الشريف السيد محمد التباع : بان ذلك الريال كان لهم فيه كفاية تامة لرخص الاسعار قال : وطال انتظارنا.

ثم انه في يوم من الايام اذا باعوان السلطان يبحثون عنا ، فجمعونا وادخلونا على السلطان مولاي عبد الحفيظ . فقال لنا : ان اخوانكم اهل الريف قد دخلوا في حرب مع الاسبان ، الحقوا ببلادكم ، ولم يعطنا جوابا عما بعثنا اليه في شأن اخواننا اهل الريف .

قلت :

وسبب ذلك ان الجنرال مرينا بعد ما خرج من عنده اولئك الزعماء صار يرسل اليهم واحدا بعد واحد يغريهم بالمال ، ويعدهم ويمنيهم ،

خصوصا الشريف عرض عليه اموالا طائلة ومنصبا هاما ، فارسل اليه يقول له : انا لا حاجة لي في اموالكم .

قلت :

وقد اخبرني بعض الثقاة انه سمع من الوجيه السيد علال الورثي البجافري انه بعث معه الاسبانيون من مليلية كيسا مملوءا بالبسيطات الفضية الاسبانية الى الشريف سيدي محمد امزيان قدر ما يحويه الكيس ثمانية آلاف ريال اسبانية ، يلتمسون منه ان يتوسط لهم باستخدام نفوذه على زعماء قبائل قلعية ليوافقوا الاسبانيين على مد طريق السكة الحديدية الى جبلي وكسان واحرشاون ، واستغلال معدن الجبلين . قال : وقد وضعت المال بين يديه واخبرته بما يريده منه الاسبانيون امتنع من قبول ذلك المال ، وامرني برده الى الاسبانيين، وقال : لا حاجة لي بمالهم ولا اوافق على بيع شبر واحد من ارض المغرب ، ثم قال له : قل للاسبانيين فاني لا اخدعكم ولا تسمعون مني الا حقا .

وبصدق الشريف صار عظيما عند الاسبانيين ، كما كان عظيما عند اخوانه الريفيين ، ولما لم تنجح الاغراءات والوعود والتهديدات التي قام بها الجنرال مرينا طيلة تلك الفترة مع زعماء قلعية . فكر في استعمال القوة ، والتوصل الى ما يريده بوسائل جهنمية ، واعد لذلك جيشا منظما مدربا قويا مجهزا باحدث الاسلحة , كالبنادق الخماسية الاسبانية والرشاشات والمدافع المختلفة العيارات ، وصار ينتظر الفرصة التي تسوغ له احتلال ارض الريف ، فامر عددا من العمال الاسبانيين ان يقوموا قبل كل شيء بمباشرة العمل في اتمام طريق السكة الحديدية التي ينوي ايصالها الى المنجمين المذكورين الذين بينهما وبين مليلية نحو خمسة وعشرين كلمترا ،

فشرعو في العمل ، وصاروا يبلون القطرة ولم يكن الريفيون غافلين عما يقوم به الاسبان .

وفي سبعة وعشرى يونيه سنة 1909 ، اجتمع بعض رؤساء قبائل الريف وهم : رئيس المجاهدين الشريف سيدي محمد امزيان ، والقائد الشادلي المزوجي والشيخ عبد القادر الحاج الطيب الشكري ، والقائد علال بن السيد محند السيدالي والحاج عمرو المطالسى وغيرهم من اشياخ قبائل الريف ، واتفقوا فيما بينهم على منع الاسبانيين من استمرارهم في انشاء طريق السكة الحديدية الذي يربط بين جبلي وكسان واحرشاون ومدينة مليلية .

وفي يوم الجمعة 9 يليوز سنة 1909 حسب ما جاء في العدد الثاني من المجلة الاسبانية المسماة ب « اسبانيا في عهد أبطالها » ، اصدر رئيس المجاهدين الشريف سيدي محمد امزيان اوامره بالهجوم على العمال الاسبانيين الذين كانوا يقومون ببناء الجسور ومد طريق السكة الحديدية ، فصدع بالامر الشيخ المختار بن بوعرفة البويفروري ومعه نحو خمسة وعشرين من مختلف رجال قبائل قلعية ، وهو اول اصطدام وقع بين المغاربة الريفيين والاسبان ، فقتلوا البعض وجرحوا البعض وقبضوا على البعض وفر الباقون الى مليلية .

فعند ذلك خرج الجيش الاسباني الذي كان في تلك الايام الاخيرة كاها على استعداده ، ينتظر الاسباب التي يبرر بها موقفه ، وصار يمهد لتقدمه باطلاق قنابل المدافع الضخمة التي يحدث انفجارها دويا عظيما مهولا يردد صداها الجبال والاودية كالرعد ، التي ما كان الناس يعلمون بمفعولها .

واستشهد في ذلك اليوم رئيس الفرقة المهاجمة الشيخ المختار بن بوعرفة في نحو خمسة وعشرين رجلا ، وتقدم الجيش الاسباني الى ناحية المدشر

المسمى بسيدي موسى ، لانه على تلك الجهة يمر طريق القطار ، وبينه وبين مليلية نحو ستة كيلومترات ، يقع ذلك الموضع في اسفل جبل سيدي احمد الحاج ، لان ضريح هذا السيد في اعلا الجبل وبه سمي .

وقد اندهش الناس في اول الامر حين شاهدوا وعرفوا مفعول تلك الاسلحة الجهنمية ، التي ما كانوا يعرفونها .

وقد سبق للاسبان ان احتلوا الجزيرة : البرزخ الذي بين بحر الناضور والبحر الابيض المتوسط في رابع عشر فبراير سنة ثمان بعد تسعمائة والف .

وفي حادي عشر مارس من نفس السنة احتل الاسبان ايضا رأس الماء ويسمى ايضا « بالبرج » من ارض قبيلة كبدانة ، وذلك في ايام ابى حمارة، والموضعان المحتلان قريبان من المعة سلوان ، وابو حمارة ينظر اليهما بعينه .

وقد سبق للاسبان ان احتلوا جزر الزعفران القريبات من برج كبدانة ، والاسبانيون يسمونها شفرينة سنة 1818 م .

كان لابى حمارة سوق في الجزيرة قبل ان يحتلها الجيش الحكومي وكان هناك رجل من النصارى يسمونه بالمهندس ، وصار ذلك الموضع يسمى بالمهندس ، وكانت البواخر الفرنسية تنزل السلاح هناك لابى حمارة وكان ذلك لا يرضى الاسبانيين ، لان تلك الاسلحة تتسرب الى رجال الريف الشجعان ، وهي لها مطامع في الريف .

وكانت قد اتفقت مع دول اوربا ، ومنها فرنسا ان يكون الريف من جملة الاراضي التي تحتلها من المغرب ، وهكذا احتلت اسبانيا الموضعين المذكورين في التاريخين المذكورين .

والموضعان كانا تحت نفوذ ابى حمارة ولكنه لم يحرك ساكنا بل وجه جيوشه فى ذلك التاريخ الى بني ورياغل لاخضاعهم وانتهاب اموالهم ،

فكان سكوت ابى حمارة عن احتلال الاسبان للموضعين المذكورين مما اثار غضب اهل الريف عليه واتهموه ببيع ارضهم للاجانب .

وبعد ما احتل الجيش الاسباني ناحية سيدي موسى وادهش المغاربة الريفيين بما قابلهم به من قذائف تلك الاسلحة الجهنمية الحديثة الصنع التي لم يكونوا يعرفونها . تقدم الجيش الاسباني واحتل المركزين الاماميين وهما : لعري وتمكارت ، وهذان المركزان مواجهان للناضور ، الاول في جنب جبل سيدي احمد الحاج والثاني هضبة يحيط بها بحر الناضور ، وتتصل بالبر من الجهة الغربية ، وحصن الاسبان هذين المركزين الذين يبعدان عن مليلية بنحو عشر كيلومترات .

وفي هذه الاثناء كان الشريف سيدي محمد امزيان يكاتب قبائل الريف لاستنفارهم ، ويقودون النار على رؤس الجبال العالية ، وكل قبيلة رأت النار اوقدت هي الاخرى النار على رؤوس جبالها ، وذلك ينذر عادة بحدوث خطر عظيم من عدو داهم مشترك، وهي بمنزلة الابراق عند الدول المتحضرة ، ويسمونها بالمشاعر ،فلم تمض الا ايام قلائل حتى ورد على الشريف والمجاهدين الذين معه من كل قبيلة من قبائل الريف عدد من شجعانها ورماتها المجاهدين الابرار من حدود اجزناية وبني ورياغل وبني بوفراح وبني عمرت الى مليلية وذلك في 18 يلييوز سنة 1909 .

فكان عدد الواصلين نحو عشرة آلاف مجاهد من بينهم خمسمائة من الشجعان الرماة من قبيلة بني ورياغل ، ومن اشهر صناديدهم الشهيد الحاج توكوك ، فاجتمعوا في سوق جمعة مزوجة فوق موضع مدينة الناضور ، ومنه كان يشتري المجاهدون ما يحتاجون اليه ثم يعودون الى معقلهم المنيع ، وهو جبل سيدي احمد الحاج ، وجبل تازوطا الذي جاء ذكره في القرطاس

الفاسي لابن ابى زرع ، وهو جبل عظيم يشرف على مدينة مليلية .

فلو كان للمغاربة في ذلك التاريخ مدافع حديثة الصانع ، ومن يحسن الرمي بها ووضعت على رأس ذلك الجبل وغيره من جبال الريف المشرفة على البحر الابيض المتوسط ما استطاعت اي باخرة اجنبية ان تدنو من سواحل المغرب ، بدون اذن فضلا عن ان تكون هناك مدينة مليلية او غيرها ، فانها تخرب في اقرب وقت ، ومن ذلك الجبل كان ينزل المجاهدون ليلا ويحفرون الخنادق في الطريق التي تمر عليها قوافل تموين المراكز الاسبانية الامامية فاذا جاءت القوافل لتمر وجدت المجاهدين في انتظارها فيقتلون حامية العربات والبغال الحاملة للتموين ، فيظطر الاسبانيـون للخروج من مراكزهم التي يحتلونها لحمايتها فيقع الاشتباك ، ثم معارك حامية الوطيس .

وكان الاسبانيون يخرجون صفوفا متراصة ، والريفيون فى الحفائر فيقتلون من الجيش الاسباني جميع من وصل اليهم ، لانهم اذا اختلطوا بالجيش الاسباني ينجون من المقذوفات الجهنمية التي تقذفها المدافع الاسبانية لان الاسبان حين الاختلاط يمسكون عن استخدام المدافع خوفا من اصابة اخوانهم .

واستمر الحال هكذا الى ليلة الحادى والعشرين من يليوز سنة 1909 م هاجم رجال قبائل الريف مراكز الاسبان بناحية سيدي موسى حتى وصلوا في هجومهم الى الاسلاك الشائكة التي من عادة الاسبان انهم يحصنون بها مراكزهم الحربية ، فكانت بين الفريقين معركة عنيفة قتل فيها من الاسبان ثلاثة وثلاثون جنديا ، وجرح منهم واحد وستون .

وفي صبيحة واحد وعشري يليوز استونف القتال فنتج عنه قتل ثلاثة وعشرين جنديا اسبانيا وجرح خمسة منهم ، واستشهد من المجاهدين سبعة عشر رجلا .

وفي ثالث وعشري يليور استانف المجاهدون هجومهم بقيادة الشريف سيدي محمد امزيان على مراكز الاسبان بناحية سيدي موسى ، فكانت المعركة اعنف من سابقاتها فنتج عن ذلك قتل ضابطين كبيرين من الاسبان احدهما برتبة كلونيل وهو : بلمسي البرس كور ' والثاني برتبة اليوطنان كلنيل وهو : خنس ابلبيس مرن ، وجرح ثالث كما قتل من الضباط الصغار بين قبطان وليوطنان ثمانية نفر ، وجرح من الضباط ثمانية عشر وجميع من اصيب من الضباط بين قتيل وجريح ستة وعشرون نفرا ، وقتل من الجنود ستة واربعون وجرح منهم مائتان واربعة وثلاثون.

وبعد ما وصلت انباء هذه الخسائر التي لحقت بالجيش الاسباني في ناحية سيدي موسى الى اسبانيا اندهش الاسبانيون لسماعها ودخلهم فزع عظيم ، وصارت حكومتهم تفكر في شخصية قوية اسبانية تستطيع القضاء على مقاومة المغاربة الريفيين ، فوقعت انظارها على القائد الشهير الفارس الشجاع الجنرال بنتو ، فارسلته على رأس جيش قوي منتخب من ناحيتي برشلونة ومدريد ، فابحر بجيشه الى مليلية فوصلها في السادس والعشرين من يليوز سنة 1909 م .

وكان رئيس المجاهدين الشريف سيدي محمد امزيان ورؤساء قبائل الريف الحاضرون بمركز المجاهدين يسمعون من بعض الاسبانيين ان الحكومة الاسبانية عينت قائدا عظيما من كبار قوادها ، وهو الجنرال

بينتو للقضاء على مقاومة المجاهدين في اقرب وقت ، فاستعدوا للقائه بقلوب قوية بالايمان وحب الوطن ، وصبر وثبات ما عليها من مزيد .

وفي صبيحة السابع والعشرين من يليوز 1909 تقدم الجنرال بينتو وجيشه الى ساحة القتال ، وكانت هذه المرة بمحل يسمى بوادي الذيب الذي يبعد عن مليلية بنحو اربعة كيلومترات ، وصار يبحث عن الموضع الذي اختفى فيه المجاهدون وصارت المدافع تعمل عملها ، تمهيدا الهجوم على عادة الاسبان ، اذا ارادوا احتلال موضع ، فكانت قنابل المدافع تغوص في الارض بعد سقوطها على الاماكن الموجهة اليها فتحدث انفجاراتها المروعة دخانا اسود يتراكم في جو ارض المعركة حتى يصير كالسحاب ، والمجاهدون لا يتحركون في الحفائر ، وينهاهم الشريف عن اطلاق النار ، والجنرال يسير به فرسه ، وضباط جيشه يسوقون فرقهم العسكرية شاهرين سيوفهم البراقة ، حتى دخلوا في المكان الذي فيه المجاهدون ، فامر الشريف باطلاق النار ، فكان الجيش الاسباني يقتحم على المجاهدين في الخنادق والحفائر وتحت الصخور الكبيرة ، وكان بعض المجاهدين لا بنادق معهم الا الخناجر فاشتبكوا مع الجيش الاسباني بالسلاح الابيض ، ودامت المعركة وحمي الوطيس ، واشتغل كل شجاع بمثيله ، فالشريف وبعض شجعان الرجال من اصحابه يحرضون المجاهدين ، والجنرال بينتو الشجاع يجول في ساحة المعركة يدعم الفرق المتضعضعة من جيشه .

واستمر الحال كذلك الى الساعة الثالثة بعد الزوال ، فاذا برجل من المجاهدين يبصر بينتو في حال تنقلاته من مكان لآخر ، فسدد اليه طلقة نارية قضت على حياته في الحين .

فلما فقد الجيش الاسباني رئيسه انهزم من المعركة شر هزيمة ، وتبعه المجاهدون يقتلونه كيف شاءوا الى ان ادخلوه مدينة مليلية عند الغروب ، وصارت ارض المعركة مغطاة بجثث القتلى والجرحى من الجانبين

ترجمة القائد محمد بن بوحوت البويفروري
وما اخبر به عما شاهده في معركة وادي الذهب

اخبرني قائلا : انه بعد ما انهزم العدو وسرنا نبحث عن القتلى والجرحى من اخواننا وجدنا رجلا من اخواننا ببني بويفرور واسمه قدور يلقب « ببر » تحت عشرة من جثث الاسبانيين كانوا يقتحمون عليه في الحفرة التي كان فيها ويقتل واحدا بعد واحد حتى قتله غيرهم ، وزاد قائلا : كلما طول الليل نستخرج قتلانا من بين جثث الجيش الاسباني المتراكمة ، وجثث قتلاه منتشرة فوق ارض ساحة المعركة الى ابواب مليلية ، وكذلك برانيطهم وثيابهم .

وبالجملة فهي معركة خالدة لا ينساها التاريخ ، واستشهد في معركة وادي الذيب ومعارك سيدي موسى جماعة من شجعان الريف المشهورين .

فمن بني وُرياغل : الحاج توكوك وغيره .

ومن بني بويفرور السيد ميمون بن خوجة وغيره .

ومن بني سعيد البطل الغازي السيد محمد ازيان بخرطة والد الاخوان السيد الحاج ادريس ، والسيد محمد ، والسيد ميمون القاطنين بفاس .

اخبرني الفقيه السيد محمد بن قدور السعيدي ان الشهيد السيد محمد امزوان بخرطة دفن بمدشر اولاد زهرة من جبل قبيلة مزوجة مع نحو اربعة عشر شهيدا قد سقطوا في ساحة الشرف في تلك الوقائع .

وكانت نتيجة معركة وادي الذيب ، قتل الجنرال بينتو قائد الجيش الاسباني وخمسة من كبار الضباط بين كوالميلات واليوطنان كولونيلات واثنى عشر ضابطا بين قبطان واليوطنان ، وجرح ثمانية وثلاثين ضابطا من صغار الضباط .

كما قتل سبعمائة جندي، وهذا العدد المذكور، الذي اصيب في وادي الذيب ومعارك ناحية سيدي موسى جاءت افادتها في بعض التواريخ الرسمية الاسبانية المسمى « اسبانيا في عهد ابطالها » حسبما هو مذكور في العدد الثالث وما بعده من الاعداد .

قلت :

ان ما ذكره الاسبانيون من عدد القتلى في معركة وادي الذيب قليل جدا بالنسبة للواقع ، ومما يدل على عدم صحته : انهم ذكروا عدد القتلى ولم يذكروا ولو جريحا واحدا بالنسبة للجنود .

وقد ذكروا ان جرحى الضباط عددهم ثمانية وثلاثون ، وهذا غريب جدا . ان يجرح ثمانية وثلاثون ضابطا ولم يجرح ولو جندي واحد واذا لم يصح هذا التحديد هنا ، فلا يصح في جميع ما ذكره مؤرخوا الاسبان .

والحقيقة : ان عدد القتلى والجرحى في صفوف الاسبان مرتفعة جدا في معارك سيدي موسى ووادي الذيب ، وكذلك القتلى والجرحى في صفوف المجاهدين من المغاربة الريفيين .

نعود الى ترجمة القائد محمد بن بوحوت فنقول:

هو القائد محمد بن بوحوت البويفروري احد مشاهير ابطال الريف حزما وعزما وقوة نشأ في ميادين القتال، وجرح مرارا حتى صار لا يبالي اوقع على الموت ام وقع عليه، انخرط بعد الاحتلال الاسباني في فرق البوليس، ولشجاعته رقي حينا لرتبة سرجان ثم بعد ذلك رقي لرتبة ليوطنان، وصار الاسبانيون يعتمدون عليه ويعينونه حاكما على جهة من الجهات، لحسن سيرته بين الناس، ولا تجده دائما الا مع الطلبة والفقهاء متواضعا معهم، فاحبه الناس لذلك.

في حين ان امثاله ممن هو في مرتبته كان لا يصدر منهم مع اخوانهم وابناء جلدتهم الا المخازي.

وبعد معركة انوال الشهيرة انضم الى اخوانه المجاهدين من اهل الريف، واظهر براعة فائقة في الجهاد وكان يحسن الرمي بالمدافع الثقيلة وجرح في معركة تنيمرت سنة احدى وعشرين وتسعمائة والف في قتال الاسبان.

وعند ما علم بحاله ابن عبد الكريم عينه قائدا على رأس فرقة قوية من الجيش النظامي الريفي بعد ما دربها القائد بوحوت احسن تدريب وهاجم بها المراكز الفرنسية التي كانت الجيوش الفرنسية تتقدم بسرعة في قبائل بني زروال وغيرها من قبائل اجبالة التي لم يسبق لفرنسا ان احتلتها قبل ذلك التاريخ فقضى هو وجماعة من القواد اصحاب ابن عبد الكريم على اكثر من خمسة عشر مركزا فرنسيا وقبضوا على مئات الاسرى من الجيش الفرنسي اغلبهم من السود.

وهكذا قام هذا القائد العظيم باعمال باهرة وشجاعة نادرة ، وعند ما افل نجم ابن عبد الكريم التجأ الى قبيلة اجزناية ، ومنها دفعه الفرنسيون الى الاسبانيين ، وصدق من قال : الكفر ملة واحدة ، ويد واحدة ، فاودعه الاسبانيون في سجن مليلية نحو اثنى عشر عاما سقوه في اثناء ذلك سما في قهوة فسقط جلده ، ورأى في السجن من الاهوال ما الموت احسن منها بمراحل .

وبعد قيام الحرب الاهلية الاسبانية شفع فيه اخوه وصاحبه قديما في الخدمة العسكرية الجنرال مزيان فافرج عنه وسيق الا اسبانيا ، وعرض عليه الاسبانيون ان يردوا له مرتبته ويبقى قائدا لفرقة من الجيش وضابطا عسكريا ، فابى ان يدنس شرفه ، وما قام به من الاعمال الجهادية ، وهو الـآن قابع في بيته ضعيف الحال ، خامل الذكر ، لكنه قوي الايمان لا تزعزعه عواصف الفاقة ، فان وجد اكل ، والا صبر لا شكوى ولا تذمر ولا انا انا ، وغالبا هذه عاقبة المخلصين المصلحين من المغاربة ماشاء الله ، لا حول ولا قوة الا بالله ، وكم من واحد من امثاله نسيهم التاريخ ، رغم انهم كونوا التاريخ ، ونسيتهم امتهم حتى ذهبوا منسيين .

وهكذا انتهت هذه القضية ، وهذه المعركة الطاحنة التي كان قائدها من الجانب الاسباني القائد الشجاع الجنرال بيلتو تعديا منه ومن حكومته الاسبانية ، ومن الجانب المغربي بطل الريف الاول الشريف الغازي سيدي محمد امزيان الفارس المغوار ، واخوانه رجال الريف الميامين الاحرار دفاعا عن كرامة وطنهم المغرب العزيز ، رغم ما بين القوتين من الفرق ، فالاسبانيون جيش منظم جرار مدرب احسن تدريب ، بيده اسلحة حديثة فتاكة جميع نفقاته على حكومته ، والمغاربة الريفيون لا سلاح ولا تدريب ولا نفقة ،

كل واحد منهم ينفق على نفسه ، ويشتري بندقيته المتواضعة ببيع في شرائها اعز الاشياء لديه ، وكذلك ذخيرتها ، ويكتفي من القوت بخبز يابس وزبيب وتين وبصل ، ويسترخصون كل غال في حفظ كرامة وطنهم .

معركة اجدياوه بساحل البحر من قبيلة بني شكار

ثم تلت معركة وادي الذيب ببني انصار المتقدمة ، معركة اجدياون بقبيلة بني شكار التي تقدم اليها الاسبانيون من مليلية في عشرين شتنبر 1909 بجيش يزيد عدده على اربعة الاف جندي وضابط تحت قيادة الجنرال الفاو ، والجنرال طوبار ، والجنرال مراليس ، فاعترض طريقهم هناك الشريف ومن معه من عناصر قبائل الريف ، كبني سعيد وبني سيدال وبني بوجافر وغيرهم ، وعدد المجاهدين في هذه الوقعة الف وخمسمائة مجاهد ، وهي الواجهة الحربية الشمالية ، والتحم الريفيون مع الاسبان هناك في ملحمة عظيمة ، ابلى فيها المجاهدون ، خصوصا بني سعيد البلاء الحسن الذي لم يكن في حساب الاسبان ، حتى ادى الحال الى الاشتباك بالسلاح الابيض ، استماتت فيها الاسبان ليزيلوا عنهم عار معركة وادي الذيب ، واستماتت المغاربة دفاعا عن وطنهم ، ولزوال هيبة اسلحة الاسبان ، فان المجاهدين حصلوا على اسلحة كثيرة غنموها من الاسبان في المعارك المتقدمة ، وصاروا يقاتلونهم بها ، واخيرا تقهقر الجيش الاسباني الى الوراء ، وجرح الجنرال مراليس ، ولحقت الاسبان خسارة فادحة في الارواح والعتاد الحربي .

وقد تعرض مؤرخوا الاسبان لذكر بعض اخبار هذه الوقعة في العدد الرابع من تاريخهم المسمى (اسبانيا في عهد ايطالها) ، صحيفة : 106 الى صحيفة 112 ولم يتعرضوا لذكر الخسائر التي لحقتهم فيها .

وممن استشهد في هذه المعركـة السيد العربي بن بوخرظة اخ السيد محمد امزيان بوخرظة الـآنف الذكر ، فرحم الله اولئك الشهداء الابرار الصالحين الاخيار.

ولما علم الجنرال مرينا ان وضعية الحرب قد تغيرت عما كان يظنه ، وقد كان في ظنه ان الريفيين يعجزون عن المقاومة في اول الامر ، ولكن جرت الرياح بما لم تشته سفينته وصار يطالب حكومته بارسال الجنود ، ورغم هذه الخسائر تلبى طلبه في الحين حتى بلغ من وصل لمليلية من الجنود نحو خمسين الف جلدي وضابط ، يفعل الاصبانيون ذلك حتى يزاحموا فرنسا في المغرب كي لا يكون المغرب لها وحدها ، وهذه عادة هذه الدول الاستعمارية ، وشأنهم التكالب على الاراضي التي يكون اصحابها الاصليون ضعفاء في هذه القرون الاخيرة ولا زالت لحد الـآن .

فلما احس الجنرال بالخطر ، وان خطته كادت ان تبوء بالفشل صار يتصل سرا بجوار مليلية من فرخانة وغيرهم وصار يعدهم ويمنيهم ، ويدفع لهم الاموال ويرسلهم الى زعماء القبائل من قلعية وغيرها ، واتصل هؤلاء الجواسيس بهم فعلا . ودفعوا لهم الاموال التي بعثها لهم الاسبانيون ، وصار هؤلاء الزعماء ينفضون من حول الشريف ، ويتثاقلون ، ولا يلبون النداء للجهاد ، وصار زعماء قلعية ، خصوصا بني شكر ومزوجة لا يحضرون معسكر المجاهدين ، ويثبطون اخوانهم ، واخيرا جاهر سكان مدشر سيدي احمد بفرخانة بالانضمام الى الاسبانيين ، ونالوا بعد ذلك شهرة وجاها مع الاسبانيين

وصار جل زعماء قبائل قلعية يتوصلون بمال من الأسبانيين ، وطلبوا من اولئك الزعماء ارسال افراد من اخوانهم ليجندوا بوليسا يقومـون بالمحافظة على الامن في الاراضي التي يحتلونها فارسلوا اليهم عددا وافرا فجنودهم ، وصاروا بوليسا تحت قيادة ضباط اسبانيين .

فلما رأى رجال الريف الواردون من بني ورياغل وغيرهم ما اصاب زعماء قبائل قلعية من الخذلان انسحبوا من ميادين القتال ، ورجعوا الى بلادهم ، ولم يبق الا من كان يخاف الله ، وله رغبة في الشهادة ، ويستحيي من الشريف .

لهذه الاسباب صارت مقاومة الريفيين تضعف ، ثم تلا فرخانة فرقة من بني شكر ، فاعلنوا موالتهم للاسبان والانضمام اليهم ، ومهدوا السبيل لاحتلال الجيش الاسباني لبني شكر ، فاحتل في الثاني والعشرين من شتمبر سنة تسع بعد تسعمائة والف سوق الاحد لبني شكر .

وفي ستة وعشرين من شتمبر من نفس السنة خرج الجيش الاسباني من اركمان ، ومر في بسيط بوعرك بدون مقاومة تذكر ، واستمر سائرا حتى احتل موضع مدينة الناضور ، وانجلى عنه سكان القرية التي كانت هناك من اهالي مزوجة ، وكانت قرية كثيرة السكان ، لهم مسجد للخطبة ، فما عادوا الى ديارهم بعد ذلك.

انتقال مركز القيادة العليا للمجاهدين من سوق الجمعة
الى موضع يسمى امشتكة بفرقة اجزولة بقبيلة بني بويفرور

==

وبعد ما احتل الجيش الاسباني موضع مدينة الناضور القريب من سوق جمعة مزوجة الذي كان مركزا للقيادة العليا للمجاهدين ، انتقلت القيادة لمركز امشتكة من فرقة اجزولة بقبيلة بني بويفرور ، وهي قبيلة الشريف سيدي محمد امزيان رحمه الله ، يقع هذا المركز بين جبال تحجبه عن انظار العدو ، حتى لا يسلط عليه قنابل مدافعه البعيدة المدى.

ورغم ذلك صار العدو يبحث عنه بواسطة منطاد يسير في الهواء ، ولاول مرة رؤيت هذه الالة ، ففزع الناس حينما رأوها أولا ، وصاروا يطلقون عليها رصاص بنادقهم غير أنها لارتفاعها في الهواء لا تنالها القذائف.

(احتلال الجيش الاسباني لهضبة تلمرت وقلعة سلوان)

==

وفي الساعة السادسة صباحا من اليوم السابع والعشرين من اكتوبر سنة 1909 تقدم الجيش الاسباني من الناضور وغيره من المراكز قاصدا هضبة تلمرت التي سموها توم فمر الجنرال (طوبار) والجنرال (ألفاو) والجنرال (مراليس) بفرقهم بالمحل المسمى أفري وبأسفل جبل إحرشاون الى ان وصلوا هضبة تلمرت وجاء من جهة اخرى الجنرال (أكُلبرا) والكولونيل (أرند) واتصلت فرق هذه الجيوش بفرقة تسمى بالجيش الملكي كانت تنتظرهم هناك وعدد جيش هذه الفرق سبعة عشر الفا (17.000) ومعه اربع واربعون مدفعا من مختلف العيارات والقائد الاعلي لهذا الجيش هو

الجنرال (مرينة) وفي الساعة العاشرة والنصف شرع الريفيون في اطلاق النار على الجيش الاسباني وقابلهم الاسبان بإطلاق قنابل مدافعهم الفتاكة وكانت فرقة من المجاهدين نحو ثلاثمائة 300 رجلا جاءوا من قبيلة أجزناية قد وصلوا الى مركز المجاهدين قبل هذا اليوم بمدة قليلة فنزلوا على الاسبان من اعلى جبل إحرشاون فسلط عليهم قنابل المدافع ولشجاعتهم وثباتهم لم يبالوا واستمروا في زحفهم واشتبكوا مع العدو وقد أصيبوا في نحو 60 ستين من افرادهم بين شهيد وجريح واستمر الحال على ذلك مع الساعة الثانية عشرة وعند ذلك ضعفت مقاومة الريفيين ولما تبين للاسبانيين ضعف الريفيين في القتال اغتنموا هذه الفرصة. ارسلوا جواسيسهم الى قلعة سلوان التي تبعد عن تامورت ببضع كيلومترات ولما لم يجد الجواسيس في قلعة سلوان ونواحيها من فيه كفاية المدفاع عنها اخبروا الاسبانيين بذلك وحينئذ نقدم الجيش الاسباني بقيادة الجنرال (مرينة) فدخل قلعة سلوان في الساعة الواحدة فصار الجيش يصفق ويفرح ويصيح قائلا : تحيا اسبانيا يحيا ملكها .

وامر الجنرال مرينة باطلاق نيران جميع مدافعه لبث الرعب في قلوب الريفيين وهكذا انتهت هذه المعركة حسب ما افاده (كتاب اسبانيا إن ماروكوس) المطبوع بدار النشر ببرساولة صحيفة 248 .

معركة جبل بنرزوف المواجه لجبل وكسان الذي فيه المنجم المعدني الشهير الذي هو بيت القصيد ، ومقتل الجنرال (بكاريو) قائد الفرسان الشجاع

وفي ثلاثين من اكتوبر سنة تسع بعد تسعمائة والف ، تقدمت الجيوش الاسبانية من الناضور وسلوان تريد من وراء هذا التقدم احتلال جبل وكسان الذي فيه المنجم المعدني ، وعدد هذه الجيوش ستة الاف جندي وضابط يقودها الجنرال (طوبار) والجنرال (الفاو) والجنرال (بكاريو) قائد جيش الفرسان .

وفي الصباح الباكر شرعت مدافع العدو الثقيلة ترسل قنابلها على الاماكن التي يمر بها الجيش تمهيدا على عادته : حتى لا يبقى قدر مائة سنتمر لا تقع فيه قنبلة ، ولانفجارها دوي كالرعد ، تردد أصداءه الجبال ، ولا زال روع تلك الانفجارات ، وتلك الاهوال والناس يفرون بعيالهم وأمتعتهم يبتعدون عن مواضع المعركة فى مخيلتي ، وقد مضى على ذلك الحادث اكثر من خمسين عاما .

وجبل بنرزوف يقع في الجهة الغربية فوق سلوان ، يبعد عنها بنحو سبع كيلومترات ، ولهذا الجبل جانبان ، قال مؤرخو الاسبان : لهذا الجبل عرف كعرف الديك ، فالجانب الايمن تسلقه الجيش الاسباني ، والشمالي كان فيه جماعة من المجاهدين ، وسيطر الجيش الاسباني على الموقف ودارت معركة في رأس الجبل مع من كان هناك من المجاهدين ، والجيش الاسباني ، فاستشهد من المجاهدين جماعة رحمهم الله ، واستمر الحال كذلك الى ما بعد الظهر فاذا بالشريف رحمه الله يأتي من جهة ازغنغان في نحو اربعمائة من شجعان الرماة من مختلف قبائل الريف ، ومر بجبل إحرشاون

فلم يشعر العدو الا وهم خلفه فغيروا الوضعية التي كان عليها الحرب في اول النهار ، وصار العدو يتقهقر مولها وجهه شطر سلوان بانتظام ، واخيرا اختل نظامه عندما صار بين ناربن ، حيثما احاط به المجاهدون ، وصارت جثث قتلاه تزرع الارض ، وتمت الهزيمة على العدو ، وصار المجاهدون يقتلونه الى ان حجز الليل بينهم .

وقتل من ضباط الجيش الاسباني جماعة منهم ، وقد ذكر مؤرخو الاسبان في العدد السادس صحيفة 165 من التاريخ المسمى (اسبانيا في عهد ابطالها) ان الجنرالين الفاو وطوبار فرا من المعركة ، وثبت الجنرال بيكارو واتف من الفرار ، قال المؤرخون انه كان بطلا وفارسا شجاعا بينما هو يأمر فرقته بالانسحاب اذا برصاصة تخترق صدره وهو على ظهر فرسه فمات في الحال .

وممن مات منهم ايضا القبطان الربوي ، وكان لهذا القبطان يد من المعدن الابيض وللملك اليد اصابيع ، موجودة الان في متحف دار الاثار العسكري ، وقال الاسبانيون :

ان هذه الوقعة تشبه وقعة واد الذيب ، فاغتم الاسبانيون لهذا الحادث ، لانه قتل وجرح فيها عدد كثير منهم وبالجملة فان هذه المعركة الخالدة كانت عظيمة على الاسبان وقد أخبرني بعض المجاهدين بأن الاسبان لما فروا تركوا وراءهم عددا من العربات مملوءة بالموتى والجرحى . وكان القائد الاعلى للجيش الاسباني الجنرال مرينة في ذلك اليوم فوق رأس جبل بوغنجاين ومنه كان يصدر أوامره الى الجنرالات المذكورين الذين كانوا في المعمعة الحربية بيد ان هذا الانتصار لم يفد شيئا ، لان العدو احتل معاقل المجاهدين وهي الجبال المهمة جبال سيدي احمد الحاج ، وتلزوطا ،

وقنابل المدافع البعيدة المدى صارت تصل الى ابعد الاماكن ، لان العدو تمركز في المرتفعات التي كان يعتصم فيها المجاهدون ، وصار يصوبها الى المداشر ومجتمع الناس وعلى الماشية ، ولم يبق بيد الناس الا الفرار ، وابعاد اهاليهم عن مواقع الخطر ومن كانت هذه حالته كيف يتفرغ لقتال العدو هذا من جهة .

ومن جهة اخرى ، فان العدو وضع ميزانية مهمة للمتعاونين والمجندين في فرق البوليس .

ثم تقدم الجيش الاسباني واحتل حجر همار ، وهو عبارة عن هضبة منيعة تشرف على موضع مدينة ازغنغان ، ودار الشريف نفسه ، ثم احتل موضع مدينة ازغنغان ثم احتل جبل وكسان .

وفي هذه الاثناء صار يستخدم فرق البوليس المجندين ، وصار يقدمهم امام الجيش الاسباني ، ويقومون باعمال شيطانية يهينون كرامة الناس ، لانه لم يدخل معهم في اول الامر الا الفسقة والفجرة المارقون ، ومن لا اخلاق له ولا دين فذاق الناس منهم الامرين

وفي ستة وعشرين نونبر سنة تسع وتسعمائة والف ، وصلت طلائع الجيش الاسباني الى الهضاب المشرفة على ضفاف وادي كرت المسماة ازحافا وتمركز هناك تحت قيادة الجنرال سلباضور ، وانسحب الشريف سيدي محمد امزيان رحمه الله وجميع المجاهدين الاحرار من ارض قبيلة قلعية ، حينما تم استيلاء العدو عليها بعد ما بذلوا جهودا جبارة وارواحا عزيزة عند الله ان شاء الله في نحو خمسة اشهر .

وبعد ما انزلوا بالعدو خسائر هامة في الارواح والاعتدة الحربية ، فدخل الشريف بعائلته ارض قبيلة امطالسة ، ورجع افراد المجاهدين الى ديارهم

واشتغل الاسبانيون عن التقدم في الاراضي المجاورة للقلعية ، كقبيلة بني سعيد بتمهيد ما احتلوه من الاراضي ، وتنظيم شؤون السكان الذين رضوا بالبقاء تحت حكمهم ، ورجعوا الى ديارهم ، وعينوا اولئك الزعماء الخونة المتعاونين اشياخا على قبائلهم ، وعينوا من احبوا ان يكون معهم .

وعين الاسبانيون على رأس اشياخ كل قبيلة ثلاث ضباط ، اكبرهم وهو الحاكم المطلق للقبيلة برتبة قبطان ، والاخران خليفتان عنه برتبة ليوطنان وصاروا يحكمون البلاد حكما مباشرا عسكريا ، وربما شاوروا اولئك الاشياخ الذين هم بين ايديهم دائما كالاعوان في بعض العوائد عند الاهالي ليقروهم عليها ان لم تعاكس سياستهم .

غير انهم عينوا قضاة يحكمون في القضايا الشرعية تحت مراقبتهم ويوقع واحد من اولئك الضباط على الرسوم التي يحررها العدلان والقاضي ، ويكون توقيع ذلك الضابط اسفل توقيع العدلين والقاضي . مضمن ما يكتبه (ان هذا الرسم حرره عدلا القبيلة وقاضيها وبه يشهد القبطان او اليوطنان فلان ويؤرخ بالتاريخ الميلادي ويطبع بطابع الادارة) .

ثم صار اولئك الاسبان الحكام يرغبون الناس في الدخول في الجندية ، والفرق البوليسية ويؤدون لهم بسيطتين عن كل يوم ، لان تلك الفرق البوليسية الاولى قامت لهم بامور هامة ، حيث انهم يخاطبون قومهم بلغتهم ، ويوصلون اوامر الادارة ، وتجدهم دائما يجوبون الطرقات يسرعون على خيولهم ، ويقوم واحد منهم فقط بمهمات يستحيل ان يقوم بها عشرة من الاسبانيين .

لان الاهالي لا زال بايديهم السلاح حتى في ايام الاحتلال ، وهم يبغضون الاسبان ومهما خرج جندي اسباني يكون في خطر ، يزاد على

ذلك ان الاسبانيين يجهلون الطرق ومساكن الاهالي . بخلاف اولئك البوليس ، فانهم يحسنون لغة ابناء جلدتهم ويعرفون الطرق الموصلة الى اماكن سكنى من يريدون احضاره وغير ذلك .

ولكن الاسبانيين فوجئوا بامتناع الاهالي من الدخول فى التجنيد فصاروا يبحثون عن سر ذلك ، فاخبرهم اولئك الزعماء الخونة الذين صاروا رؤساء الناس : بان سر ذلك هو ان العلماء المسلمين يحكمون بالكفر على من يقاتل اخوانه المسلمين تحت راية الكفار ، لينتصروا على المسلمين ، فقال لهم الاسبانيون اذا فما المخرج من هذه الورطة ؟ لانهم يعلمون انهم وحدهم لا يستقيم لهم امر ، ويستحيل عليهم ان يسيروا شؤون البلاد بدون المتعاونين من الاهالي

فقال لهم اولئك الخونة : امامكم امران : الاول الزيادة في اجور البوليس ، والثاني دعوا البوليس يفعل مع الاهالي ما يشاء ، لا يحاسب ، فرفعوا اجرة البوليس الى نصف ريال فضة اسباني في اليوم ، بدلا من بسيطتين فصار البوليس يضربون من شاءوا ويأخذون اموال من شاءوا ، والاسبانيون يطلقون النداء تلو النداء في الاسواق وفي كل مناسبة : بان البوليس المسلمين هم رجال الامن الذين يجولون بين الناس كي لا يتعدى بعضهم على بعض ، ويحافظون على الامن وكل من جابه احدا من البوليس بما يكره فانه يعاقب عقابا شديدا بالسجن والضرب والاهانة والتنكيل ، وان ضرب احد من الاهالي بوليسيا يحكم عليه بالاعدام ، فصار الناس يلاقون من هذا البوليس انواعا من الاهانة والبلايا ، فصار كل من اصابه شيء من الاذى من اولئك البوليس يضطر للدخول هو ايضا ، وينخرط فى سلكهم ليدفع الاذى عنه وعن اهله فتكون منهم عدة مئات

يقودهم ضباط اسبانيون أشرار لاخلاق لهم ، وعقلاء اولئك الضباط قليلون ، وصاروا ياتون بعض الناس وهم غافلون فياخذون اموالهم بانتحال الدعاوي الكاذبة ، كدعوى انه وصل الى علمهم ان هذا المنهوب يبحث عن ذخيرة البنادق والبنادق ، ويحصل عليها بطريق التهريب ، يمد بها اخوانه المجاهدين ، واكثر الاسبان من استخدام الجواسيس . واتصل خبر هذه الاعمال الشنيعة بالقبائل الثائرة فازدادوا بغضا فى الاسبانيين .

وصادف ذلك دخول الشريف سيدي محمد امزيان الى قبائل الريف كبني ورياغل وتمسمان وبني سعيد وبني اوليشك وبني توزين وغيرها من القبائل وصار يستنهض همم رجال هذه القبائل ، ويرتق ما احدثته الفتن بين افرادها من الفتوق التي كان اتسع خرقها على غير الشريف ، وصار يجمع كلمتهم وقد قام الشريف بهذه الاعمال في اثناء سنة عشر بعد تسعمائة والف ولما وصل الى علم الاسبانيين ان الشريف قد تم له جمع كلمة قبائل الريف وهم على اهبة التحرك الى ميادين القتال الواقعة على ضفاف وادي كرت الواقعة في اطراف قبيلة بني سيدال وبني بوغافر ، وصل اليهم ذلك من طرف بعض الموالين للاسبانيين من قبيلة بني ورياغل.

وكان من رأي هؤلاء الموالين ان ملاينة الاسبان فى الحالة الراهنة افضل من التحرشات معهم ، من حيث انهم جوار لهم في حجرة النكور التي استولى عليها الاسبانيون سنة 1673 ولهم معهم تجارات واسعة ، ومن تلك الجزيرة الصغيرة يستورد بنو ورياغل وغيرهم السكار والشاي والزيت والثياب ، وجميع الضروريات ، ويهربون من هناك البنادق الاسبانية الجديدة وذخيرتها ، وما دام الاسبانيون مقبوعين في تلك الجزيرة لا يتطلعون الى الخروج منها فلا بأس من ملاينتهم ، وعدم اهاجتهم .

ثم ان الاسبانيين بعد ما تحقق لديهم ان الشريف جمع كلمة قبائل الريف على عداوتهم انزعهم ذلك ، وجعلهم يفكرون فى القيام بخطة تحول بين بني ورياغل وبقيوة وبني بوفراح من قبائل سواحل الريف ، وبين ما يريدون القيام به من الهجوم على المراكز الامامية الواقعة على ضفاف وادي كرت التي يحتلها الاسبانيون ، فقرر الاسبانيون ان يذهب وزير حربيتهم الجنرال لوكي الى مليلية ومنها يذهب الاسطول الاسباني الى ساحل قبيلة بني ورياغل ، زعيمة قبائل الريف في الجهاد ، فعلمت تلك القبائل بما قرره الاسبانيون من الهجوم على بلادهم فقاموا بحفر الخنادق على طول الساحل وملؤها بالرجال .

ولما اقتربت السفن الحربية الاسبانية من الشاطىء في ثامن عشر اكتوبر سنة 1911 اصلاها المجاهدون نارا حامية من بنادقهم التي يحسنون استعمالها جيدا ، وساعدهم على ذلك وعورة اراضيهم الساحلية .

ولما ايس الاسبانيون من اقتحام تلك الجبال الساحلية الوعرة ارتدوا على اعقابهم ، وكان الشريف رحمه الله كون في هذه الاثناء مركزا جديدا للمجاهدين بمنزل برمانة من فرقة ماورو بجبل قبيلة بني سعيد الشرقية الشهيرة الشهيدة المواجه لمركز ازحافا الذي يحتله الجيش الاسباني ، وسمى المجاهدون هذا المركز (باجنادة) ، ولفظة اجنادة نطاق عند الريفيين على موضع الرباط الذي يرابط فيه جنود المجاهدين ، ومنه يهاجمون مراكز عدوهم .

اما الورياغليون وغيرهم من تلك القبائل فانه بعد ما فشل الاسبانيون في هجومهم البحري ، ارتدوا على اعقابهم خائبين .

ذكر خبر واقعة ازرورا الهائلة

وفي السابع والعشرين من دجنبر سنة احدى عشرة وتسعمائة والف، وصل رجال قبائل الريف من بني ورياغل واجزناية وبقيوة وبني يطفت وبني بوفراح وبني عمارت وتمسمان وبني توزين وغيرهم الى اجنادة، المركز الجديد بجبل بني حميد، قالوا : وقد وصل عدد المجاهدين في هذه الحملة اثنى عشر الف مقاتل، وعبر بهم الشريف وادي كرت. واحتل قرية ازرورا بقبيلة بني بوغافر.

تفاصيل معركة قرية ازرورا
وانتصار الريفيين على الاسبان

ولما عبر الشريف وادي كرت، وصار المجاهدون مع العدو وجها لوجه، وتمركزت فرق من المجاهدين على ساحل بني بوغافر تقدم اليهم العدو من جميع الجهات من سوق الحد ببني شكر، ومن ازغنغان وسلوان وارحافا وغيرها من المراكز اي فيالق جرارة تحت قيادة جماعة من كبار الضباط منهم الجنرال سلباريو الروس، والكلونيل اوسبيو غرسية كوميس والقبطان كلوليل سانث وغيرهم، وامامه فرق البوليس، وصار يطلق على المجاهدين من جميع الجهات وابلا من قنابل المدافع الثقيلة التي اصواتها تصم الاذان خصوصا مدافع البوارج الحربية التي كانت تقذفها من عرض البحر الابيض المتوسط، وجاءت خيالة العدو على ساحل البحر، لانه يلائمها فاشتبكت مع من تمركز هناك من المجاهدين.

أخبرني احد ضباط الصف المسمى ياسين الصيدالي قال : كنا في مقدمة الاسبانيين واشتبكنا مع المجاهدين الذين كانوا ينتظروننا بالساحل اولا بنيران البنادق واخيرا بالسلاح الابيض ، واشتبك المجاهدون في معركة ازرورا التي كان طول جبهة القتال نحو خمسة عشر كلمترات ، واستمات الفريقان والشريف رحمه الله يجول على نفسه هو ورجال معه يساندون المواضع التي يرون عليها امارة الضعف والتضعضع ، واشتد الامر فلا يسمع الا لعلعة قنابل المدافع ، وشضاياها الفتاكة ، وازيز الرصاص ، وانين الجرحى والقتلى من الجانبين تزرع الارض هنا وهناك ، وتكالب العدو تسانده فرق البوليس في اول النهار ، واستمر الحال كذلك الى ان قرب العصر ، فاذا بالعدو يتقهقر شيئا فشيئا امام ضربات المجاهدين ، ثم انهزم تماما .

اخبرني بعض الثقاة الحاضرين : انه لما انهزم جيش العدو وتشتت فرقه اعترض المجاهدون فرقة منه فيها نحو مائة جندي اسباني معهم ضابط برتبة ليوطنان ، فامتنعوا من الاستسلام ، ودخلوا دارا في طرف قرية ازرورا ، وصاروا يطلقون النار من داخلها وقد كان سقط جندي منهم عند باب الدار ، والى جانبه بندقيته فصار بعض المغفلين من المجاهدين يحاولون اخذها ، فيطلق من بداخل الدار النار عليهم فيقتلونهم ، وقاوم اولئك الجنود الاسبان المحصورون مقاومة شديدة ، وكان المجاهدون يرمون الاشجار والاعشاب والحشائش في داخل الدار فيمزقها اولئك الجنود البواسيل بنيران بنادقهم ، وبعد ما امتلأت الدار بتلك الاشجار والحشائش اشعلوا فيها النار ، وامتلأت الدار بالنيران والدخان ، فعند ذلك غلب اولئك الجنود على امرهم ، فاقتحم عليهم المجاهدون الدار والقوا القبض على من بقي منهم حيا ، وساقوهم الى مركز المجاهدين بجبل ماورو الى ان وقع فداؤهم .

وممن قتل من ضباط الاسبان في هذه المعركة الكولونيل اسبيو والبوطلا كلوليل سانث والقبطان ماويل ترزس والقبطان انطونيو ملذز والقبطان اخوان الرويس ، والقبطان مثيوس الببه ، وجماعة من صغار الضباط . وجرح الجنرال سلباريو جرحا بليغا مات بعد ، وقتل من ضباط الجيش الاسباني عدد آخر ، سوى من ذكر ، واما القتلى والجرحى من الجلود فعددهم مرتفع جدا . كما قتل وجرح من المجاهدين عدد كبير ، وبالجملة فمعركة ازرورا معركة هائلة .

وبعد مدة وقع تبادل اولئك الاسرى ، ومن كان بيد الاسبان من اسرى المسلمين بين المجاهدين والاسبان ، وهذا رسم الفريقين .

اطلاق الشريف الحرية للاسرى لخ

وكان الاسرى من الجيش الاسباني وبعض النساء الاسبانيات اللائي اختطفهن المجاهدون ليلا من ازغنغان وغيره يطلق لهم الشريف الحرية يذهبون ويجيئون في جميع انحاء المركز دون حراسة ولا مراقبة ، ويقول الشريف لباذي الخبز والبيض والحوت اعطوا للاسرى ما يطلبونه ، وليادني من اعطاهم شيئا بحساب ثمن ما اخذوه منه ، وكان مصدر النفقة على اسرى الحرب بعض الاموال التي توخذ غنيمة من العدو ، وبعض ما يوخذ ممن يقوم باعمال مخالفة لاوامر المجاهدين من العقوبات المالية .

الاسباب التي صار بها الشريف محترما عند عدوه

وبمحافظة الشريف ومن معه من المجاهدين على القوانين التي يعامل بها اسرى الحرب صار الشريف محترما عند العدو كبيرا في اعينهم .

ومنها انهم عرضوا عليه الاموال والجاه العريض ليلاينهم ، ويقضي لهم بعض حاجاتهم التوسعية ما يجعل ازهد الناس وانقاهم واخوفهم من الله ينخدع ويلين لهم ، ولو كان يتوقد غيرة على وطنه .

ومنها تمسكه بطاعة السلطان الجالس على العرش اذ ذاك مولاي عبد الحفيظ رحمهما الله ، حينما كان يراوده الاسبانيون ان يستخدم نفوذه على زعماء قلعية ليخلوا سبيل العمال لاتمام مهمتهم التي هي مد الطريق الحديدي الى المنجمين : وكسان واحرشاون ، تعجيلا للانتفاع بهما ، فيجيبهم رحمه الله بقوله :

نحن رعايا ملك المغرب مولاي عبد الحفيظ ، وقد بعثنا اليه وفدا ليطلعه على مهمات الامور التي تجري هنا ويأخذ رأيه وأوامره فيها ، ونحن ننتظر ما يرجع به الينا وفدنا ، فيعارضه الجنرال مرينة بقوله : انكم معشر الريفيين لا سلطان لكم ، ومولاي عبد الحفيظ مغلوب على امره لا يستطيع ان يقوم بأي شيء ويكون آخر كلام الجنرال التهديد والوعيد وانه يصل الى مراده بالقوة فيجيبه الشريف بقوله : اننا نحارب عن كل شبر من ارضنا .

وبهذا الدين وبهذه النزاهة ، وبهذه الغيرة على الوطن المفرطة صار العدو يقدر له حق قدره .

اخبرني اكبر انجاله سيدى حماد رحمه الله بأنه بعد ما دفع الامير ابن عبد الكريم نفسه لفرنسا ، ورجع السيد حماد الذي دام يحارب الاسبانيين

مع ابن عبد الكريم طيلة مدة حربه الى قبيلة بني بويفرور مثل بين يدي الجنرال الاسباني الرئيس الحربي ، وصار الجنرال يخاطبه وسيدي حماد يستمع اليه وينظر الا الارض في نوع انحناء فقال له الجنرال : ارفع رأسك عاليا ، فانك ابن رجل حر ابن بطل غيور وفارس مغوار ، ما خان ولا كذب فهذه شهادة عدو . والحق ما شهدت به الاعداء . ذكر مؤرخو الاسبان في التاريخ المسمى « اسبانيا في عهد أبطالها » في العدد الذي جاءت فيه صورة الشريف ترجمة للشريف حافلة اعترفوا له فيها بالرياسة الدينية والحربية والغيرة على وطنه ودينه وانه كان اهم عدوا لدودا لا يصالح ولا يسالم وانه كان شجاعا قوى الارادة لا يلين ولا يفت في عضده الاخطار وأطالوا في ذلك .

وحيث ان الشريف كان عاقلا رزينا ، كان اهل الفساد لا يتجرؤون على ارتكاب ما ارتكبوه سنة احدى وعشرين وتسعمائة وألف 1921 من قتل الاسرى ومن جملتهم بعض النساء الاسبانيات التي صادفهن الرصاص وهن في وسط الاسرى .

ولا زلنا نخجل ونخبأ رؤوسنا في ثيابنا عندما نتذكر تلك الافعال الشنيعة التي لم يرضها الامير عبد الكريم الخطابي ، ولا حر من أحرار المغرب وأشنع منها وأفضع ما كان قام به القبطان بوميس حاكم قبيلة بني بويحيى الاسباني قبل ذلك هو وأعوانه من الاذناب المتعاونين في سنوات : سبعة عشر ، وثمانية عشر ، وتسعة عشر ، بعد تسعمائة والف من الاعمال الجبينة بمرآى ومسمع من دولته التي جاءت المغرب لتزيل منه أنواع الظلم الذي يرتكبه الاهالي فيما بينهم وترشدهم الى التمدن ، وتجنبهم طرق الوحشية ، فاذا بممثل الدولة الاسبانية العظيمة بالقبيلة المذكورة

القبطان بوميس يطلق جواسيسه من رجال ونساء يبحثون له عن كل امرأة حسناء من قبيلة بني بويحيى، التي ابتلاها الله بهذا الحاكم الاسباني ، فاذا اخبر بحال احداهن فأول ما يفعله القاء القبض على زوجها وابعاده ، ثم يستعمل جميع الحيل لاحضارها ، فاذا أعجبته جدا أمر بقتل زوجها حتى لا ينازعه أحد فيها ، وينتحل اسبابا لقتلهم ، من جملتها يقول لاعوانه المباشرين للقتل قولوا :

انه هرب من السجن ولما لم يمتثل أمرهم بالوقوف اطلقوا عليه النار ، وبذلك قضى على حياة افراد من هذه القبيلة البائسة ، وهتك اعراضهم في حريمهم ، لذلك ينبغي لجوارنا وأصدقائنا الاسبان أن يعذروننا فيما فعله من لا خلاق له من اخواننا الفوضويين بعدما فعله القبطان بوميس ممثل اسبانيا قبل ذلك باعوام ، وأخبار بوميس شائعة ذائعة عندنا . وعند الاسبانيين لا يمكن انكارها بحال .

وما ابعد هذا القبطان عن القبيلة المذكورة الا في اوائل سنة عشرين وتسعمائة والف ، بعد اشباع شهوته البهيمية التي لا يرضى بها عاقل وان كان اعدى الاعادي .

فغاية ما قيل في عقوبة بوميس ان حكومته عينت لمحاكمته على ما ارتكبه من الافعال الفضيعة عشرة من ضباط حكموا بتجريده من جميع ما يتمتع به أمثاله من الضباط وابعدوه عن سلك العسكرية نهائيا .

والمرجع بعد نقل هذه الجمل التاريخية . وقد قالوا : ان التاريخ لا يحابي أحداً كما قالوا : ان الخير بالخير ، والبادي اكرم ، والشر بالشر والبادي اظلم .

الى نقل الخبر عن الاعمال الحربية فنقول :

وبعد معركة ازروقرا التي غيرت مجرى الوضعية الحربية ، وجعلت مراكز الجيش الاسباني الامامية في مأزق حرج منها مركز ازحافا الواقع على هضبة تشرف على وادي كرت تواجه اجدادة مركز المجاهدين ، ومنها مركز امعروفا الذي كان قائد الجيش فيه الكولونيل بريمو دي ريفيرا خرج هذا الضابط الكبير من مركز امعروفا بجيشه قاصدا وادي كرت في 7 اكتوبر 1911 وعند ما وصل كرت اشتبك هناك مع فرقة من المجاهدين في معركة عنيفة قتل فيها عدد من جيشه وأصيب هو برصاصة انكسرت منها رجله وحمل الى امعروفا كما جا في العدد الثامن من مجلة « اسبانيا في عهد ابطالها » صحيفة 234 .

قتل الجنرال سلبادور

==

هاجم الشريف والمجاهدون مركز ازحافا وامعروفا ، وكان رئيس الجيش الاسباني في ازحافا وغيرها هو الجنرال سالبادور اديرا رديديز ومساعده الجنرال كراسكو فاشتد القتال بينهم وبين المجاهدين ، وعلى رأسهم الشريف رحمه الله ، وبين الجيش الاسباني وعلى رأسه الجنرال سلبادور .

وبعد قتال عنيف قتل فيه الجنرال سالبادور ، اطلق عليه النار بعض المجاهدين من دار ، وذلك في 14 اكتوبر 1911 كما جا' في صحيفة 294 من تاريخ الضابط الاسباني كانتلو كانف الذي سماه اسبانيا في المغرب .

قلت :

وهذه المعركة من أعنف المعارك قتل فيها عدد عديد من الجيش الاسباني ، كما استشهد من المجاهدين جماعة أكرمهم الله بالشهادة ، خصوصا

أجزناية ، فانهم ابلوا بلاء حسنا ، لانهم هاجموا العدو فأحاطوا بمراكزه المحصنة بالاسلاك الشائكة واستهدفوا لنيران بنادقه ومدافعه الرشاشة ، وهذا دأب هؤلاء السادات انهم لا يهابون الموت فى الجهاد ، ولا ينظرون لمال ولا اولاد ، جزاهم الله عن الدين والوطن خيرا ، وهكذا فعلوا فى معركة تامرت ، استهدفوا لقنابل المدافع كما تقدم ، وفي العدد الثامن من مجلة « اسبانيا في عهد ايطالها » صحيفة 229 ان هذه المعركة ابتدأت عند الساعة السادسة صباحا واستمرت بكل عنف الى الساعة الرابعة مساء . وبهذه الهجمات المتوالية ، ليلا ونهارا ، وبهذه الاعمال الجريئة انقبع الجيش الاسباني داخل المراكز التي احتلها ، والمجاهدون يجوسون خلالها يتعرضون لقوافل التموين فينهبون بعضها ويرجع بعضها فارا ، وصار لا يصل شيء من التموين الى تلك المراكز الامامية الا بعد حرب ضروس ، فأقلقت هذه الحالة الخطيرة الجيش الاسباني ، لانها ان دامت ادت الى اخلاء تلك المراكز الامامية بأسرها .

وفي هذه الاثناء كان الشريف رحمه الله يذيع في الناس انه عن قريب يقوم المجاهدون بهجوم عام من عدة جهات ، لاحتلال مدينة مليلية ، لان هذه المراكز الامامية لا تهمهم ، والاشتغال بها تضييع للوقت ، فارتاع الاسبانيون لهذه الانباء التي يصدقها هجوم المجاهدين في كل ليلة على المداشر والقرى التي يسكنها اهالي قلعية الذين لم يفارقوا ديارهم ، وصاروا تحت النفوذ الاسباني ، وربما يصل المجاهدون فى بعض الليالي الى مليلية ، ثم يعودون لقرب المسافة ، ويستمر تبادل إطلاق النار طول الليل بين المجاهدين وأهل المداشر المحتلة ومراكز الجيش الاسباني ، وقد سبق ان حضر الى مليلية القائد البشير بن سناح في 25 ـ اكتوبر 1909 وادعى ان

السلطان مولاي عبد الحفيظ أرسله الى مليلية لينوب عنه في التوسط بين الاسبانيين وبين زعماء قبائل الريف ليضعوا حدا لتلك الحروب التي كانت تدور رحاها بين الفريقين في التاريخ المذكور غير ان رؤساء المجاهدين رفضوا ما طلبه منهم البشير المذكور ، ولنا هنا وقفة فنقول ان كان ما ادعاه القائد البشير صحيحا فهي فلتة من السلطان لان البشير كان عدوا للريفيين من حين اخرجوه من قصبة فرخانة سنة 1321 هـ . فكيف يمكن له ذلك . وثانيا جاء الى مليلية ولم يتصل بالمجاهدين في مركزهم وذلك وحده كاف في عدم قبولهم توسطه ، وثالثا كانوا اوفدوا الى السلطان وفدا في هذا المعنى ، وبعد مدة امرهم بالرجوع الى بلدهم بدون جواب ، وقد سبقت الاشارة الى هذا ، وقد فكر الاسبانيون في عمل يقومون به ، ليقلل عليهم غارات المجاهدين المتوالية ليلا ونهارا .

وفي العدد السابع من التاريخ المسمى اسبانيا في عهد ابطالها صحيفة 200 ما نصه : وفي اوائل سنة 1911 تقدم الجيش الاسباني فاحتل مركز زايو وكان الجيش مؤلفا من ثلاث فرق من المشاة بقيادة الجنرال كبيريل داورسكه .

ثم تقدم الجيش الاسباني الى وادي ملوية فوجد الجنرال الاسباني بعض الجنود الفرنسيين قد عبروا النهر ولم يرض الاسبانيون بعبور الفرنسيين الى الجهة الغربية ، فرفعت اسبانيا احتجاجاتها الى حكومة باريز فأمرت جنودها بالانسحاب .

احتلال الاسبانيين لجبل العروى
بقبيلة بني بو يحيى

وفي ثامن عشر يناير سنة اثنى عشر وتسعمائة والف، جمع الاسبانيون فرقا من البوليس الاهلي ومعه جماعة من الاهالي ، وقدموهم امام فرق من الجيش الاسباني ، وتوجهوا بهم الى هضبة العروى الواقعة في قبيلة بني بويحيى واحتلوها بعد مقاومة ضعيفة وتمركزوا فيها الا انه قتل هناك ضابط وخمسة جنود ' وجرح ثلاث وثلاثون ، وجاء في العدد الثامن من مجلة « اسبانيا في عهد ابطالها » صحيفة 249 وما بعدها ما حاصله : ان الاسبانيين جهزوا جيشا من البوليس ، والاهالي زيادة عن جيشهم النظامي بقيادة الحاكم العسكري لمدينة مليلية الجنرال كرسيا ألدابي (CARCIA ALDAVE) وتوجهوا الى هضبة العروى بقبيلة بني بويحيى واحتلوها ولم يلاقوا في احتلالها مقاومة شديدة سوى مناوشات نتج عنها قتل الضابط برتبة اليوتنان كان قائدا المفرقة التي كانت تقاتل بالمدافع الرشاشة يسمى مورالس (MORALES) الخ .

وامتدت جهات القتال من البحر الابيض الى وادي ملوية ، مساحتها نحو مائة كيلومترات .

ويسمع دائما في جميع هذه الجهات ليلا ونهارا دوي المدافع وأصوات البنادق.

وبينما المجاهدون يسيطرون على الموقف ، ومراكز العدو ، ومن جملتها مدينة مليلية مهددة بالخطر اذا بحادث مؤلم يحدث فجأة .

استشهاد سيد شهداء هذا العصر سيدي محمد امزيان
زعيم المجاهدين وحامي حمى الملة والدين
وبائع نفسه العظيمة الطيبة لرب العالمين

في رابع عشر مايو سنة اثنى عشر وتسعمائة والف خرج الشريف سيدي محمد امزيان في نحو سبعمائة من المجاهدين ، قاصدا منزل فرقة الحيانا من قبيلة بني سيدال الى ان انتهى الى مسجد بالمدشر المسمى بحجرة على قرب كدية حامد . وهذا المدشر من المداشر التي كانت تحت النفوذ الاسباني وترك الشريف وراءه عددا من المراكز الاسبانية . لان الاسبانيين كانوا لا يستطيعون الخروج منها الا لحماية القوافل الحاملة المؤونة ، ولا تصل اليهم الا في بعض الاحيان .

وبعد حروب ، اشدة شوكة المجاهدين بيد ان الاسبانيين كانت لهم عيون لا تنام ، وجواسيس لا يغفلون . لا شأن لهم الا تتبع حركة الشريف واحصاء عدد من يرافقه من المجاهدين لان الامر كان في ذلك الحين سهلا وذلك ان بعض الناس من هو ساكن في منطقة النفوذ الاسباني يذهب ببلدقيته ، لان البنادق كانت بايدي الناس في ذلك العهد ، لم تنزع من ايديهم ابلا الى مركز المجاهدين، فاذا هاجمو مركزا للاسبان . او اشتبكوا معه في حرب رافقهم وحارب معهم العدو من حيث لا يشعر به العدو ، ثم يعود الى منزله ، وكان بعضهم يفعل ذلك المتجسس للاسبانيين . والشريف كان يجامل كل احد ، ولا يظن السوء في احد ، سيما وان سكان الاراضي المحتلة تلعبة اخوانه ، وكبداتة هو اعز مخلوق عندهم في عصره .

ثم ان الشريف بات في ذلك المسجد هو ومن كان معه من المجاهدين اما الجواسيس الذين كانوا يراقبونه . فقد طيروا بالخبر لمن يهمه الامر ، بان الشريف في منزل حجرة علي ، مع شرذمة قليلة من اصحابه ، وجيش المجاهدين غافل عما حدث ، فاجتمعت الجيوش الاسبانية من كل جهة ، وقصدت حجرة علي فاحاطوا ليلا بالمكان ، فتفطن الشريف ومن معه لما حدث ،

فقال الشريف لاصحابه : كل من رغب منكم في الحياة فليانسل تحت جناح الظلام ، اما انا فلا حاجة لي في الدنيا بعد هذا اليوم فانسلوا ، ولم يبق معه الا نحو ثلثهم ، فتوضأ وصلى الفجر ثم خرج وشرع هو ومن بقى معه في اطلاق النار على العدو .

اخبرني احد اوتاد المعامع الحربية السيد الحاج سلام البويعقوبي التمسمامي احد شجعان الريف ورماته المشهورين رحمه الله ، وهذا الرجل خاض جميع المعارك التي خاضها الشريف رحمه الله مع ابي حمارة والاسبان ، وخاض جل المعارك الجهادية في عهد الامير ابن عبد الكريم ، وكان رجلا عاقلا خيرا دينا فاضلا كريما ، يغلب عليه الحياء الى اقصى حد . صادق اللهجة ، عاش نحو خمس وثمانين سنة قائلا : كنت انا واخ لي حاضرين يوم استشهد الشريف ، وبعد ما انسل من انسل تحت جناح الليل من موضع المعركة ممن كان رافق الشريف وذلك الانسلال وقع باذنه ، وبعد صلاة الصبح خرج الشريف ومن بقى معه ممن يريد ان يبيع نفسه لله ، وشرعوا في اطلاق النار على جيش العدو ، قال : وكنت انا واخي في بعض الجهات ، وقد استهدف لنا ضابط اسباني بفرقته التي كان نازل علينا بها من موضع مرتفع فسحقناهم سحقا ، قال : رأيت الشريف يجول

على فرسه ومعه نحو عشرة من الفرسان قال : وسمعته ينادي من ظهر له من البوليس الريفيين الذين جاء بهم الاسبانيون يقول لهم : جئتم لقتل اخوانكم بخمسة عشر ريالا في الشهر ، فلو انضممتم لاخوانكم اعطوكم مثلها ، قال رحمه الله : وفي تلك الاثناء استشهد اخي الذي كان معي وغاب عنا خبر الشريف ، وبقينا نطلق النار على كل من يقصدنا من العدو ، حتى نفذ جميع ما معنا من ذخيرة البنادق ، ولم يبق لكل واحد من اصحابي الا خمسة قذائف في البندقية وصرنا ننتظر من يتقدم لقتلنا فنقضي عليه بتلك القذائف الباقية ، وبينما نحن كذلك اذا بفرقة من البوليس تمر بنا ، فصار بعضهم يناديننا قائلا : اخفوا عيدانكم اذهبوا لحال سبيلكم ومروا ولم يطلقوا علينا نارا . فتبين بعد ذلك ان اولئك البوليس علموا باستشهاد الشريف في ضحى ذلك اليوم ، ومراد البوليس بالعيدان البنادق ، ويظهر ان اولئك البوليس اصابتهم كآبة وأسف على موت الشريف ، وحمل العدو له ، قال : وعند ما خرجنا من موضعنا لم نجد لتلك الجيوش اثرا ، وذهبنا لحال سبيلنا .

وقال غير الحاج سلام ممن حضر الوقعة كنا مختفين في موضع ننظر الى الشريف وهو يجول على فرسه في المعركة يطلق النار على العدو وبقي على تلك الحالة برهة من الزمان وافواه بنادق العدو ومدافعها مصوبة اليه من جميع الجهات ، ورصاصها يثير غبار الارض امامه وخلفه وبجانبه ، وهو لا يبالي يقفز بفرسه من مكان لآخر ، فاذا بنا نراه يسقط عن فرسه . ففات الفرس غير بعيد ثم عاد الى جثمانه ، وصار يجذب ثوبه اليه بحافره ، ولما لم يحس من ذلك الجسم الشريف حركة ولى وجهه شطر

اجنادة مركز المجاهدين ، وانطلق كالسهم حتى اتصل بابنه السيد حماد ، وصار مركوبا له بعد والده هيد شهداء القرن الرابع عشر الهجري .

وموضع مصرعه اسفل كدية حامد فوق الطريق الذاهب لفيض أحمام، وذلك الموضع يسمى فدان الجبان .

وبين رأس الكدية والموضع الذي استشهد فيه نحو كيلومتر واحد وبمجرد وقوف كبار ضباط الجيش الاسباني على مصرع الشريف ومعرفتهم بانه هو الشريف نفسه بواسطة من كان في جيشهم من البوليس المنتمين الى قبيلة قلعية التي هي تحت نفوذهم حملوا الشريف على مركوب خاص ، وانسحبوا من ارض المعركة في الحال . ورجعت جميع الجيوش الى مراكزها كي لا يصطدموا بهجوم عنيف من المجاهدين وهم موتورون . اذا وصلهم خبر استشهاد الشريف وصاروا بالشريف الى مليلية ، ثم وضعوه في بعض المستشفيات ، وصار الناس يدخلون عليه في ذلك المستشفى مسلمون ومسيحيون ينظرون اليه ، ومن جملتهم أسرى الجيش الاسباني الذين كانوا في اسر المجاهدين الذين أسروا في معركة زرورة وغيرها ، ووقع فداؤهم على يد الحاج عمر المطالسي .

ومن بينهم فتاة اسرها المجاهدون ليلا من ناحية ازغنغان ، وعندما نظرت اليه وهو على نعشه ارسلت دموعها ، وصارت تثني عليه وتذكره بكل خير ، وتنسب اليه كل فضيلة ، لانه اكرمها وصانها حتى ردها الى مليلية . دون ان تعبث بها يد العابثين ، وكثر ثناء الاسرى عليه ، ولذلك اعترف له الاسبان بفضيلة الشجاعة والشهامة وفضيلة الغيرة على الوطن وبجميع ما يتحلى به عظماء الرجال .

وبعد ما تيقن الاسبانيون ان الجسم الذي حملوه من ارض المعركة هو نفس جسم الشريف سلموه الى اخوانه الذين لم يخرجوا من ديارهم فدفنوه فى مقبرة جده سيدي احمد بن عبد السلام بأسفل مدينة ازغنغان ، وخوفا من المجاهدين ان يأتوا ليلا ليستخرجوه من قبره ويحملوه الى داخلية بلاد الريف ليدفنوه هناك عين الاسبانيون فرقة من الجيش لحراسة قبره ليلا ونهارا ودام ذلك شهورا .

ترجمة السيد الحاج احمد بن عمرو بن علال البويفروري

اخبرني السيد الحاج احمد بن عمرو بن علال البويفروري قال :

دخلت المستشفى الذي وضع فيه الشريف بمليلية بعد ما جئ به من ارض المعركة فنظرت اليه وهو على نعشه وعليه ثوب يغطيه من صدره الى اسفل قدميه وجسمه الشريف براق اذا نظر اليه مغفل ظن ان جسمه مدهون بأدهان جعلته براقا .

قلت :

مدهون بأدهان الرحمة والمغفرة والرضوان من الله سبحانه الذي اشترى منه روحه الطيبة الطاهرة ، ومن ادهانه قوله تعالى :

ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرءان ومن اوفى بعهده من الله الخ ، لا احد اوفى بعهده من الله .

ومن ادهانه التي جعلت جسمه براقا قوله تعالى :

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا ، بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وقد جاء النهى صريحا عن نعت الشهداء ووصفهم بأنهم اموات في قوله تعالى :

ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله امواتا ، بل احياء ولكن لا تشعرون .

هذه ادهان من باع نفسه لله لا يريد بذلك الا وجه الله وحده ، وللذين انعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ثم قال السيد الحاج احمد :

ورأيت اثر الرصاصة التي كانت سببا في سعادته أخترقت جسمه من تحت ثديه الايمن .

قلت :

والسيد الحاج احمد المخبر بحال الشريف رحمه الله في المستشفى هو الوطني الغيور الذي انفق وسط ايام حياته وانفق جميع ما كان جمعه من المال على مصلحة وطنه غيرة منه عليه ان يبقى الاجانب يتحكمون في اهله كيف شاءوا ومتى شاءوا ، وكان هو وجماعة من اخوانه ينفقون ما لديهم من عزيز ، لا سيما بعد وضع الحرب العالمية الثانية اوزارها .

وبعد ما تألفت جمعية هيئة الامم والمغرب لا زال يئن تحت اقدام الاستعمار فكانوا يرسلون برقيات الى هيئة الامم يشرحون فيها الحالة التي كان عليها المغاربة اذ ذاك ، وكانوا ينفقون على تلك البرقيات اموالا

بإهضة سرا ويرسلونها من أماكن مختلفة الى سان فرانسيسكو مقر هيئة الامم في أول الامر .

وكان المستعمرون يتتبعون حركاته ويضعون عليه جواسيس يرقبونه في كل مكان وسجن مرارا ، وامر المستعمرون اذنابهم يخاطبونه بالسوء فألجأوه الى التخلي عن منزله عند ما احس بالخطر ، وبقي في طنجة لا شيء له شبه المنفي ، معزولا عن اهله الى ما قبل الاستقلال بشهور ، ثم رجع الى منزله وجد في العمل .

وبعد الاستقلال عينته الحكومة الوطنية الاولى التي كان يرأسها السيد البكاي قائدا لقبائل اقليم الناضور ، ثم قائدا ممتازا لدائرة قلعية ، ثم قائدا لقبيلة بني بويحيى ، واخيرا اعفي ، وصار يباشر اشغاله الخاصة به فلم يعد يطلب اي وظيف من الحكومة قانعا بما في يده ، مقبلا على ربه وما يعنيه ، حامدا شاكرا لله على نعمة الاستقلال ، التي كان يسعى في تحصيلها هو وامثاله من احرار المغاربة الذين اقر الله عينهم بها .

حال المجاهدين بعد الشريف

واما حال المجاهدين بعد الشريف فانهم عند ما وصلهم ذلك النبأ الذي يفتت الاكباد والذي جعلهم كما قال المؤرخ الوزاني : كغنم بلا راع ، بكوا عليه الدموع والدماء وسرى الحزن في الريفيين نساء ورجالا واطفالا ، وبكوه بكلام ملحون ولهجات مختلفة مثيرة للحزن ، واستمروا على تلك الحالة نحو ثمانية اعوام ، وخف القتال بين الريفيين والاسبان في هذه الفترة التي صار فيها المغاربة الريفيون كانهم سكارى حيارى ، ولم يلبههم

من حيرتهم وغفلتهم الا استهداف جيرانهم الأسبان زحفهم وغاراتهم على ارض الريف المسكين من جديد سنة عشرين وتسعمائة والف بقيادة الجنرال سلبستري ، فوالت جيوش الاسبان زحفها فاحتلت قبيلة بني سعيد المجاهدة الشهيدة التي وقفت في وجه العدو وحدها نحو عشرة اعوام وبني وايشك وتفرسيت الى ان وصلت طلائع الجيش الاسباني الى جبل ابران بقلب قبيلة تمسمان ، فعند ذلك عثر المغاربة الريفيون على رئيس جديد ، وهو بطل الريف الثاني الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي رحمه الله ، فكانت معارك انوال وما قبلها وما بعدها التي زعزعت اركان الدولة الاسبانية ، واحرق لهيب نارها الافا عديدة من جيشها وكبار ضباطهم يعسر عدهم بالضبط ، وقد زرعت جثثهم جانبي الطريق التي مروا عليها من ابران الى مليلية ، ومن جملتها جثة الجنرال سلبستري ، والمؤرخ كلونيل مرالبس مسافة ربما كانت مائة كلمتر بدون مبالغة ، وهذه المصائب كلها سببها حب التوسع .

وبعد حصول ما حصل من الخسائر الفادحة في الارواح والعتاد الحربي لجيراننا الاسبان ، والمريفيين في الوقائع المشار اليها التي اشعل الاسبان نيرانها من سنة عشرين الى سنة ستة وعشرين بعد تسعمائة والف وذلك بعد قتلهم الشريف بنحو ثمانية اعوام سكنت تلك الفاجعة الكبرى التي كان وقعها شديدا على قلوب الريفيين طيلة هذه الاعوام .

ورأوا ان ما قاموا به اخيرا مكرهين فيه اخذ ثار للشريف ، فلم يعودوا لذكر تلك المراثي المختلفة بلهجتهم .

ولهج الناس من جديد بذكر حال الامير ابن عبد الكريم ، غير ان بين حال الرئيسين فرقا ، فسيدي محمد امزيان كان حاله مع الناس حال

شيخ الطريق ، يامر بالجهاد ، ويسير في اول الصفوف ، فلا يسجن ولا يقتل ويقبل عذر من اعتذر ، وان كان كاذبا ويفصل بين الناس بدعاء الخير فقط ، وهو دائما بين افراد المجاهدين كاحدهم في المركز وفي المدامع ، وفي الطريق اليها ، وفي التجول ليلا في الارض المحتلة ، وبهذه الاوصاف صار محبوبا عند كل احد ولا يبغضه احد .

وابن عبد الكريم امير يسجن ويقتل ويؤدب ، يحبه فريق ، ويبغضه آخرون ولو ظلما .

اخلاق الشريف رحمه الله واحواله مع اخواله الريفيين المغاربة وبعض اخبار ابن اخيه السيد محمد التباع

=

اخبرني ابن اخيه وخليفته السيد محمد التباع الذي لا زال وقت كتابته على قيد الحياة ، وعمره ينيف عن الثمانين ، وقد خاض مع عمه الشريف سيدي محمد امزيان جل معاركه الجهادية ، والتف حوله المجاهدون بعد وفاة الشريف وهو من فرسان الريف واهل النجدة منهم .

كما تولى قيادة فرقة من جيش ابن عبد الكريم معارك هامة ، وكان يبعثه في وجوه شتى مع فرقة جيشه ، خصوصا المعارك التي كانت تدور رحاها بينهم وبين الفرنسيين ، واستمر حاله كذلك الى ان غلب ابن عبد الكريم على امره ، فرجع الى منزله ببلدي بويفرور ومسكنه في بوعرك .

قال الشريف السيد محمد التباع :

كان سيدي محمد امزيان شجاعا قوي القلب ، لا تزعزعه الاخطار سواء عنده وقعت عليه الموت ام وقع عليها ، وكان قوي الايمان يتسلح

بالوضوء دائما ، وكان في بعض الاحيان يصلي وقنابل المدافع تنفجر حوله ، والرصاص يثير عليه غبار الارض وهو سائر في صلاته لا يعبأ بذلك ، وكان يسير مع اخوانه المجاهدين وهو فى وسطهم كاحدهم لا يميزه عنهم شيء ، يكون معهم في بعض الليالي فى بطون الاودية او رؤوس الجبال ، انتظارا لمرور بعض قوافل العدو وجيشه للاشتباك معه .

وكان يتنقل من موضع لآخر حين اشتباكه هو واخوانه الريفيين مع العدو في معارك طاحنة يدعم المواضع التي يكون اهلها قد ضعف حالهم في مقاومة العدو . وكان اذا جيء لهم بخبز ياخذ حظه كاحد اخوانه ، ويجعله تحت ثيابه ، ويتفق في بعض الاحيان وصول بعض افراد المجاهدين ليلا الى المحل الذي فيه الشريف ، فيناديه ياسيدي محمد امزيان ، هل معكم خبز ، فيخرج الشريف تلك الكسرة التي كانت نابته في حظه فيدفعها لذلك السائل ، ويبقى هو طاويا واخيرا توفى الخليفة السيد محمد التباع في سادس شوال عام 1389 رحمه الله .

كيف كان فصل الخصومات والتداوي
من جروح الحروب

وكان اذا اتاه خصمان فى امر حدث بينهما ، فان كان سبب الخصومات شيئا تافها ، وكان بيد الشريف ذلك العدد اخرجه ودفعه لرب الدين ، ثم يقول لهما : ايها الاخوان ان الوقت وقت جهاد ودفاع لا وقت خصام ونزاع .

وكان لاهل الريف قبل الاحتلال الاسباني في كل قبيلة بعض طلبة العلم ، منها او من غيرها يخبرون المتحاكمين لديهم : بان الشرع حكم

لهذا على هذا بكذا فان اذعن المحكوم عليه والا نفذ عليه اشياخ القبيلة الذين كانوا يمثلون السلطة فى كـل قبيلة .

وكـان الشريف يلازم اجلادة : مركز المجاهدين ، ولا يزور ، لنساءه واهله الا زيارة خاطفة .

وقد جرح الشريف مرارا فى مختلف جسمه فيتداوى منها ، وكان اطباء زمنهم انـاسا جربوا امورا ، كجبر كسر العظام ، ويستعملون لها جبائر يصنعونها بايديهـم وهي محكمة الصانـع ، ويستخرجون بعـض العظـام المتكسرة ويجعلون في مواضعها عظاما لبعض الحيوانات، وكانت تجاربهم غالبا ناجحة ، وكان الزيت المغلى على النار اعظم ما يداوون به الجروح .

وكـانت الرصاصة اذا غاصت في بدن المجروح ولم تخرج فان طبيبهم يضع في النار سكينا حادا ، ثم يشق اللحم بسرعة فيستخرجها بدون تخدير ولا يعرفون تخديرا ، والمجروح صابر ، وبهذه الكيفيات الصعبة داوى الشريف رحمه الله جروحه العديدة .

القبائل التي كانت تقوم بمحاربة الاسبان مع الشريف
بعد احتلالهم للعيرة وكبدانة واولاد ستوت

==

كـانت قبيلة بني سعيد هي الحجـر الاساسي من سنة عشر الى سنة عشرين بعد تسعمائة والف ، لان العدو كان واقفا على ابوابها من اول التاريخ وحاول مرارا اقتحام ارضها فلم يفلح ، لشجاعة اهلها ووعورة جبالها التي كـانت تواجهه حينذاك ، وكـان جمهورهم يحضر الحرب ، وكـان عدد رجالها المسلحين نحو خمسة الاف ، بخلاف غيرهم من القبائل ، فانهم

يحضرون بالمناوبة ولذلك تستحق ان تسمى بني سعيد الشهيدة ثم يليها بلو ورياغل ، وهي زعيمة القبائل المجاهدة ، ثم قبيلة تمسمان ، ثم قبيلة بني توزين ، ثم قبيلة بني وليشك وتفرسيت ، ثم قبيلة بني عمرت ، ثم قبيلة اجزناية ، غير ان رجالها لا يحضرون الا في بعض الاحيان ، ثم قبيلة بقيوة وبني يطفت وبني بوفراح ، وهذه القبائل الاخيرة لا يحضر رجالها الا في بعض الاحيان .

واما قبيلة امطالصة فكان فرسانها يقومون فى بعض الاحيان باعمال حربية جهادية باهرة وكان رجال هذه القبيلة من الفرسان الذين تضرب بشجاعتهم الامثال .

واما قبيلة بني بويحيى فهم فرسان الحرب ايضا ، شاركوا مشاركة فعالة فى الاعمال الحربية التي كانت تدور رحاها على ابواب مليلية .

اما بعد احتلال الاسبان لكبدانة واولاد ستوت وقلعية ، واحتلال العروى وحاسى بركان ، وهذان المركزان الاخيران من ارضهم فصاروا يحاربون الجيش الاسباني عليهما .

وبعد ما احتل الاسبان جميع سهول هذه القبيلة بقي جبل كركر ممتنعا لوعورة مسالكه .

وفى عام خمسة عشر بعد تسعمائة والف جمع كبير بني بويحيى الموالين للاسبان الذين صاروا تحت حكمهم المسمى محمد بن المير جيشا من البوليس ومن الاهالي الموالين للاسبان ، فهاجم بهم ذلك الجبل المنيع ، ليحوز شرفا وتقدما باحتلاله عند الاسبان ، فتصدى لهم جماعة من شرفاء بني وكيل اصحاب الجبل المذكور ، ومن معهم من المجاهدين ، وعلى رأسهم الشريف السيد الحاج محمد الفردي بن مولاي الطيب بن الشيخ سيدي محمد بن قدور ،

وبعد ما التقى الجمعان حمل المجاهدون على اذناب الاستعمار وعلى رأسهم محمد بن المير فانهزم هو ومن معه امام المجاهدين هزيمة شنعاء وكاد ان يوخذ اسيرا وما نجا الا بشق الانفس ، وقتل من جيش محمد بن المير جماعة من الاعيان .

عدد رجال هذه القبائل الذين كانوا يقومون مقاربة بمحاربة الاسبان لا يتجاوز عددهم عشرين الفا

والرجال الذين كانوا يحضرون في مركز المجاهدين ، ويقومون بمحاربة العدو مع الشريف ، تارة يكون عددهم خمسة عشر الاف او عشرة الاف ، اذا كان النداء في الاسواق والمشاعل على رؤوس الجبال ، وكانت المعارك طاحنة وهذا العدد يلاقي جيوش العدو التي يصل عددها في بعض الاحيان الى اربعين الفا ، ولكن صدق الشريف ومن معه وحزمهم وعزمهم وقوة ايمانهم بربهم كانوا ينتصرون على العدو رغم عدده الكثير والاته الحربية الفتاكة وقد قدمنا ان العدو كان عاجزا تمام العجز عن مقاومة الريفيين ولولا انضمام قبائل قلعية وكبدانة واولاد ستوت اليه ، وتجنيده منهم جيشا قويا من البوليس يقدمهم امامه ، ويجعلهم في المراكز الامامية ، لمعرفتهم بمسالك البلاد وعوراتها ومواضع المياه من الاراضي التي احتلها والتي يريد احتلالها ما قدر على احتلال الريف . فكان هذا الجيش الجديد من نفس الريفيين هو اقوى لديهم وانفع لهم في حروبهم مع الريفيين من تلك المدافع الضخمة المختلفة العيارات الكثيرة الهائلة ، والمدافع الرشاشة ذات الطلقات المتلاحقة المزعجة ، لانهم يحاربون اخوانهم مع العدو جنبا لجنب.

وفي الغد ياخذ احدهم بندقيته ويدخل مركز المجاهدين فيظل بين اظهرهم يبيع اهم ذخيرة البنادق التي دفعها له الاسبان ليحارب بها اخوانه فيحارب بالبعض ويبيع الجل ويطلع على عدد المجاهدين الذين في المركز ويسمع منهم انهم في الغد يقصدون المركز الفلاني لجيش العدو ، فيخبر بذلك ضباط العدو المكلفين بالاستعلامات ، فيكون العدو على حذر .

وذلك لان الشريف ومن معه من اخوانه المجاهدين كانوا لا يمنعون احدا ممن كان تحت النفوذ الاسباني من مخالطتهم ، والمجيء اليهم ، فانهم كانوا ياتونهم بالضروريات التي تتوقف عليها الحياة من السكار والاتاي والغاز والشموع والكتان وغير ذلك .

كما ان الاسبان لا يمنعون من دخل الى ارض نفوذهم بدون سلاح ليتصلوا بهم ويدفعوا لهم الاموال ليثبطوا اخوانهم عن الجهاد ، ولا ينقطع الاتصال بينهم الا في حالة الاشتباك ، وعلى هذه الاحوال كان الناس مع الشريف في تلك الفترة الجهادية القصيرة الى ان لقي الشريف ربه ، وبقي الحال على ذلك طيلة مدة الحرب العالمية الاولى الى ايام ابن عبد الكريم فتبدلت الاحوال وانقلبت الاوضاع واشتد الامر على الفريقين ، وصارت الحرب الريفية الاسبانية حربا منظمة ذات اهوال ، تجعل الولدان شيبا ، وصارت تشتد على جيراننا الاسبان اكثر ، وتسير حالتهم من سيء الى اسوأ حتى الجأتهم تلك الشدائد الى طلب الصلح مرارا مع شجاعتهم ، وكثرة جيوشهم التي كانت ربما زادت على مائة الف جندي ، وضابط ، وقوتهم في الاسلحة والمادة معلومة تمد الاسبانيين الدول الاوروبية بما يحتاجون اليه .

هذا مع الحصار المضروب على منطقة نفوذ الامير محمد بن عبد الكريم برا وبحرا وجوا لا يصل اليها احد الا بمخاطرة جسيمة .

نذكر في هذا التاريخ من حين لآخر بعض الجمل التي تتعلق باخبار ابن عبد الكريم استطرادا فقط . لانه ليس من شرطنا الكلام على ذلك ، الا ما تمس الحاجة اليه .

وقد تعرضنا في جمل من هذا التقييد للتنويه بشجاعة الاسبان ولم نذكر ذلك تزلفا وتقربا لاحد ، وانما ذكرنها بصدق وامانة خدمة التاريخ ، لان التاريخ لا يحابي احدا ، ولا يهضم حق احد ، ولو كان من اعدى الاعادي ، والمؤرخ عليه ان يذكر الحقائق والوقائع على حسب ما وصلته ، ولو كانت مرة وفي صالح عدوه ، كما فعل العقيد الكلونيل مراليس المقتول مع الجنرال سلبستري في وقائع انوال .

وهذا الكلونيل له تاريخ مليلية تكلم في المواضع التي ترجمت لي بصدق وامانة ، وذكر فيه من الحقائق المرة على قومه ، ما ليس من عادة مؤرخي اوربا الذين يرجحون كفتهم ، ولو بتحريف الحقائق .

وقد قدمنا جملا مما ذكره المؤرخ مراليس في حروب سيدي ورياش هكذا يسميها الريفيون الواقعة في عام عشرة وثلاثمائة والف هجرية التي قتل فيها الجنرال مرغايو الحاكم العسكري لمليلية في ذلك العهد .

ومن شجاعة الاسبان ما اظهرته الفرقة التي قطع عليها المجاهدون ، خط الرجعة ، والتجأت الى دار بمدشر زرورة من قبيلة بني بوغافر من قلعية حينما انهزم الجيش الاسباني في يوم معركة زرورة الهائلة ، وتشتت شمله ، والتي مات فيها من الجانبين عدد عظيم .

حكى لنا اخواننا الريفيون ان تلك المعارك التي كانت تدور رحاها بين المغاربة الريفيين والاسبان من البحر الابيض المتوسط الى ملوية ،

وطول الجبهة نحو مائة كلمتر التى دامت من اواخر مارس الى خامس عشر مايو سنة اثنى عشر بعد تسعمائة والف ، جل دور مداشر الريف قدمت شهيدا او اكثر .

والمرجع الى الكلام على شجاعة الاسبان ، فان تلك الفرقة المحصورة ظلت تقاوم طول الليل بشجاعة وبسالة ، فلم يتمكن منها المجاهدون الا بعد ان القى عليهم عدد من الحطب الذي كانوا يمزقونه بنيران بنادقهم فلم يستسلموا الا بعد ما دوختهم النيران والدخان .

وقد شاهدت انا بعيني سنة احدى وعشرين وتسعمائة والف فى الايام التي كان فيها الجيش الاسباني محصورا بقلعة سلوان بنحو كلمتر ، وجيوش المجاهدين محيطة بالقلعة ومركز الطائرات الحربية ، ورصاص البنادق له ازيز لا ينقطع ، ونيران البنادق تطلق من سائر الجهات ، ومع ذلك يخرج فارسان على جواديهما عند منتصف النهار من قلعة سلوان ، ويسيران كالسهمين حتى يصلا الى مركز الطيران ويمكثا نحو ربع ساعة فقط ، ثم يعودان الى قلعة سلوان .

وفي حال عودتهما يكون المجاهدون على استعداد لاصلائهما بوابل من الرصاص ويستمر اطلاق النار عليهما حتى يدخلا قلعة سلوان ، فيندهش الناس لهذه الشجاعة الخارقة للعادة .

وفى تلك الايام نفسها التي كان قد تم تمركز المجاهدين من بني انصار الى سلوان ، وان الاهالي مسلحون بسلاح جيد يجوبون الطرقات ، ومع ذلك فقد خرج القبطان مرغايو ابن الجنرال الذي تقدمت الاشارة الى تاريخ حروبه وقتله عام 1310 هـ ، وهي محصورة باشد الحصار فى نحو سبعين فارسا منهم مسلمون مغاربة واسبان ، فاستمر يخترق هو ومن لم يصبه الرصاص

من جيشه صفوف المجاهدين في مسافة تبلغ نحو عشرين كلمترات الى ان دخل مليلية وشجاعة الاسبان مشهورة عند من ابتلى بمحاربتهم كالريفيين ، فلا حاجة لايراد الادلة عليها .

والى مثل هذه الشجاعة اشرت في منظومتي الآتية بقولي :

بني الاسبان انكم في الحروب   رجال بأسكم فيها شديد الخ

والى ان الجبن مذموم ، والاختفاء في الخنادق لا يدفع الاقدار بقولي :

وقايات الخنادق لا تفيد   اخا جبن فليس له محيد
عن الاقدار ان جاءت بعكس   على المخلوق مما لا يريد

وقال تعالى : قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا .

وفي الحديث : لو اجتمع الجن والانس على ان يضروك بشيء لم يكن مقدرا عليك في الازل ، ما استطاعوا ، او كما قال عليه السلام .

وذكر بعضهم انه كان في معركة ، والرصاص يثير كل شبر من الارض ولما اشتد الهول التجأ الى مغارة فدخلها ، وكان بداخلها افعى وصارت تدب اليه لتلعمه . فاذا برصاصة تدخل المغارة وتقضي على حياتها حيلا ، وهو ينظر فعند ذلك علم ان الاختفاء في الكهوف والمغارات لا ينفع في رد الاقدار فبرز الى الخارج .

وليس معنى هذا ان الانسان لا ياخذ الحذر والحيطة مما يصيبه ويجعل نفسه غرضا للعدو يتمكن من قتله متى شاء ، كلا ، ان هذا ليس بمراد ، بل يجب عليه ان يحتاط لنفسه ويختبئ في الخنادق وغيرها ، ويتترس بالبناء والحديد وجميع ما فيه وقاية ، عملا بقوله تعالى :

خذوا حذركم ، وبقوله : ولا تقتلوا انفسكم ، ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ، وبقوله عليه السلام : الحرب خدعة ، غير انه لا يتكل في حفظه

من الـآفات الا على الله وحده ، ويعتقد ان تلك الوقايات اسباب فقط ، والذي يحفظه حقيقة هو الله وحده ، وبذلك يكون قد جمع بين الشريعة والحقيقة .

كنت سائرا ذات يوم مع والدي رحمه الله ، واردت ان اعلو هضبة وهو يسير في اسفلها ، ومن علا تلك الهضبة يظهر للعدو فيصليه نارا من بنادقه ، فقال لي والدي : اياك ان تطلع على تلك الهضبة فتكون هدفا للعدو فاجبته بقولي : ما قدر الله على العبد يجري عليه ، احب ام كره ، فقال لي : تلك هي الحقيقة ، والشريعة الا يجعل الانسان نفسه غرضا للافات ، فيكون ظالما لنفسه ' يريد . رحمه الله - ان العبد قبل ان تنزل به 'افة من الآفات لم يكن مطلعا على الغيب ، بان ذلك مصيبه لا محالة ، وعليه فلا ينفعه حذر من قدر وما دام جاهلا بما هو ءات فلا يلقي بيده الى التهلكة ' قال تعالى : ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة .

قلت :

اخبرني القائد السيد محمد بن بحوت البويفروري الذي تقدمت ترجمته ، وغيره ان الامير المرحوم السيد محمد بن عبد الكريم الخطابي بطل الريف الثاني ، لما غلب على امره وتشتت شمل اصحابه ولم يبق معه الا بعض القواد ، ونحو خمسين جنديا بايديهم الرشاشات وعدة بغال عليها امواله ، وصار الناس كلهم اعداءه حيثما افل نجمه ، وهذه عادة الله في مخلوقاته ، والجيوش الاسبانية والفرنسية محيطة به تنتظر القاء القبض عليه بفارغ الصبر ، ونساؤه ونساء من معه واولادهم في داخل غابة ، فاذا هو يطلب ان يقدم له فرسه وبعد ما ركبه صار يقول :

اللهم اني اسألك شهادة كشهادة الشريف سيدي محمد امزيان ، وقال : اني عزمت على لقاء العدو والجهاد ، حتى اموت موتة كموتة الشريف سيدي محمد امزيان فتعلق به من معه من اخوانه واصحابه يقولون له : من للنساء والصبيان الذين هم في الغابات بعدنا ، فان العدو يفضحنا فيهن ، وما زالوا به حتى سكن فتقدم فسلم نفسه للفرنسيين دون الاسبان ، وكان آخر عهده بوطنه ، وآخر عهد وطنه به رحمه الله .

ولقد تمنى غير واحد جهاد الشريف سيدي محمد امزيان وموتته ممن جاء بعده ؛ لانه جهاد شريف نقي ، لا طمع فيه ولا غدر ولا جمع حطام ، بل بالعكس ، فقد كانت له املاك كثيرة ، كميات الهكطارات من الاراضي الجيدة في بوعرك وكبدانة وازغنغان وغيرها ، والمواشي العديدة ، وقد خرج عن الجميع لوجه الله وصار لا هم له الا في الجهاد ، والدفاع عن الوطن ، والاستنصار بعد الله باهل النجدة من رجال القبائل الذين يعرفهم هو اكثر من غيره وهم اعرف به ايضا الى ان لقي ربه شهيدا وفق ما تمناه .

قلت :

كان يحكي بعض اصحاب ابن عبد الكريم عنه انه كان يقول لهم في آخر ايامه عند قرب ابعاده عن وطنه العزيز ، وعند ما رأى نفكك اوصال منطقة نفوذه ، ودخول القبائل واحدة بعد اخرى في طاعة العدو ما حاصله : ان امرنا قد ادبر ، ولكن انتظروا طائفة ستاتي بعدنا يسمون بالوطنيين يطبقون معنى هذه الكلمة التي تجهلون انتم ما يراد بها ، فاذا ظهرت هذه الطائفة ونمت وترعرعت وانتشرت في سائر المغرب ، وصارت ألسنتها تردد حب الوطن وتلهج بذكر الحرية والاستقلال وتقدمه على جميع الامور الدنيوية ، فعند ذلك ييأس العدو من وطنكم ويسلمه لاهله احب ام كره .

قلت :

وقد أجج نار الوطنية في قلوب ابناء المغرب عامة الظهير البربري المشئوم ، وصار ذلك ينمو ويترعرع وينتشر حتى عم جميع ارجاء المغرب ، وقد صادف الحال ان الجالس على عرش المغرب الملك الشاب المجاهد الاعظم محرر المغرب محمد الخامس قد تنبه لمكايد الاجانب المحتالين لوطنه العزيز ، فنزل الى الميدان يقود احرار امته الى الحرية والاستقلال ، فسار بهم ، ولسان حاله يتلو : انهم يكيدون كيدا ، واكيد كيدا ، فمهل الكافرين والخونة امهلهم رويدا .

وبذلك تحققت حكاية ما سمعه الناس من الامير ابن عبد الكريم .

ترجمة الفقيه السيد الحاج عبد السلام المرابط

وأول رجل وطني غيور على دينه ووطنه دخل اقليم الناضور هو الشريف الاصيل العلامة المحقق النبيل قدوة الافاضل الفقيه المحدث المفسر اللغوي النحوي الاديب المتواضع صاحب الاخلاق الفاضلة السيد الحاج عبد السلام بن الحاج المفضل المرابط الحمدي رئيس المحاكم الشرعية باقليم الناضور ، والذي كان يسمى في ذلك التاريخ بقاضي الناحية .

جاء الى الناضور بالصفة المذكورة سنة اربع وخمسين وثلاثمائة والف عليه زي التقشف يلبس جلابة واحدة من الصوف وقشابة كتان ، وصدرية من الصوف وسروالا وحذاء مغربي ، هذا ثوبه لا تكاد تجد عليه غيره ،

وصار يباشر اشغاله القضائية بكل نزاهة ، لا يطمع احد ان ياخذ من احكامه ما ليس له شرعا لا بوجه ولا بحال ، وكان على سيرة السلف ،

يعمل بالكتاب والسنة في خاصة نفسه ، ويفتي من استفتاه بهما ما وجد الى ذلك سبيلا ، ويرفض رفضا باتا الاراء والاقوال المخالفة للكتاب والسنة ، وان كان القائل عظيما .

وكان يصعب علي في بعض الاحيان متابعته على رأيه ، وان اسمع رد كلام الشيخ خليل مثلا ، واضرابه رحمهم الله فاقول له : كيف يمكن لاحد ان يرد كلام هؤلاء الايمة الذين عمل الناس باقوالهم وارائهم منذ مآت السنين دون نكير ، ولم ينظر العاملون باقوالهم في كونها هل خالفت الكتاب والسنة او وافقت ، وانما يعملون بها كما هي ، ويذهبون لحال سبيلهم ، لانهم يعتقدون ان اولئك الايمة بحثوا وحرروا ولا يظنون فيهم تعمد المخالفة ، فكان يجيب عن هذا بقوله : ان اولئك الايمة ، ان لم يعلموا انهم خالفوا نص كتاب او سنة او اجماع فهم معذورون ان بحثوا ولم يقفوا على نص ، واما من تعمد منهم او ممن جاء بعدهم مخالفة نص كتاب او سنة او اجماع فلا عذر له .

ويحتج على ذلك بآيات قرآنية واحاديث نبوية ، وبكلام الايمة يطول بنا جلب ذلك ، ويرشد من يذاكره في هذا الشأن الى عدة كتب ما كنا نسمع بها ، فضلا عن ان نعرفها .

وهذه بعض الجمل التي كنت اسمعها منه في الاصلاح الديني .

واما الاصلاح الوطني فكان ينظر بعين الغضب الى الاستغلال الفاحش الذي كان المستعمرون يستغلون العمال المغاربة ، كعمال مناجم المعادن الذين كانت اجرتهم اليومية في ذلك الحين لا تتعدى خمسة عشر بسيطة ، واذا مات احدهم في المنجم او حصل له عطب تعطيه الشركة شيئا تافها بالنسبة للحقوق التي تؤديها للاجانب .

ويمتعض من هذه الامتيازات التي لا مبرر لها، والاهانات التي لا حد لها ، واذا جاء وقت مجاعة ومسغبة ترى الاستعماريين يمدون يد المساعدة للاجانب من اسبان ويهود وغيرهم من اذناب الاستعمار ، ترى جميعهم يأكل ويشرب ويلبس ، بينما ترى المغاربة اهل الوطن يموتون في الطرقات جوعا ، يتعمد ذلك المستعمرون ، لابادتهم واضعافهم ، واستحوذ المستعمرون على جميع الاراضي السقوية ينتفعون بها ، وتركوا اهلها الشرعيين بعد ما انتزعوها منهم بالقوة ، يموتون جوعا كما وقع لاراضي سلوان السقوية ، وكان يذاكر من يظن فيه الخير والغيرة على الوطن ، يقول لهم : ان المدارس الحكومية لا يجني ابناؤكم من ورائها اي ثمرة فعليكم ان تؤسسوا مدارس حرة ليتعلم فيها ابناؤكم ما ينفعهم ، وكـانت هذه الامور تصل الى الاستعماريين بانتظام .

فلما ضاق صدرهم ونفذ صبرهم ، تآمر عليه جماعة من القضاة والقواد فقالوا : للمقيم العام الذي جاء لزيارة الناضور ان المفتش القضائي وكان ، اخيرا مفتشا للعدلية ، استنكف من ملاقتك ، فغضب المقيم ، وعزله واستراح من ويلاتهم .

وكـانت له سبحة سوداء حباتها غليظة ، اذا كان آخر الليل يقوم ويتوضأ ويصلي ما شاء الله ، ثم يشتغل بالذكر الى صلاة الفجر ، وكـان قليل الاكل يقنع بما وجد ، وهذا حاله حتى فارقنا الى تطوان .

الرجال الذين استحسنوا آراءه وافكاره

ومن اهل الوطن الذين استحسنوا اراءه وافكاره السيد الحاج احمد بن عمر بن علال البويفروري ، وقد تقدمت ترجمته ، وبعض اخباره ، وبعض القضاة الذين يتوقدون شبابا وغيرة على وطنهم المغرب العزيز .

ترجمة الشريف مولاي شعيب الادريسي

منهم عمدتهم ورئيسهم الوطني الغيور الفقيه العلامة الدوازلي القاضي الهمام احد شباب الريف المغامرين المرتكبين للاخطار في الغيرة على وطنهم وبغض الاجنبي الدخيل ، ومعاكسانه وفضح مؤامراته السيد شعيب بن محمادي بن علال الشريف الادريسي القضاوي من الشرفاء الادارسة القضاويين القاطنين في قبيلة بني سعيد الشهيدة .

اوليته

نشأ في حجر والده في صون وعفاف ، وقرأ القرآن ومبادئ العلوم بارض الريف وهو صغير ، ثم انتقل الى فاس ، وقرأ على شيوخ عديدين النحو والفقه كابن عاشر والمختصر والتحفة والزقاقية ، وغيرها ، مع ذكاء فائق وفتح مبين وحصل على اجازة من بعض اشياخه .

وفي المدة التي قضاها في فاس كان يتصل فيها ببعض اقطاب السياسة والثقافة ، فاكتسب منهم معارف هامة ، واخيرا رجع الى مسقط رأسه شابا عالما متقنا صالحا سياسيا محنكا ، فتعين مدرسا ، ثم مدرسا وعدلا ملحقاً

بالمحكمة الشرعية بقبيلته ، وصار يقوم بالمهمتين اتم قيام ، ولم تمض على تدريبه على القضاء وهو عدل الا بعض شهور حتى اكتسب صناعة في القضاء مهمة . وصار يحرر الاحكام ويستحضر نصوصا فقهية مهمة في كل مسألة ، فاستراح القاضي الذي كان معه .

واما التدريس فكان لا يقتصر في تعليمه التلاميذ على برنامج مديرية التعليم ، بل يزرع في نفوسهم روح الوطنية ، ويلزم التلاميذ ان يحفظوا ، جملا وابياتا من الشعر تحمل تحت طياتها ما يحبب لهم وطنهم ، وانهم يفدونه بالاموال والارواح ، فصار تلاميذه يرددونها على السنتهم .

وبعد ما علم بذلك مراقب القبيلة السعيدية ، وكان مراقبا حربيا برتبة كمندار ، وكان يبالغ في بغض من قيل له فيه : انه وطني ، فعد نفسه مغفلا الى اقصى حد ، حيث لم يتفطن لما قام به مدرس مدرسة القبيلة التي بجانب محكمته فصار يواخذه ويقدم به الشكايات تلو الاخرى ، ويواجهه بالتهديد ، والمترجم له يواجهه بردود تؤلم قلب ذلك المراقب ، لانه ما كان يتوقع ان يوجد في الريف من يعرف كيف يجيب بما يدمغ حججه التي كان يعتمد عليها .

وكان يظن ان تهديدا واحدا كاف في ردع اي مواطن ، كيفما كان حاله ، ولذلك لما جاء الامر بتعيين خلفاء القضاة عينوه في اكبر منصب ، وهو خليفة قاضي مدينة الناضور ، ليبعدوه عن التدريس ، حتى يظل النشأ الجديد مغفلا بعيدا عما يجري في الخفاء من المؤامرات التي يحيكها المستعمرون لوطنه .

وقام في الناضور باشغال قضائية مهمة ، وذلك باصداره عددا عديدا من الاحكام في مختلف القضايا ، اعترف الناس له بالجد في العمل .

ثم عين قاضيا على تبولتي ذفرصيت وبني اولشك ، فقام بالمهمة كما يجب فتنبهت وزارة العدل لمقدرته وكفاءته ، وصارت تنوه بخدماته القضائية ، واتصل ذلك بصاحب السمو الخليفة مولانا الحسن حفظه الله ، وصار يدخل اليه في كل مناسبة ويسئله عن احوال اقليم الناضور ، فيخبره بجميع المعلومات ، خصوصا باحوال المتعاونين الذين يفعلون باخوانهم اكثر مما يفعله المستعمر من انواع الاذايات تقربا للمستعمر ويطلعه على اسرار دقيقة ، فتنبهت لذلك نيابة الامور الوطنية التي كانت تشغل في ذلك العهد منصب وزارة الداخلية . فاوعزت الى مراقب الناحية الذي كان يشغل منصب العامل بمراقبته بواسطة المراقبة المحلية ، فكان في كل اسبوع ترد به شكايات مزيفة يخترعها اذناب الاستعمار ، فتحال على الوزارة بواسطة نيابة الامور الوطنية ، ولكن وزير العدل اذ ذاك هو الوطني الغيور الذي رفع شأن العدالة الى قمة المجد ، حامي الرجال الوطنيين الاحرار في منطقة شمال المغرب الحاج محمد بن الفقيه السيد التهامي افيلال ، الذي خدم المغرب خدمة نزيهة طاهرة مما تلطخت به غيرها من الوزارات الاخرى ، غير ان ذلك الرجل العظيم ـ بكل اسف ـ اهمل في عهد الاستقلال شأن الرجال الاحرار ، وما انفك عن ذلك الاهمال حتى توفي رحمه الله ، لا حول ولا قوة الا بالله .

والوطنية الصحيحة هي التي كانت في عهد الحماية ، لان صاحبها موظفا كان او غير موظف معرض للاخطار من سجن وتعذيب ، وغرامات وعزل اما الوطنية التي حدثت في سنة خمس وخمسين وتسعمائة والف وما بعدها تلك وطنية اغراض وطمع في المناصب ، خصوصا ان زعماء الاحزاب كانوا يكثرون سوادهم ولو بمن كانت خيانته لوطنه ، والنكاية باهله ،

شمس على علم ، فاختلط الحابل بالنابل ، ابعدوا الاحرار وقدموا الخونة الاشرار الذين اذا امرهم الزعماء بقتل فلان وهتك عرضه واخذ ماله سارعوا الى التنفيذ ، لانهم لا دين لهم ، ولا تمييز عندهم بين المليح والقبيح .

والمترجم له حاد الذهن ذكي الفؤاد قوي الذاكرة ، يخطب في المحافل الكبرى ، وامام العظماء ، الملك فمن دونه ، يطرق في خطبه مواضع هامة تستلفت الانظار ، وتثير الاعجاب ، بالفاظ متناسقة ، ولغة عصرية لا ثرثرة ولا خروج عن الموضوع .

في اواخر مارس سنة ستة وخمسين وتسعمائة والف ، كنا في وفد مكون من عشرة افراد من قضاة وخلفاء وعلماء بحضرة الملك الراحل محمد الخامس قدس الله سره ونور ضريحه ، وامطر عليه شآبيب رحمته ، بقصر المشور بالرباط جالسين بين يديه ، ولم يحضر معنا غير الوزير مولاي احمد العلوي .

وبعد ما سألنا الملك رحمه الله ورضي عنه عن احوال الريف واستغرق ذلك نحو نصف ساعة ، استاذنه المترجم له في القاء كلمة بين يدي جلالته لعرض فيها لجهاد الملك والاسرة المالكة ، ولما تحملوه من المتاعب والمشاق والنفي في سبيل المغرب العزيز وتحريره من قبضة الاستعمار ، وبعد الاذن القاها قائما بين يديه ، وكانت تظهر على محياه انفعالات عند ما كانت تمر على مسامع جلالته فقراتها .

واخيرا اطلع الاستعماريون على ما كان يقوم به المترجم له هو وجماعة من اخوانه من بث الافكار الوطنية في الاهالي ، وبغض المستعمر وانتقاد اهم كل ذي فكر سليم ، وصار بعضهم يتعلم من بعض ، ويسلط الناس بغضهم على المتعاونين اكثر من المستعمرين ، لانهم اشد عداوة

لاخوانهم من المستعمرين يبحثون دائما عن عوراتهم ، ويبلغون لاسيادهم ما رأوه وما سمعوا به وما لم يروا ولم يسمعوا .

ولما لم تعمل الوزارة شيئا فيما كان يقدم لها في حق تلك العصابة من الشكايات المصطنعة من طرف نيابة الامور الوطنية ، ولم يخولها القانون عزلهم من جهتها منفردة لمكان استقلال القضاء ، اتخذت وسيلة جديدة ، وذلك انه كان بين المترجم له وقائد قبيلة بني سعيد مخالفات ومخاصمات ومعارضات ، فطلبوا من وزير العدل تعيين المترجم له قاضيا على قبيلة بني سعيد ، بدعوى انه قاض حازم يقوم بتنجيز الاعمال ، هذا في الظاهر .

وفي الباطن غير ذلك ، وهو انه لا بد من الاصطدام بين القائد والقاضي ، والاستعماريون دائما بجانب القواد ، لعله يقع بينهما ما يؤدي الى القضاء على القاضي او عليهما معا فتنتهي المشكلة .

وبعد مدة من ولاية المترجم له القضاء على قبيلته دبروا له مئامرة للفتك به ، فاتفقوا مع بعض المجرمين ليكمن له ليلا ، واشغلوا القاضي باعمال القضاء الى ان دخل الليل ، ثم ذهب الى داره ، فلما وصل موضع الكمين انقض عليه ذلك المجرم وضربه ضربة قوية سقط بها على الارض ، لا يدري اين هو، ولولا ان جاء الله برجل في تلك اللحظة لقضى عليه ذلك المجرم.

ولما رأى المجرم الرجل المذكور يسير نحوه بعد ما عرفه فر المجرم هاربا، وبعد ذلك القي عليه القبض وسجن نحو سنتين ، غير ان تلك المئامرات والاعتداءات لم تكن مقصورة على الاستاذ مولاي شعيب الادريسي بل حيكت في الخفاء لغيره ، وقد وقع الاعتداء علي كاتبه صاحب هذا التقييد مرتين الاولى في العروى بقبيلة بني بويحيى ، والثانية في مركز حاسي بركان من نفس القبيلة ، وقد سلم الله ، ولله الحمد وله الشكر .

ووقعت على سيدي عبد السلام العوفي اودت بحياته كما سيأتي قريبا .
وكل ذلك لم يثن عزمه وحزمه ، بل سار ماضيا فى اعماله الوطنية هو واصحابه .

وهكذا استمرت الجماعة المذكورة تقوم بجميع المجهودات الى عهد الاستقلال ، ثم عين المترجم له رئيسا لغرفة الاستيناف الشرعى لاحكام القضاة باقليم الناضور فى اوائل يليوز سنة سبعة وخمسين وتسعمائة والف ثم بعد مدة قام فيها هو والعضوان اللذان كانا معه بتحرير نحو الفي حكم نقل الى مراكش ، ثم الى تطوان ، ثم الى وجدة ، ثم اعيد الى منصبه فى آخر الامر بغرفة الاستيناف لاحكام القضاة بالمحكمة الاقليمية بالناضور ، واخيرا عين نائبا لرئيس المحكمة الاقليمية بالناضور ، ولا زال يقوم باعماله المنوطة به بجد واجتهاد الى تاريخ كتابته حفظه الله .

ومن اوصافه الكريمة الوفاء بالعهد ، وعدم التعرض لاذاية من آذاه فى حال قدرته على اذايتهم ، بل يصفح ويعفو ، شأن افاضل اهل البيت النبوي .

وقد رأيت بعض ألد خصومه واعدائه سقط في يده مرارا ، وفي قدرته المكر به ، ولكنه كظم غيظه ، وسامح ومر مر الكرام يدافع عن اخوانه دفاع الكرام .

وكان بعض اخوانه من القضاة عزلوا عن مناصبهم في اول الاستقلال وهم الذين كانوا يرافقونه في ايام المحن فلم يهدأ له بال ، وصار يتوسط بجميع من يظن انه يساعده على توظيفهم من جديد هنا ، وفي الرباط ، ويقدم لهم اخبار اعمالهم الجهادية التي لا زال وثائقها محفوظة تحت امانته تحمل توقيعاتهم .

وحيث ان ما كان يقوم به هو مجرد الوفاء بالعهود القديمة التي قطعها على نفسه لا لغرض شخصي ' وفق الله سبحانه في اجابة مطلبه، فوظفتهم الحكومة من جديد، بل توسط لبعض كبار القضاة الذين كانوا من جملة المعزولين وممن كانوا يقدمون به وباصحابه وشايات لمراقبة الناحية، فلم ينظر لافعالهم الذميمة، فما زال يتوسط لهم حتى وظفتهم الحكومة.

وبالجملة فاني اقول بدون مبالغة : ان ما كتبته في ترجمة هذا السيد هو قليل من كثير، وانه من ابطال شباب الريف، وعالم من علمائه الافذاذ، ومن اهل الغيرة، على وطنه ودينه الحنيف (عهود من الآباء توارثتها الابناء) .

وكلما ذكره ويذكره المغرضون مما يخالف ما ذكرنا فانما هو من باب الانتصار للنفوس الشريرة .

واذا بحث القاري عن حال المترجم له ادنى بحث لا يكاد يجد ما يخالف ما ذكرناه في ترجمته، غير ان الجواد يكبو، والصارم قد يخطئ والموصوف بالكمال هو الله وحده، ولا ابرئه من الاعجاب بنفسه، لانه يراها كما يراها غيره ممن عاشره، وعرف جل احواله، انه يستحق ذلك، وقديما . قال الايمة الذين ترجموا للامام ابن تيمية رحمه الله : انه لم ير الناس مثله، ولم ير هو مثل نفسه لخ، حسبما نقله الزرقاني في شرح المواهب عن السخاوي، وهو من باب قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث .

فلنكتف بهذا النزر القليل مما ذكرناه في ترجمة مولاي شعيب الادريسي، كلانا الله واياه بحفظه، وستر عيوبنا في الدارين امين '
ولكل غير معصوم عيوب '

فلنرجع الى الكلام على الوطنية التي حدثت من سنة خمس وخمسين وتسعمائة وألف وما بعدها ، وقد قدمنا ان الاحزاب السياسية كثروا سوادهم بالخونة ، وبمن لا دين له ، وليس له من الاخلاق الفاضلة لا قليل ولا كثير ، ما هكذا ـ والله ـ كانت الوطنية ، وما كنا نسمى ونصف احدا بصفة الوطنية حتى يكون مستقيم الدين ، لا مغمز فيه بوجه من الوجوه يصلي ويصوم ويزكي ويستحي ان يراه الناس واقفا مواقف التهم .

ومن جملة مواقف التهم : ان يدخل الى المراقب الاجنبي بدون ان يكون له غرض معروف ، وليس بموظف ، لاننا كنا نعد فاعل ذلك من الجواسيس ، ولبدأ الالسنة تلوكه ، وكان الناس يسخرون ممن يدعي الوطنية ويرتكب اخلاقا مذمومة شرعا .

ويقول الناس : ان هذا عجز عن اصلاح نفسه ، فكيف يقوم باصلاح غيره ، وكان الناس يقولون : ان آخر هذه الامة لا يصلح الا بما صلح به اولها ، ولم يوصف اول هذه الامة بالصلاح حتى اتبعوا ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من العمل بالكتاب والسنة ، والتخلق باخلاق النبي صلى الله عليه وسلم التي كان عليه السلام اكتسبها من القرآن ، حسب ما روي عن عائشة الصديقية رضوان الله عليها .

علما ان ما كان يقوم به عليه السلام لا يستطيعه غيره ، لكن رحم الله من قال : فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم اخ .

ومنها اقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاذا قام الناس بذلك حسب استطاعتهم فعند ذلك تتوفر فيهم شروط الاستخلاف الذين قال الله في حقهم : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا

الصالحات ليستخلفنهم في الارض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا» .

وقال : «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون » ، وقال : « الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر» لخ .

وكنا اذا رأينا في عهد الحماية سكرانا ، ورؤيته كانت نادرة عندنا جدا ، او سمعنا بصدور الزنى من البعض الآخر ، ورغم ان مسئلة الزنى ان تحقق صدوره ممن لم يتزوج قط يسجن سنة ، ومن المتزوج يحكم عليه بالقتل رميا بالحجارة ، فتعوض ادارة السلطة ذلك الحكم بسجن اعوام، ومن كان متهما فقط وقويت التهمة في حقه بالزنى بان شهدت بينة بان شأنه دائما الزنى يسجن سنة ، وهكذا في جميع المخالفات المذمومة شرعا ، ومع ذلك كنا نقول :

لولا هذا المستعمر الاجنبي لكانت الاحكام التي تصدرها المحاكم الشرعية نافذة ، تنفيذا للشريعة الاسلامية .

وبعد ما ذهب المستعمر وصرنا احرارا ، ولكن فيماذا ؟ وبالاسف احرارا فمن شاء ان يزني فليزن ، ومن شاء ان يشرب الخمر فليفعل ، ومن شاء ان ينهب اموال المسلمين التي يمكنه التوصل اليها بكل حيلة ، وبكل وجه فليذهب ، ومن شاء التعدي على الضعيف بضربه واسالة دمائه ، فليفعل والحاصل لكل من كان مجرما الحرية التامة ان يفعل ما شاء متى شاء فيمن شاء ' والنتيجة حينئذ ظاهرة هي : اننا قمنا باخراج المستعمر عن وطننا حسدا له عما كان يتمتع به من خيرات وطننا ، ومن فعله ما شاء متى شاء .

ولم نقم بذلك نصرة لديننا الحنيف ، واحياء للشريعة التي كنا نبكي على اندثارها زورا وبهتانا ، والدليل على ذلك ما نراه ونشاهده كل وقت وحين في الحواضر و لبوادي من ارتكاب الرذائل والموبقات في الشمال وفي الجنوب فانا لله وانا اليه راجعون .

وعلى غربة الدين فليبك الباكون ، وكيف لا ؟ وقد ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ، ولم نخش قوله تعالى :

« واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا» .

وما تاريخ كارثة اكادير ببعيد ، وقد غرنا بالله الغرور ، رغم ان الله تعالى يقول : «ياايها الناس ان وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا » ولا يغرنكم بالله الغرور» ، ورغم علمنا بان الله يمهل ولا يهمل ، وقال : «فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم» .

نسئل من فضل ربنا ورحمته وتوفيقه ان يؤيد ملكنا المحبوب الرجل الصالح ويعينه على تطهير المغرب مما يجري فيه من المفاسد .

ومن رفقاء الشريف مولاي شعيب الادريسي
المرحوم الفقيه السيد عبد السلام بن الفقيه العوفي

ومن رفقاء الفقيه الرئيس مولاي شعيب الادريسي الفقيه الاجل الافضل القاضي المرحوم السيد عبد السلام بن الشيخ المرحوم الفقيه العلامة القاضي سيدي محمد العوفي رحمهما الله تعالى ، كان يرافق مولاي شعيب ايام قراءتهما في فاس ، ثم رجعا الى مسقط رأسهما ، وكانا دائما مجتمعين .

وتولى السيد عبد السلام الكتابة ، ثم صار خليفة القاضي ، وبعد ذلك تولى القضاء في قبيلتي بني وليشك وتفرسيت استقلالا ، وقام بالمهمة بجد ونشاط وحزم وكان فيه شجاعة واقدام ، وكان ذا غيرة على وطنه ودينه ، يخاطر بنفسه في سبيل تحرير وطنه . وكان حليما كريما ذا مروءة وعفاف وصون ، وكان بارا بوالده الشيخ الوقور رحمه الله ، وكانت المراقبة المحلية دائما له بالمرصاد ، تبغضه وتنصب له الحبائل .

وفي سنة ست وخمسين وتسعمائة والف ، في اوائل استقلال المغرب جاء الى سوق اربعاء بني وليشك في ثالث عشر يونيه سنة ست وخمسين وتسعمائة والف ليقوم باشغاله القضائية ، بينما هو يدور في سوق وحده اذا بمجرم من قبيلة بني وليشك ينقض عليه ، وهو غافل فضربه ضربات بسكين حاد ، صادفت احداهن فؤاده .

وفي يوم الخميس ذهب الى المستشفى المدني بالناضور ، فتدهورت حالته في اسرع وقت ، وفي مساء يوم الاثنين ثامن عشر يونيه من نفس السنة لفظ انفاسه الاخيرة في المستشفى رحمه الله رحمة واسعة ، واسكنه دار نعيمه .

اخبر بعض من شاهد تلك المأساة المؤلمة ان الجاني لما كان يقوم بتلك الفعلة الملعونة كان رجال الامن يشاهدون ذلك فلم يحركوا ساكنا فمن ثم علم الناس ان المراقبة يدا في الجريمة . لانهم كانوا لا زالوا لم يسلموا السلطة الى المغاربة .

ثم ان كاتبه ابتلي بالقضية ، وقد كنت قاضيا في ذلك الوقت بالمحكمة الشرعية بقبيلة بني بويحيى .

فباذن من صاحب السمو الامير مولاي الحسن بن المهدي خليفة صاحب الجلالة بشمال المغرب باحالة القضية على لاباشر الحكم فيها ، وفعلا احيلت على المحكمة الشرعية بقبيلة بني بويحيى ، فقامت باصدار حكم شرعي في القضية باعدام المجرم قصاصا ، وذلك بعد اعترافه ، وهو محرر من كل قيد ، وباثمه ، ومع ذلك لا زال بسجن القليطرة على قيد الحياة ، وقد قضى فى السجن نحو اثنى عشر عاما .

ولنكتف بهذا النزر القليل من ترجمة الشهيد السيد عبد السلام الوفي رحمه الله واصلح اولاده ، وانبتهم نباتا حسنا ، وجعلهم خير خلف لخير سلف .

ترجمة الشريف مولاي المصطفى الحنفي

ومن اخوان الشريف مولاي شعيب الادريسي ورفاقه الذين كانوا يساعدونه من تلك العصابة المجاهدة باقلامها وافكارها المنورة في فضح مكايد المستعمرين في الوقت الذي كان يعد فيه اعقل الناس من يتملق المستعمرين ، ويدور مع عجلتهم حيث دارت ، ولا يعاكسهم في ادنى شيء ، وكان من سالمه هو السعيد عندهم.

وكان بعض القضاة والقواد اذا سمع من يتكلم في شأن حرية المغرب ، ودفع الاستعماريين عنه يضحك ويتعجب من جريان مثل ذلك على ألسنة الناس ، ويقول باي قوة وباي سلاح تندحر جيوش الاحتلال الجرارة المدججة بالاسلحة الفتاكة والمواطنون الـآن اخلدوا الى الراحة تماما ، لو اعطى لهم السلاح ما عرفوا كيفية استعماله .

واعظم الناس ترويجا لهذه الافكار المثبطة للعزائم بعض شيوخ الطرق الذين لهم اتباع عديدون ، وفي مقابلة ذلك يمدهم المستعمرون بجميع ما يحتاجون اليه .

وفي هذه الظروف وفي هذه الاثناء التي كثر فيها ترويج هذه الافكار المضللة كانت هذه العصابة تكافح هذه الافكار ، وتحذر الناس من مروجيها الذين كنا نعدهم من اكبر الخونة ، ويعدون انفسهم ويعدهم امثالهم من اكبر العقلاء .

قلنا :

ومن افراد تلك العصابة القليلة جدا الفقيه العلامة الاديب المؤرخ القاضي السيد الحاج المصطفى بن شيخ الاسلام سيدي الحاج عبد القادر بن الشيخ سيدي الحاج الحنفي الشريف العلوي ، نشأ في حجر والده في صون وعفاف ، واعتنى به والده المرحوم. حفظ القرءان وقرأ مبادىء العلوم على شيخ الجماعة السيد الحاج علال بن احمد السيدالي اللكوتي ، ثم ارتحل الى فاس ، وقرأ الفقه والنحو وغيرهما من العلوم ، وجد واجتهد في الطلب ، واستمر على ذلك اعواما ، ثم رجع الى مسقط رأسه فتولى القضاء في قبيلة امطالسة في اول امره ، واستمر فيها اعواما ، ثم نقل الى قبيلتي بني شكر وبني بوغافر ، وبعد مدة نقل الى قبيلة بني سيدال اكبر قبائل قلعية .

وفي عهد الاستقلال عينته الحكومة قاضيا بمدينة تاوريرت ولواحيها ثم نقل الى المحكمة الاقليمية بالناضور ، وهو الـآن فيها يزاول اشغاله بجد ونشاط وحزم .

وصاحب الترجمة لين الجانب ذو فكاهات يعاشر اخوانـه بصدق واخلاص ، لا يؤذي احدا بقول ولا فعل ، له غيرة على دينه ووطنه ، يؤدي

حقوق الله عند وجوبها ، كالصلاة في اوقاتها وغيرها ، يذاكر اخواله في مسائل العلم بكل ادب ، ويسكت عن الجفا ، ويقابل السيئات بالحسنات ، وله افكار مفيدة ، وآراء مستقيمة مصيبة .

وكان يخاطر بنفسه في معاكسات الاستعماريين ، من ذلك انه بعد ما اتفق المقيمان العامان بريلا الاسباني في شمال المغرب ، واجوان الفرنسي في جنوب المغرب على اضطهاد المغاربة الاحرار الغيورين علي وطنهم وزجا بالبعض في غياهيب السجون ، وفر البعض الآخر الى خارج المغرب ، والتجأ غيرهم الى طنجة ، واعدم طائفة من خيرة شباب المغرب بواسطة الخونة المتعاونين من المغاربة اذناب الاستعمار من الباشوات وقواد القبائل والبوليس ، وطائفة الجواسيس اللعينة التي لا شأن لها الا اقلاق راحة المواطنين . والبحث عن اسرار الاحرار ، بعد ما قامت مظاهرات في المدن واستنكر صاحب السمو الخليفة مولاي الحسن بن المهدي تلك التعسفات ، والاضطهادات تضامنا مع المواطنين الاحرار ، فعند ذلك اوعز المقيم العام الاسباني الى جميع مراقبي المقاطعات بالمنطقة بان يجمعوا قواد وقضاة المنطقة الشمالية التي هي تحت النفوذ الاسباني ، وجميع اعيان القبائل والمدن ويحشروهم في تطوان عاصمة الشمال حشرا . فساقوهم في السيارات من سائر جهات المنطقة ، وجل اولئك البؤساء لا علم لهم بما يراد بهم ، ولا يعلم الحقيقة الا بعض الخونة من القواد والقضاة وجماعة الجواسيس .

وتولى كبر ذلك وباسمه دبرت تلك الدسيسة نائب الوزير الاول في الحكومة الخليفية في اقليمي الناضور والحسيمة ، ومدبر المؤامرات في الحقيقة الخالد الريسولي باشا العرائش .

وبعد ما أجتمع الناس امام المقيمية العامة قام خطيب بقراءة خطبة ملعونة امنة الله على ما جاء فيها نصها :

ان بعض الناس تشير الى الوطنيين الاحرار الذين استنكروا ما قام به ويقوم به الاستعماريون من اضطهاد الوطنيين المطالبين بحرية الوطن وحقوق الامة يقولون: انهم يتكلمون ويطالبون بحرية الوطن، ويستنكرون امورا ، وذلك باسم وبلسان وبامر جميع اهل المنطقة الشمالية ، وهذه جموع سكان المدن والقرى ينكرون على اولئك ما ادعوه ، ويدعونه باسمهم ، فانهم يتبرؤن مما يدعونه وينسبونه اليهم ، وان الحاضرين من القواد والقضاة ووجهاء واعيان المنطقة واهل الحل والعقد فيها اذا ارادوا ان يطالبوا الدولة الحامية بشيء فهم الذين يتولون ذلك بانفسهم لا بلسان غيرهم .

اما صاحب هذا التقييد وصاحب الترجمة الشريف الحنفي ورئيس العصابة الشريف مولاي شعيب الادريسي ورفيقاه المرحوم السيد عبد السلام العوفي وشقيقه القاضي السيد الحاج محمد العوفي ، فاننا لما علمنا بالدسيسة المدبرة ، لاننا كنا نبحث دائما عن تلك الاسرار ونستقيها ممن يلازم المراقبة باستخدام حيل وامور ، من السياسة والحزم عدم الكشف عنها ، وعدم الاباحة باسرارها ، لان لهذه العصابة رفقاء من الوطنيين الاحرار لم يطلع على اسرارهم غير هذه العصابة ، ولا زالوا تحت الكتمان حتى الـآن ، وقد كـان بعض اولئك اصحاب سر للاستعماريين .

فلما تحققنا الامر طيرنا الامر الى الخليفة ووزير العدلية لان الضربة في الحقيقة كانت موجهة لصاحب السمو الخليفة من طرف الاستعماريين انتقاما منه ، حيث أيد ما قام به الوطنيون تاييدا مطلقا .

وبعد ما ظهرنا بالخبر امتنعنا من السفر الى تطوان استنكافا من تكثير سواد الخونة ومعاكسة لاعداء الوطن .

وقلنا :

ليفعل بنا الاستعماريون ما شاؤا ، وقام احرار المغرب بارسال برقيات الى الجامعة العربية وهيئة الامم من طنجة ، يشرحون فيها ما قام به ممثل اسبانيا في شمال المغرب ، ضد الخليفة السلطاني بشمال المغرب ، احتج الخليفة احتجاجا صارما .

ولاسباب بعضها ما تقدم ، وبعضها غير معروف ، تغيرت سياسة المقيم الاسباني ، وفشل فشلا ذريعا فيما كان ينوي القيام به من الاضرار بالوطنيين الاحرار ولم يمهل الله ذلك المقيم ، فابتلاه بمرض عجز الاطباء عن معالجته ، ولم يفارق المغرب الا وهو جثة هامدة .

وعند ما رجع اكابر اولئك الخونة صاروا يحرضون مراقب الاقليم على الايقاع بنا ، ويقولون له : اننا كنا نحذركم دائما من هذه العصابة ، وان لم تعاقبوها عقابا زاجرا لهم ولامثالهم فسينضم اليهم من امثالهم عدد غير قليل ، وقد جعل الله ما حدث فجأة من تغيير السياسة بالاقامة العامة في نفس الاسبوع سببا في نجاتنا ، والحمد لله وحده اولا واخيرا .

هذا ولنرجع الى اتمام ترجمة الشريف الخنفي فنقول :

للشريف كتاب جمع فيه عددا من تراجم علماء الريف ، لا زال منهمكا في جمعه وتلفيقه ، وهو كتاب فريد في نوعه ، فتح به الشريف بابا ، وضع عليه الاهمال اقفالا محكمة عدة احقاب ، لاننا لم نر بل لم نسمع ان احدا من علماء الريف في هذه العصور المتأخرة قام بشيء من هذا .

مع أن فيهم علماء أجلة من متقدميهم ، وفيهم شباب مثقف اصحاب اقلام سيالة من متأخريهم .

نعم رأيت في الخزانة العامة بالرباط تقييدا صغير الحجم ، سماه مؤلفه (التعريف بصلحاء الريف) وأعظم ترجمة فيه ترجمة سيدي ابي داوود صاحب الضريح المشهور بساحل تمسمان .

والحاصل ان مثل ذلك وجوده كعدمه ، حيث انه لا فائدة فيه ، غير ان القاضي العلامة سيدي محمد بن نقيب الاشراف الادارسة محمد البدراوي اخبرني انه رأى تاليفا سماه مؤلفه (الظل الوريف في اخبار قبائل الريف) مخطوطا يقع في ثلاثة اجزاء كبار ، قال : انه استوفى اخبار قبائل الريف ، ومثل هذا لا مطمع فيه لاحد ، الا النادر لقلة نسخه .

وللشريف الحلفي فوق هذا منظومات في الامداح النبوية . وفتاوى في مسائل شتى ، اصلحه الله ، وختم علينا وعليه بالحسنى امين .

ترجمة الفقيه الاجل القاضي
سيدي الحاج محمد بن الفقيه العوفي

هو الفقيه الاجل العلامة الافضل الوطني الغيور القاضي ابو عبد الله سيدي الحاج محمد بن الفقيه القاضي سيدي محمد العوفي الوايشكي الورداني.

اعتنى به والده المذكور حتى حفظ القرآن ، ثم قرأ مبادئ العلوم في قرية تالوت الرمان من قبيلة بني سيدال احدى قبائل قلعية على شيخ الجماعة الفقيه السيد الحاج علال التنوتي .

ثم انتقل الى فاس باذن والده ، وقرأ بها الفقه والنحو وغيرهما من العلوم على شيوخ عديدين بجد ونشاط ، وكان يستغرق نصف ليله في المطالعة لا يكل ذهنه ، وله فكرة وقادة يفهم المسائل العويصة بالبداهة ، واستمر على ذلك اعواما عديدة .

وبعد ما حصل على ملكة تامة رجع الى مسقط رأسه بدار والده رحمه الله وعقب رجوعه عينته الحكومة الخليفية بشمال المغرب قاضيا على قبيلة تفرسيت ، فقام بوظيفه اتم قيام ، ثم تنقل في عدة قبائل ، اهمها قبيلة تمسمان في عهد الحماية ، وبعد استقلال المغرب عينته الحكومة قاضيا في ناحية اكادير ، وفي غيرها من النواحي وهو حازم لا يعرف الملل في اعماله يتطور مع القوانين التي تصدرها وزارة العدل من حين لآخر ، يقوم بتطبيقها وفق ما تطلبه الوزارة .

واخيرا عين قاضيا في مركز اكاول بقبيلة اجزناية احدى القبائل التابعة لاقليم تازة .

والمترجم له من اشهر وطني الريف الغيورين على دينهم ووطنهم ، كان يخاطر في خدمة الوطنية فيما يكتبه في شأنها مخاطرات ، تشم منها رائحة الموت ، لا يعرف الخوف الى فؤاده سبيلا .

وقد كان يعمل قاضيا مع بعض طغاة القواد ، وكان القضاة الذين قبله يهابون ذلك القائد ، لان له مع الاستعماريين وجاهة ، فاذا خالفه القاضي في شيء ما ، استعمل امور سياسية مع المراقبة ، ويدس لهم الدسائس فيقع عليهم الضغط ، فينسحبون من ميدان القضاء ، فيصفو الجو للقائد ، وهكذا صار رجال القضاء في تلك القبيلة لا يتولاه الا من يسير مع هوى ذلك القائد ، حتى جاء دور المترجم له فاستنكف من تدخلات ذلك القائد في

المسائل الشرعية التي كانت عادة له ، فقامت بينهما حرب شعواء رفعت قضيتهما الى المراجع العليا ، واخيرا انتصر على ذلك القائد واوقفه عند حده ، وسار بالقضاء سيرا عاديا ، وطهره من الايد العابثة ، وهكذا كان يحرر القضاء من ايد العابثين في كل قبيلة تولى فيها القضاء ، حتى يصير حرا ، وقد تخللت جمل من اخباره في التراجم المتقدمة لذلك نكتفي بهذا النزر القليل في ترجمته .

واخيرا بدا لصاحب هذا التقييد ان يقول شيئا في رثاء الشريف ، وسرد بعض احواله ، وذكر بعض الاماكن التي دارت فيها اهم تلك المعارك الطاحنة بين الشريف ، واخوانه الريفيين من جهة ، وجيوش الاسبان الجرارة من جهة اخرى بقصيدة فيها نحو سبعين بيتا من الشعر ركيك الصنع ، حيث ان الناظم ليس من اهل الفن ، مجاراة لاخوانه الريفيين الذين بكوه رجالا ونساء واطفالا باللهجة الريفية . من سنة اثنى عشر بعد تسعمائة والف . الى سنة احدى وعشرين وتسعمائة والف ميلادية ، فقال مخاطبا اول مخبر بفاجعة موت الشريف رحمه الله :

احامي المجد والاسلام اودى ... فقل للارض ويحك لا تميد
تأمل هل ترى الاسلام مالت ... دعائمه وهل شاب الوليد
وهل نزع السلاح من ايد ريف ... وهل وضعت عن الخيل اللبود
اما والله ما تنفك عيني ... عليك بدمعها ابدا تجود
فان تجمد دموع لئيم قوم ... فليس دموع ذي حسب جمود
ابعد الشريف تختزن الريفيات ... دموعا او يصان لها خدود

المبعك بلدة للريف لمـا | وهت اطنابها ووهى العمود
فمن يدعو رجال الريف ملبا | اذا ما اشتد هول او يزيد
وكلت اذا دعونهم اجابوا | بدون تلكى وهم جلـود
اذا قلت تقدموا في الحرب صاحوا | امام امام نحن لها وقـود
ويزحف جمعهم صوب العدو | امامهم الشريف فلا يحيـد
الى الهيجا يسير الكل شوقا | سواء موتهم او ان يعودوا

❀ ❀ ❀

ينادون الاله في كل حين | اذا ما الحرب شب لها وقود
لنصرهم يؤيدهم بـعـزم | وعزم في هجومهـم اسـود
وكان عدوهم يلقي عليهم | قنابل من مدافعـه رعـود
فتنفجر القنابل كـل حـين | على الاجسام ليس لها ركود
تثير الارض مترا بعد متر | صداها في الجبال له رعود
فتنزعج القلوب من الرعاعيد | وتثبت من رجال هم الاسود
وقايـات الخنـادق لا تفيـد | اخا جبن فليس له مجيـد
عن الاقدار ان جاءت بعكس | على المخلوق مما لا يريد
وبالنيران والبارود تضحي | اراض للمعامع وهي سـود
كواد الذيب يوم جاء بلتو | بجيش في مدافعـه رعـود
فسود بالقنـابـل جـانبيـه | واعدم في المعا فلا يعود
ونرزوف يضاهيـه ويثمـو | عليـه في مصائبهم شديـد
بقتل القائد المعمى بكاريو | جنرال كان قبلهـم يقود
ومعروفه بدور على سلباضور | جنرال فيـه مصرعه شديد

وزروزة يفوق الكل هولا   رجال الريف فيه لهم صمود

* * *

بني الاسبان انكم في الحروب   رجال بأسكم فيها شديد
وامتكم ملايينها عديدة   فتنمي للثلاثين او تزيد
مصانع للسلاح في كل نوع   لديكم دائما فيها جديد
واما الريف قد ينمي اشطر   من المليون عدا لا يزيد
وليس له المصانع والمعامل   ضعيف الحال ليس له مفيد
الا رب رحيم يرتجيه   وايمان قوي لا يبيد
وجيشه كله عشرون الفا   رجال الحرب عدهم لا يزيد
ويحضر في الحروب اقل شطر   من المعدود منه وقد يزيد
يخوضون المعارك مع عدو   انواع شروره حتماً تزيد
يفوقهم في السلاح وفي الرجال   وجيشه في الحروب له صمود
فما ضعفوا وما وهنوا ولكن   اصيبوا بالشريف فمن يقود
رجالا يدفعون عن الاهالي   عدوا صامدا وعنهم يذود

* * *

بني الارياف صبرا ان يوما   سياتينا وليس لنا وجود
وفي المختار اسوة كل ميت   يلبي ربه وله يعود
ابا عبد الاله شريف قومي   احيي قبركم وبه شهيد
ابا عبد الاله شريف قومي   فلا انساكم حتى ابيد
ابا عبد الاله شريف قومي   احيي روحكم وله مزيد

ابا عبد الاله شريف قومي هذا الورياشي ناظمها يجود
يجمع للمفاخر والمكارم وآثار لكم وبها يفيد

❁ ❁ ❁

ثم غيرت سياق المنظومة والبحر على حاله فقلت :

وبعد موت الشريف بثمان اعوام انى ثاني الزعيمين يرجو الاتمام
محمد بن عبد الكريم يدعى لدفع العار عنا جاء يسعى
واخذ الثار من قاتلي الشريف واجلاء العدو عن ارض ريف
وفعلا واجه الاسبان بانوال فكان سلبستري في الثار اول
جنرال قائد اعلى عنيد وجيش في الحروب له شديد
فخمسة آلاف وعشرون الفا من الاسبان كلهم لاقوا حتفا
من بينهم العقيد مراليسى اديب مؤرخ ملهم ذكي
وامثال له قتلوا هناك وقد قتل الشريف من قبل ذاك
واول الزعيمين ثم الثاني فليسا موفقين في دفع الجاني
ولا قدر الاله بان يفوزا بطرد عدونا عنا ليخزا
الى ان جاء سيدنا الامام امام الدين والدنيا همام
محمد بن يوسف بعين عز ونصر واقتدار وكل فوز
فابدى في الجهاد جميل صبر على الاهوال فوق كي بجمر
فما لانت له عنه قناة ولا خاف العدا وهم الطغاة

❁ ❁ ❁

يساعده ولي العهد اذ ذاك — امام زماننا الحسن المحنك

وراءهما جميع الشعب يفدي — الامام ونجله والروح يهدي

وشعبهما الكريم بالعهد وفى — وحبه للامامين ليس يخفى

فبادلاه حبا بحب — وعطفا زائدا عن حب قلب

بهذا حرر المغرب العزيز — وحرب الرصاص فيه ازيز

فدام الاربعين ونحو سبع — من الاعوام كي ننجى من قمع

وخلفت الحروب فينا ارامل — وايتاما تضيع بدون كافل

فيارب الرحيم اغثنا وانصر — امير المومنين الحسن المظفر

ووارث سره الامير الممجد — ولي العهد مولانا محمد

وصن يارب اسرته الكريمة — من الآفات كي تبقى عظيمة

* * *

واختم بالصلاة على الرسول — صلاة دائما تله و تفيد

وآل له واصحاب كرام — غضاب في الجهاد هم الاسود

واتباع لهم من كل جبل — حماة الدين ليس لهم حدود

* * *

فهرس الكتاب

صفحة	الـمـوضـوع
3	نبذة عن حياة المؤلف
9	مقدمة
18	خطبة هذا التقييد وتسميته
26	تاريخ ولادة الشريف سيدي محمد امزيان
29	اولية ابي حمارة الجلالي بن ادريس الزرهوني
33	كيف ثار ابو حمارة والعقائد الوثنية في زيارة الاضرحة
34	مسألة زيارة اضرحة الاولياء
41	القائد الناجم
49	اخبار عبد الملك محيي الدين
46	محاصرة قصبة فرخانة
50	اخبار وجيزة عن حروب المدية والاسبان عام 1310 ه .
58	اخبار بعض المعارك التي كانت تدور في ناحية وجدة
61	قتل جماعة من القواد وغيرهم منهم القائد احميدة بلشلال بدار البوزكاوي غدرا

الـمـوضـوع	صفحة
ظهور الشريف الغازي بطل الريف الاول سيدي محمد امزيان	64
خلع السلطان مولاي عبد العزيز وتولية اخيه مولاي عبد الحفيظ	69
اجتماع جل قبائل الريف الشرقي على محاربة ابي حمارة والتفافهم حول الشريف سيدي محمد امزيان	79
ذكر واقعة دار الشريف السيد محمد بن عبد الله الورياشي	82
ذكر تكامل وصول الرجال الذين انتخبتهم قبائل الريف لمحاربة ابي حمارة	85
ذكر مغادرة ابي حمارة قلعة سلوان نهائيا بجميع جيشه موليا وجهه شطر تازة ونواحيها التي كانت لا زالت متمسكة بطاعته	86
ولسيدي جعفر الكتاني وصاحب الاستقصاء كلام طويل في هذا	88
نهاية مسرحية ابي حمارة بالقاء القبض عليه	100
ذكر مقتل ابي حمارة وطي تاريخه الاسود من هذا الوجود الفاني	107
اخبار الشريف سيدي محمد امزيان في جهاده هو واخوانه الريفيين للاسبان بعد مغادرة ابي حمارة وجيشه سلوان دفاعا عن الوطن	113
ترجمة القائد محمد بن بحوت البويفروري وما اخبر به مما شاهده في معركة وادي الذيب	125
معركة اجذياون بساحل البحر من قبيلة بني شكر	129
انتقال مركز القيادة العليا للمجاهدين من سوق الجمعة الى موضع المشنكة بقبيلة بني بويفرور، واحتلال الاسبان لهضبة تلمرت وقلعة سلوان	132

الموضوع	صفحة
ذكر خبر واقعة ازرورا الهائلة وتفاصيلها وانتصار الريفيين على الاسبان	141
اطلاق الشريف الحرية للاسرى الاسبانيين	143
الاسباب التي صار بها الشريف محترما عند عدوه	144
قتل الجنرال صلبدور	147
البشير بن هلاح	149
احتلال الاصبانيين لجبل العروي بقبيلة بني بويحيى	150
استشهاد سيد شهداء هذا العصر سيدي محمد امزيان	151
ترجمة الحاج احمد بن عمرو علال البويفروري	155
حال المجاهدين بعد الشريف	157
اخلاق الشريف رحمه الله مع اخوانه الريفيين المغاربة وبعض اخبار ابن اخيه السيد محمد التباع	159
كيف كان فصل الخصومات والتداوي من جروح الحرب	160
القبائل التي كانت مع الشريف لحاربة الاسبان بعد احتلالهم قلعية وكبدانة واولاد ستوت	161
عدد رجال هذه القبائل الذين كانوا يقومون مداومة بمحاربة الاسبان	163
ترجمة الفقيه السيد عبد السلام المرابط	170
ترجمة الشريف السيد شعيب الادريسي	173
ترجمة الفقيه المرحوم السيد عبد السلام العوفي	182
ترجمة الشريف السيد المصطفى الحنفي	184
ترجمة الفقيه الحاج محمد العوفي	189
قصيدة اصاحب التقييد في رثاء الشريف سيدي محمد امزيان	191

صورة المؤلف الحاج العربي الورياشي

هذه صورة زعيم قبيلة امطالسة الحاج عمرو المطالسي
العلوشي الذي كان يحارب أبا حمارة والاسبانيين
الى جانب سيدي محمد أمزيان المتوفى سنة 1921 .
انظر صفحة 119 من هذا الكتاب

المرحوم الحاج عبد السلام
العوفي - انظر صفحة 182

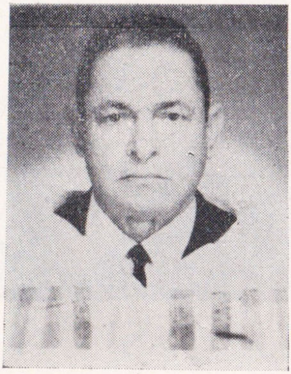

السيد شعيب الادريسي
انظر صفحة 173

السيد الحاج محمد العوفي
انظر صفحة 189

هذه صورة ابي حمارة الجيلالي بن
ادريس الزرهوني الذي ثار على
السلطان مولاي عبد العزيز 1319هـ

هذه صورة القائد البشير بن سناح
الذي كان ممثلا لملك المغرب
لدى الاسبان بمدينة مليلية
انظر صفحة 149

الجنرال سلفسطري بروس جرح جرحا في معركة ازرورا في 27 دجنبر سنة 1911 مات عقب ذلك انظر صفحة 143

الجنرال سلبادور اديزا قتل في معركة امعروفا يوم 14 اكتوبر 1912
انظر صفحة 147

الكولونيل فرانسيسكو كومز قتل في معركة توريرت حامد ببني سيدال في يوم 22 مارس 1912

الكولونيل اوسبيو ڭرسية ڭومز قتل في معركة ازرورا في 27 دسمبر 1911
انظر صفحة 143

القائد الحاج محمد بنشلال

انظر صفحة 81

عبد الملك محيي الدين

انظر صفحة 46

هــذه صورة تاريخية
للفونصو الثالث عشر
ملك الاسبان حينما
كان واقفا على الموضع
الذي سقط فيه الجنرال
بينتو بين فرسان من
رجاله سنة 1911

الجنرال مرينا

انظر صفحة 117

هؤلاء الثلاثة من جماعة
إحجمن وهم في طريقهم
الى المكان الذي
اعدموا فيه رميا
بالرصاص يوم 7 يناير
1910 بدعوى ان هؤلاء
المساكين قتلوا جنديا
اسبانيا بوادي سلوان

هؤلاء الاسرى الريفيين
وقع فداءهم بالاسرى
الاسبانيين سنة 1912
انظر صفحة 143

هؤلاء أسرى الحرب
الذين وقعوا في الاسر
في معركة ازرورا
وغيرها من الاسبانيين
وقد وقع فداءهم
ومبادلتهم بأسرى
الحرب الريفيين الذين
كانوا بيد الاسبان
وقع هذا الفداء سنة
1912

جماعة من المجاهدين
الريفيين مختبئين في
الخنادق الحربية يطلقون
النار على العدو

الكولونيل كرلوس استيبيروس
قتل في معركة 12 سبتمبر
سنة 1911 على ضفاف
وادى كرت

التنينت كولونيل خ. برنرديز
قتل في موضع يسمونه
تاوريات أزنكن يوم 24
دجنبر 1911

القبطان اخوان اطند قتل
في معركة شواطىء كرت
يوم 11 سبتمبر
سنة 1911

قبطان فوج كطلني خوسي أكم قتل
في معركة 13 مايو 1912 ببني سيدال

القبطان سبينو كنطنيا قتل في معركة
7 اكتوبر 1911 ببني سيدال

قبطان معسكر مليلية اخوان
ارويز بلند قتل في معركة
ازرورا يوم 27 دجنبر 1911
انظر صفحة 143

كبطان رپوي
قتل بضواحي سلوان في
30 اكتوبر 1909

الملازم الاول خوسي مرالس
أركز قتل في معركة 18
يناير 1912 بعد استلائه على
جبل عرويت انظرصفحة150

الملازم خئم سمنيج قتل في
اشتباك مع سيدي محمد
امزيان يوم 15 ماي 1912
ببني سيدال انظرصفحة152

الملازم أرطورو إسكريو قتل
في معركة شواطىء كرت
يوم 12 سبتمبر 1911

الملازم الاول منول سڭور
قتل متأثرا بالجروح التي
اصابته في معركة افرتوط
يوم 17 اكتوبر 1911

قبطان معسكر مليلية انطني
مندز قتل في 27 دجنبر
1911 انظر صفحة 143

م. مونيز قبطان من معسكر
مليلية قتل في 27 دجنبر
1911

قبطان معسكر مليلية منول
ترزس قتل في 27 دجنبر
1911 انظر صفحة 143

الملازم الاول لمعسكر مليلية
سلفدر ركخ قتل في 27
دجنبر 1911 انظر صفحة 143

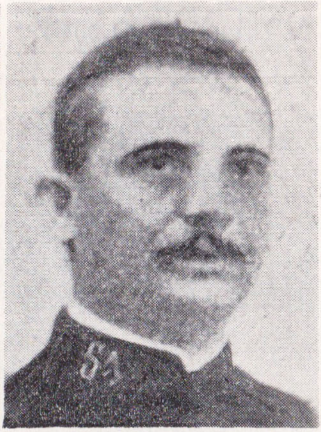

الملازم الاول كرسي نمددو
قتل في يوم 22 دجنبر
سنة 1911

الملازم الاول ب . إتشنيكي
قتل في يوم 27 دجنبر
سنة 1911

هؤلاء قتلوا جميعا في معركة ازرورا

يد قبطان ريبوي

انظر صفحة 135

مكتبة نوميديا 132
Telegram@ Numidia_Library

الجنرال پنتو

قتل في معركة وادى الذيب يوم 27 يوليوز 1909 مليلية بضواحي

انظر صفحة 124